# مدخل إلى
# القرآن الكريم

أنور الجندي

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

# مدخل إلى التعريف بالقرآن الكريم

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن اتبع الهدى فى غيره أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تتشعب معه الاراء ، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الاتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن أن سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ) من علم به علمه سبق ، ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم وخيركم من تعلم القرآن وعلمه .

وقال عليه الصلاة والسلام :

ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، أن هذا القرآن حبل الله والنور والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاه لمن اتبعه ولا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد فأتلوه فان الله يؤجركم على تلاوته لكل حرف عشر حسنات أما أنى لا أقول ألف لام ميم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » .

القرآن كتاب الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، وهو معجزته الكبرى وقد نزل فى بضع وعشرين سنة على حسب الحوادث والمناسبات واغلبه نزل فى مكة وضواحيها ( ٨٥ سورة ) واقله نزل فى المدينة المنورة ( ٣٩ سورة ) ويسمى المدنى . واوله نزولا سورة اقرأ وحكمة نزوله منجما لتثبيت قلب الرسول وتيسير حفظه وفهمه على المسلمين ومسايرة الأحداث — جملة السور ١١٤ سورة أطولها سورة البقرة ( ٢٨٦ آية ) واقصرها سورة الكوثر ( ثلاث آيات ) نزل أوله فى غار حراء وانتهى يوم عرفة للسنة العاشرة من الهجرة وأوحى الله آخر آية وهى ( اليوم أكملت لكم دينكم ) والمدة بين مبدأ التنزيل ومختمه اثنتان وعشرون سنة وشهران واثنتان وعشرون يوما .

وتبلغ آياته ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية وتحتوى على سبع وسبعين الف ومائتين وخمسين كلمة على قول مجاهد ، نزل فى السلم وفى الحرب وفى فترات الشدة والفرج .

وترتيب الصور بالآيات فى القرآن بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم وكان للوحى كتاب يكتبون ما نزل منه باملاء الرسول على الجلود والعظام والاحجار والجريد وبقى القرآن خلال حياة الرسول محفوظا فى تلك الصحف وفى صدور عدد غير قليل من الصحابة وبعد واقعة اليمامة التى قتل فيها عدد من الحفاظ ندب الخليفة أبو بكر بناء على اقتراح عمر بن الخطاب ندب زيد بن ثابت لجمع القرآن تجمعه وبقيت هذه الصحف مرتبة تحت رعاية أبى بكر ثم عمر ثم أودعت فى بيت أم المؤمنين حفصة ولما اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون فى الامصار جمع عثمان رضى الله عنه الصحابة واستشارهم فى جمع القرآن فى مصحف واحد فنسخ منه نسخا ارسلت الى الامصار وقد وصل الينا النص القرآنى كاملا خاليا من التحريف سالما من التناقض الذى أصاب ما سبقه من الكتب : عن ( محمد ابراهيم الخطيب ) .

وقد نزل القرآن الكريم منجما مراعاة للطاقة البشرية لمحمد صلى الله عليه وسلم واستمرارا فى تثبيت نبوته اثناء قيامه بدعوته بآيات القرآن المعجزة ودلائله الساطعة تنزل تباعا متحدية مواهب البشر .

**اولا — مقاصد القرآن تذكر فى عدة عناصر :**

تطهير العقائد ، ايقاظ الضمير البشرى ، اقامة سلطان العقل ، اعلان حرية النظر ، هدم التقليد ، اسقاط الوسطاء بين الله وخلقه ، المناداة بالمساواة العامة بين الناس أجمعين ، وحدة الجماعات البشرية ، اهدار الفوارق الجنسية ، والتمييز العنصرى ، واقرار الوحدانية والسلام والتكافل والارتقاء والحق والمثل العليا .

وقد ركز القرآن الكريم تركيزا شديدا على قيم ثلاث :

١ — وحدة الله تبارك وتعالى وانفراده بالخلق والأمر .

٢ — الالتزام الاخلاقى والمسئولية الفردية .

٣ — البعث بعد الموت ثم الجزاء .

**ثانيا :** لم يعرض القرآن عقيدة الاسلام فى صورة نظرية ولا فى صـــورة لاهوت ولم يعرضها فى صورة جدل كلامى لقد كان القرآن يخـــاطب فطرة الانسان بما فيه وجوده هو وبما فى الوجود حوله من دلائل وايحاءات .

وقد خاطب الحق تبارك وتعالى الناس جميعا مؤمنين وكفارا بالاسلوب الذى يهزهم ويؤثر فى اعماقهم وينفذ الى عقولهم ووجدانهم ، اسلوب عرض القيم والتصورات والموازين عن طريق عرض النماذج البشرية التى تعيش على ارض الواقع ، تأكل الطعام وتمشى فى الاسواق وليس اسلوب التجربة العقلى والمنطقى ( البارد ) الذى لا يهز الحياة ولا يؤثر فيها ، ذلك العرض الذى اعتمد الاطار القصصى والقصة التاريخية كى تتحرك عبرها الشخوص ذهابا وايابا .

ولقد كان ابطال القرآن هم ابطال مقاومة ورجال لم يستسلموا للظلم ولم يقبلوا عبودية غير الله تبارك وتعالى وقاوموا اعداء الله وقد اعانهم الله ونصرهم وقد ربط القرآن بين القواعد والقيم التى قدمها دين واقع الحياة والتطبيق بمفهـــوم الانســــان المتكامل الجامع بين أشواقه الروحية وحاجاته المادية .

ولقد كان اسلوب القرآن اقدر فى الدعوة الى الله تبـــارك وتعالى من اسلوب المتكلمين وحججهم ومقدمات المناطقة وتقسيماتهم وحججهم التى تحدث اضطرابا فى القلوب الهادئة عوضا عن ان تقنعها فالبراهين التى قدمهـــا القرآن سرعان ما يقنع العقول وتسكن فى الارواح ذلك لان اسلوب القرآن هو اقرب الاساليب الى الفطرة .

ولقد خاطب القرآن العقل حين قال ( قل هاتوا برهانكم ) وخاطب القلب فى دعوة الايمان وخاطب الفكر فى عبرة التاريخ والامم والحضارات وخاطب السمع والبصر بالنظر الى ملكوت السموات والارض .

يقول الامام الغزالى : ان ادلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان اما ادلة المتكلمين فهى مثل الدواء ينتفع بل آحاد الناس ويستضربه الاكثرون ، بل ادلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع والرجل القوى وســـائر الادلة كالاطعمة التى تنتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها اخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا » .

نعم لم يعرض الاسلام عقيدته فى صورة نظرية ولاصورة لاهوت ولا صورة جدل كلامى بل جاء القرآن يخاطب فطرة الانسان بما فى وجوده هو ، وما فى الوجود حوله من دلائل وايحاءات .

يقول الفخر الرازى : لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى غليلا ولا تشفى عليلا وما وجدت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن لانه يسعى فى تسليم العظمة والجلال لله تبارك وتعالى ويمنع من التعمق فى ايراد المعارضات والمناقضات وما ذلك الا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى فى تلك المضائق العميقة والمناهج الخفية :

ولقد رأيت أصح الطرق طريقة القرآن

وبالجملة فقد تنوعت أساليب القرآن تبعا لاختلاف طبائع المخاطبين به من قصص الى استدلال على حقائق الامور بالبراهين النظرية وتوجيه النظر الى ملكوت السموات والارض .

ثالثا : اشتمل القرآن الكريم على ثلاثون جزءا ، مائة وأربعة عشر سورة ، ( خمسة وثمانون سورة مكية وتسع وعشرون سورة مدنية ) عدد آياته الكريمة ٦٢٠٤ آية وعدد كلماته الشريفة ٧٧٤٣٧ كلمة أول كلماته ( اقرأ باسم ربك الذى خلق ) وآخر كلماته ( لقد جاءكم رسول من انفسكم ) وهى فى مجموعها قد ضمت مفهوما متكاملا لمنهج شامل للانسان والمجتمع فى مجال الحياة وقد تمثل هذا المفهوم فى عدة فنون : قصص ، أوامر ونواهى ، شرائع للمجتمع ، نظم واخلاق للفرد ، اجابات على أسئلة .

وتتمثل أصول القرآن فى ثلاثة أصول كبرى :

**اولا** : العقيدة وما يتعلق بها من أصول الدين : الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار .

**ثانيا** : الشرائع (وما يتعلق بأعمال الجوارح من الاوامر والنواهى ) وهى قسمان : العبادات والمعاملات .

العبادات ما يتعلق بصلة العبد بربه والمعاملات ما يتعلق بصلة العباد بعضهم ببعض وهى تتمثل فى عدة نقاط رئيسية :

١ — تأمين الدعوة : « الجهاد فى سبيل الله » .

٢ — تكوين الاسرة وتنظيم أمورها ورعاية شئونها ومالها من الحقوق والواجبات ، والالتزامات كأحوال الزواج والطـلاق والانسـاب والمواريث والوصية والاسترقاق .

٣ — أصول المعاملة بين الناس من بيع واجارة ورهن ( المعاملات ) .

٤ — العقوبات على الجرائم وما يتعلق بالقصاص .

**ثالثا** : الفضـائل الخلقية والاداب الاجتماعية التى بها ترقى النفوس وتسمو الارواح وقد حـوى القرآن الكريم ( فى مجـال التشريع والعقـائد والاخلاق ) على أصول أولية وقوانين كلية تاركا الجزئيات لاجتهـاد الفقهاء حسب اختلاف الازمنة والاماكن يستنبطونها من كتاب الله والسنة المطهرة .

**رابعا** : احتوى القرآن الكريم على :

١ — فى العبادات ( نحو مائة واربعين آية ) .

٢ — فى الاحوال الشخصية من زواج وطلاق ووصية وارث وغير ذلك على نحو سبعين آية ) .

٣ — فى المجموعة المدنية من بيع واجارة ورهن وشركة وتجارة على نحو سبعين آية .

٤ — فى المجموعة الجنائية من عقوبات وجنائات على نحو ثلاثين آية .

٥ — فى القضاء والشهادة وما يتعلق بها على نحو عشرين آية .

**خامسـا** :

١ — حدد القرآن الكريم مسائل ما بعد الطبيعة تحديدا كاملا وطلب عدم الجرى فيما خلفها وأن نبحث فى الكون وآفاقه ولكن لا نحاول أن نبحث عن الجوهر الذى لا نصـل الى حقيقته ، أى أن نبحث فقط فى الخصائص ولا نبحث مطلقا فى المناهج .

وقد الهم القرآن الكريم المسلمين ميتافيزيقاهم ولم يرد شيئا وراءها وحدد لهم دائرة البحث ودعا الى العلم التجريبى .

٢ — صحح القرآن الكريم الاخطاء التى نسبت الى الأديان والكتب السابقة أو التفسيرات غير الصحيحة التى نسبت اليها .

٣ — قدم القرآن الكريم تعاليم انسانية عامة تلبى حاجة المجتمعات فى جميع الازمان والعصور ، تؤكد المساواة والاخاء وتحارب العنصرية والطائفية وتكفل سعادة الدارين وتخدم العقل البشرى وتخاطب الفطرة الانسانية .

٤ — جاء القرآن الكريم بالاسس التى تستنبط منها القواعد الكلية للنظم جميعا وفسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الاسس وجاء بأحكام جديدة تعالج المشاكل .

فالسنة الشريفة مفسرة للقرآن ومكملة له تصديقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم ( لقد اوتيت هذا القرآن ومثله معه ) .

وفى نفس الوقت فان القرآن مستقل بنفسه وليس بحاجة الى الرجوع الى الكتب السابقة عليه ( وذلك بخلاف الانجيل الذى هو فى حاجة الى التوراة لتبيين الاحكام ) .

٦ — اشار القرآن الكريم الى عربية القرآن فى أكثر من عشرة مواضع فى سور ( الشعراء — الاحقاف — طه — فصلت — الزخرف — الشورى — الرعد — النحل ) .

وقال الامام الشافعى : على كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ولا يوجد دين حملته لغته التى انزل بها او كتب بها الى اقصى المشرق واقصى المغرب فى مدى لا يزيد عن مائة عام ثم بقيت محافظة على قوتها ووحدتها وطبيعتها الا دين الاسلام ولغة العرب اما سائر الأديان فلا تقرا كتبها الأصلية الا فى لغة البلد الذى ظهرت فيه فاذا تحول الى بلد آخر عن طريق الدعوة قرئت مترجمة الى لغته واختص بمعرفة الأصل طائفة قليلة من رجال ذلك الدين .

ومن مثل ذلك التوراة والانجيل وهما كتابان منزلان لا يقرآن فى العالم المسيحى اليوم الا فى لغة كل قطر من اقطاره اما القرآن فقد اعتقد المسلمون وبحق أن لغته جزء من حقيقة الاسلام لأنها كانت ترجمانا لوحى الله تبارك وتعالى ولغة الكتابة ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته وقد نشرها الدين بانتشاره .

٧ — لقد كان القرآن وحده هو القوة التى كانت ولا تزال تحول دون انحراف الاسلام والسقوط فى هوة التقليد او التأويل او التبعية والخروج عن المنابع الأولى فالقرآن هو الحقيقة النامية على مر العصور وكر الدهور دون أن يطرأ عليها تغيير او تبديل لتميزه بالأصل الالهى المطابق للفطرة والعقل والعلم ومطابقته لحقائق الماضى والحاضر والمستقبل فهو المعجزة الباقية فى اللفظ والمضمون ( وفى خلال أربعة عشر قرنا لم يتمكن أحد من معارضته ولم يستطع مذهب ما أن يضاهى منهج القرآن من حيث الخلود والشمول والاستجابة لكل عصر وبيئة ومن الحقائق التى امسكت العالم الاسلامى من أن ينهار وأمسكت الاسلام من أن يزول بقاء القرآن بنجوة عن كل التيارات سليما لم يمسه سوء .

٨ — الاسلام كما نص عليه القرآن ليس بدين جديد ولكنه الدين الأول الذى أوحاه الله تبارك وتعالى الى المرسلين الأولين فالاسلام هو دين الله مصححا ومحررا من التحريف الذى طرأ عليه ، حين تولى رجال الأديان تأويلها حتى خرجت عن أصولها .

والاسلام تبعض القرآن هو الوارث لجميع الشرائع السماوية .

جاء القرآن الكريم مصدقا لما بين يديه من كتب الله مؤيدا للتوراة والانجيل فى صورتها الأولى التى أنزلت بها ومصححا لما حرفته تفاسير الأحبار والرهبان . ثم منفردا بعد ذلك بمجموعة من الحقائق اختص الله تبارك وتعالى بها اتباع محمد صلى الله عليه وسلم .

**٩ — ما قدمه القرآن الكريم :**

**أولا :** قدم المنهج التجريبى فى مواجهة القياس اليونانى وتبين الفرق الواسع والعميق بين أسلوب القرآن وأسلوب الفلسفات وبينه وبين سجع الكهان والأساطير والمنطق السفطائى .

**ثانيا :** قدم منهج الغيب ( الميتافيزيقا ) .

**ثالثا :** منهج بناء الأمم والحضارات وسقوطها وسنن الله تبارك وتعالى فيها .

**رابعا :** منهج المعرفة ذى الجناحين .

وقد جاء القرآن الكريم حفاظا لأصل الدين الأول الذى جاء به كل انبياء

الله ورسله محررا لها من الاخطاء والتحريف حيث انهـا جميعا تتابعت لتصب فى النهر الكبير : الاســلام . فقد جاءت التوراة والانجيل تنبىء بذكر الرسالة الخاتمة والنبى الخـاتم وداعية المؤمنين بهما الى الايمــان محمد صلى الله عليه وسلم . والاســلام يجدد دعوة الأديان الســابقة فى أصولها ويؤكد وحدتها فى جوهر الدعوة الى الله والى حياة افضل وهو يصحح ما وقع فيها من تحريف وتبديل وهو مكمل لها بما شرعه من احكام ومعاملات دعا اليها تطور البشرية ثم هو يقدم منهج الدعوة العــالمية الجــامعة بعد ان كانت رسالات السماء تخص كل أمة بمفردها .

١٠ — جاء القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب كما جــاء مهيمنــا على هذه الكتب وقد صدق القرآن ما أوردته الكتب المنزلة من قبله ثم انفرد بأخبار عن بعض الأنبياء لم ترد فى الأسفار المتداولة اليوم ، منهــا المحاورة بين الله تبارك وتعالى وبين الملائكة فى صدد خلق آدم وخلافته وأمر الله تعالى الملائكة بالسجود له وامتنــاع ابليس ، وقصة تخلف أحد ابنــاء نوح عن الركوب فى السفينة وغرقه ، وأمر توبة آدم وقبولهــا من الله جل شــأنه وقصص ابراهيم مع أبيه وقومه واسكان ابراهيم بعض ذريته فى منطقــة البيت الحرام وتجديد بنــاء البيت هو واسماعيل ، وما أورده القرآن عن ايمان سحرة فرعون ومؤمن آل فرعون ، وصنع داود للدروع وحكم داود وسليمان فى الحرث الذى نفشت فيه غنم اليوم ، وتسخير الجبل والطير لداود وتسخير الجن والريح والطير لسليمان وبناء الجن له التماثيل والمحــاريب وغوصهم له وتقييده اياهم بالاغلال ، وقصة الهدهد وملكة سبأ وعرشهــا والصرح الممرد من القوارير واحضــار الذى عنده علم الكتاب لعرشها فى لمح البصر ، والجسد الملقى على عرشه والصافنات الجيــاد ومائدة عيسى وكلامه فى المهد وغير ذلك كثير ، كذلك اورد أشياء كثيرة مغــايرة لما ورد فى الاسفار مثل نسبة صنع العجل للسامرى فى القرآن بدلا من هارون فى الأسفار وشق قميص يوسف وهمه بامرأة العزيز ومثل ما جاء مختلفا من قصص يونس وأيوب وزكريا ومريم وامها وغير ذلك كثير .

كذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الانجيل والتوراة اذ اعلن أن محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) انما جاء ليحل للناس كل الطيبــات ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وليس ذلك

نقضا للمتقدم وانما وقوفا بالحكمة عند وقتها المناسب وأجلها المقدر .

وكذلك فقد كشف القرآن الكريم أمام المسلمين الخطر المبيت لهم واضاء لهم الطريق .

— كشف زيف الكتب القديمة لانهم رفعوا منها النص على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

**( النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التـــوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ) .**

كما حذر القرآن من فساد بنى اسرائيل وتغييرهم لنصوص التـــوراة

**( وويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله )**

واعلن أن هذا هو الذى نزع الملك منهم .

— جاء القرآن مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل ولكل ما سبقه من الكتب المنزلة وذلك التصديق لها انما بالنسبة لصورتها الأولى التى انزلت بها ولم تبعد عن منبعها ولم يتغير منها شىء ، ففى حالة الاختلاف يكون القرآن هو الأعلى والمصدق ويكون قوله الفصل ومن أجل ذلك وصفة الله تبـــارك وتعالى بالهيمنة على الكتب المنزلة قبله .

فالقرآن شاهد للكتب الســـابقة بالصدق عند الاتفاق وشـــاهد عليها ومصحح لها عند الاختـــلاف فى أمر من الأمور أما ما جاء فى القرآن مما لم يجىء فيها فهو حق انفرد به القرآن لانه الله تبـــارك وتعالى انزله بالحق ، أما ما جاء فيها مما لم يرد فيه فهو من المعلق الذى أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن تقف منه موقف المتحفظ لا نصدق ولا نكذب حتى يتبين لنـــا وجه الحق فيه .

**( وأتينا الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لمـــا بين يديه من التوراة ) المائدة**

**( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه )**

وقصة هيمنة القرآن على ما بين يديه كما يقول ( الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر ) هى قصة الحراسة الامينة على وحى السماء الذى انزله الله على الرسل قبل خاتمهم سيدنا محمد ومن قصة الحراسة الا يكتفى الحارس بتأييد ما خلده التاريخ لها من حق وخير بل عليه فوق ذلك أن يحميهـــا من

والدخيل الذى عســـاه أن يضـــاف عليها بغير حق وأن يبرز ما تمس اليه الحاجة من الحقائق التى عساها أن تكون قد أخفيت عنهـــا .

وهذا الموقف هو النتيجة الحتمية لما أخبر به الله تبـــارك وتعالى عن أهل الكتاب أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ومن بعض مواضعه وأنهم غيروا وبدلوا فى الكتاب .

**ثانيا :** أظهر القرآن الكريم ما أخفى أهل الكتاب .

قال تعالى : **( يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ) .**

وهكذا كان من مهمة القرآن أن ينفى عنها الزوائد وأن يتحدى من يدعى وجودها فى تلك الكتب .

**( قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين )**

**( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ) .**

وقد أجمعت آيات القرآن الكريم على فســـاد التوراة الحالية :

**أولا :** فساد تصورهم للذات العلية بما تنضح به نفوسهم من نقص ، تصوروا الله تعالى فى صور لا يليق وظهر تصورهم هذا فى كثير من قصص هذه الأسفار وشروحها .

**ثانيا :** قصة يعقوب مع ربه .

**ثالثا :** اتهام موسى عليه الســـلام .

**( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهـــا ) .**

١ — العلم الذى يتحدث عنه القرآن ، هو العلم بمفهومه الشـــامل الذى ينتظم كل ما يتصل بالحيـــاة ولا يقصر على على الشريعة فقد دعا الى النظر فى ظواهر الوجود ودراسة الكائن البشرى ووجه الى علم النبـــات والجمـــاد والحيوان والأجناس وقد كشف العلم اليوم عشرات الحقـــائق العلمية التى كان مصدرها المنهج التجريبى الذى صنعه المسلمون استمدادا من الآية الكريمة :

**( قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ) .**

وأن كثيرا من هذه الحقائق العلمية يطابق ما جاء به القــرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام ، مع التفرقة الواضحة بين الحقيقة العلمية التى تبينت تماما وبين النظريات العلمية التى ما تزال فروضا قد تثبت أو لاتثبت ، فالحقائق القرآنية لا توضع موضع اختبـــار ازاء النظريات العلمية ولا يجوز أن نربط القرآن الا بما وصل الى درجة الحقائق العلمية الثابتة .

مع تقرير الحقيقة بأن الكشوف العلمية لم تأت لتنشىء الايمـــان ولكن لتكون حجة المؤمن على ايمانه ، وقد حدد القرآن الكريم مســـائل ما بعـــد الطبيعة تحديدا خاصا وطالب بعدم الجرى فيما خلفها وأن علينا أن نبحث فى الكون وآفاقه ولكن لا نحاول أن نبحث فى الجوهر الذى لا يصل العقل الى حقيقته ، أى أن نبحث فى الخصائص ولا نبحث مطلقا فى الماهية فقد ألهم القرآن المسلمين ميتافيزيقاهم ولم يرد شيئا وراءها وحدد لهم دائرة البحث خوفا من الضياع والانحراف .

١٢ — كذلك فقد وضع القرآن الكريم أســـاس المعرفة واستوعب طرقها ووســـائلها فهى معرفة جامعة بين المادى والمعنوى كلا متكاملا غير قابل للتجزئة .

وتقوم نظرية المعرفة فى القــرآن على أســـاس التعـــادل والتكامل والتوازن بين الكم والكيف والروح والمادة والغاية والسبب .

وقد ربط القرآن بين الحواس والعقل والوجدان ودعا الى استعمـــال السمع والبصر .

كما قدم القرآن الكريم الأسس العـــامة للتقدم البشرى .

١ — تحرير الانسان من الخوف ومن العبودية لغير الله تعالى .

٢ — قيام العقل البشرى بواجبه ومسئوليته .

٣ — التقدم روحيا وماديا ، على قاعدة الجمع بين الأصالة والتجدد ، وفى ضوء الثوابت والمتغيرات .

٤ — الربط بين المنهج والتطبيق .

٥ — الجمع بين الوسائل والغايات .

وتؤكد عشرات الحقائق العلمية التى تظهر اليوم أن منهج الاسـلام التجريبى الذى بنى على قواعد القـرآن الكريم **( قل هاتوا برهانكم — قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض )** هو الذى كشفها — كذلك فان عشرات القوانين التى أقامت العدل بين الناس ورفعت الظلم تبين أنها من نتـاج الفقه الاسـلامية ، عشرات المناهج فى مجال التربية والتاريخ والاجتمـاع والاقتصاد يتبين أن الذين قدموها أمثال ابن خلدون وابن القيم والغـزالى قد استمدوها من القرآن الكريم ، عشرات الكشـوف الاثرية اليوم أكدت الحقائق التى جاء بها القرآن عن الأمم السـابقة عن عاد وثمود ، عن اليهود وعن سبـأ .

١٣ — علم القرآن أهله أن يطالبوا النـاس بالحجة والبرهان لأنه أقامهم على سواء المحجة وجدير بصـاحب اليقين أن يطـالب خصمه به ويدعوه اليه ، وعلى ذلك درج سلف هذه الأمة الصالح فقالوا : بالدليـل ونهو عن الأخذ بشىء من غير دليل : **( قل هاتوا برهانكم )** .

من هنا فالعقل والدين يلتقيان والعلم والدين يتفقان وقد قام الاسـلام فى مبدأه على توافق الوحى والعقل من خلال الاقتناع والتأويل دون اكراه : **( لا اكراه فى الدين )** .

لذلك فهو يرفض قولا باللسـان لم يقتنع به القلب والوجدان وكشف القرآن الكريم عن أن الطبيعة الانسانية فى مظهرها العـام تتبع أسـلوب ( الاقتناع ) أكثر مما تتبع قياس المنطق الأرسطى المستخدم فى البرهنة الكلامية والذى هو وقف على الخاصة دون العامة وأسـلوب القرآن هو للكافة ويجب أن يبقى فى حدود افهام هذه الكثرة .

وقال ليوبولد فابس فى هذا الصدد : كانت دعوة القرآن الكريم الى اعتنـاق الرأى نتيجة الاقتنـاع الكامل والتـأمل دون اكراه حيث يرفض القرآن القول باللسان ما لم يقتنع به القلب والوجدان ، وفى ذم التقليد يكشف القرآن عن منهج واحد ويدعو الى الاستقلال الفكرى .

**( ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صـم بكم عمى فهم لا يعقلون )** .

والمرء لا يكون تام الشخصية فى نظر القرآن الا اذا عقل ما يؤمن به وعرفه معرفة مقنعة فمن تقبل عقيدة او فكرة بغير اقتناع عقلى فهو مقلد .

وقد صور الامام السيوطى الفارق بين منهج القرآن فى البرهان وبين الفلسفة فقال : ان القرآن العظيم اشتمل على جميع أنواع البراهين والادلة ، وما منها شيء الا وكتاب الله قد نطق به ، لكن أورده على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأن الذى يميل الى رقيق المحاجة هو العاجز عن اقامة الحجة بالجليل من الكلام فأن من استطاع ان يفهم بالأوضح الذى يفهمه الكثيرون لم ينحط الى الأغمض الذى لا يعرفه الا الاقلون فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجلى صورة لتفهم العامة من جليها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من انبائها ما يربى على ما ادركه فهم العامة ، وليس الغرض من الادلة القرآنية : المجادلة بل الغرض منها تحصيل العقائد الحقة فى القلوب فأصبح من اليسير ان نرى فى القرآن ادلة اقناعية سهلة قريبة الفهم فطرية الادراك وهذا النوع من الفهم والضرب من الادراك تؤديه الأدلة الخطابية .

١٤ — كان عمل القرآن الكريم الاكبر هو صهر المسلمين فى وحدة فكر ، وقضاء على التفرقة والاختلاف والتمزق بين العناصر ، فقد اذهب العصبية وأحل محلها مكارم الخصال ، ثم وجه النفوس الى العلم باكتناه الطبيعة والكشف عنها كما دعا الى التجربة والبرهان والدليل ونشر اللغة العربية ودفعها الى الآفاق وجعلها لغة السياسة ولغة العلم ولغة المجتمع .

وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم هى التطبيق العلمى للقرآن وقد بنى القرآن الأخلاق على فضيلة التقوى ، وبنى التشريع على قاعدة المصلحة وبنى العقيدة على اساس التوحيد .

ورد القرآن مظاهر التقوى الى ثلاثة اشياء :

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله .

وغير القرآن المعالم الحضارية والمفاهيم الفكرية وجعل العمل اساسا لتقييم الانسان وربط الجزاء بالعمل ، ووضع مبادىء اساسية ذات اهمية عالمية توجه تطور المجتمع الانسانى على اساس جامع بين الروح والمادة ، واستهدف من ذلك كله تحقيق سعادة الانسان ، واقام الثوابت الثلاث : العقيدة فى الله تبارك وتعالى فى وجوده ووحدانيته وغير ذلك من الصفات

الواجبة له ، والعقيدة فى اليوم الآخر اى أن هناك حياة ثانية تكون بعد البعث والعقيدة فى العمل كقيمة اساسية فيها بكون الثواب والعقاب ولقد كان القرآن كتاب تحرير العقل البشرى من قيود الوثنية وكتاب تحرير الانسان من ربقة اخيه الإنسان بالقضاء على التبعية والرق والعبودية .

ومن هنا كانت صلاحية القرآن لكل زمان ومكان .

١٥ — من اكبر الدلائل على الوهية القرآن وأنه من عند الله تبارك وتعالى صور العتاب الموجه الى النبى صلى الله عليه وسلم :

١ — قصة ابن أم مكتوم ( **عبس وتولى** )

٢ — عندما حرم النبى على نفسه العسل ( **يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك** ) .

٣ — عندما قبل فداء الأسرى ( **ما كان النبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض** ) .

٤ — عندما قال لزيد بن حارثة ( **امسك عليك زوجك** ) .

١٦ — حدد الدكتور قدرى حافظ طوقان منهج القرآن العلمى — منهج البرهان والدليل وانعام النظر والفكر حين تحدث الى الماديين والدهريين وأرباب الملل والنحل ( **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل . أولئك هم الغافلون** ) .

١ — حمل القرآن على المقلدين من الذين يعطلون عقولهم ولا يستعملونها ( **ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يفقهون** )

( **قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** )

٢ — أمر القرآن باحسان استعمال السمع والبصر والعقل حتى يهتدى الانسان عن طريقها الى الحق والحقيقة ويكون الحق واضحا عنده والحقيقة ثابتة لديه :

( **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ) .

٣ — دعوة الى النظر فى الكون والبحث فى روائعه والى جعل العقل

أساسا للتحكيم والتفكير فى الطبيعة على جلالها وعظمتها كما يستحثه على اطلاق فكرة فى السموات والارض والوجود كل ولفت نظره الى السمـــاء وكيف رفعها والى الارض وكيف سطحها والجبال وكيف نصبها والى الانسان وكيف خلقه والانعام وكيف اوجدها .

وبهذا انطلق العقل البشرى باحثا منقبا منطلقا الى الوصول الى دقائق الحيـــاة .

**١٧ — أصول القـــرآن ثلاثة :**

١ — عقائد وما يتعلق بها من أصول الدين كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار .

٢ — شرائع وما يتعلق بأفعال الجوارح ومن الأوامر والنواهى وهى قسمان : العبادات والمعـــاملات .

١ — تأمين الدعوة وهو الجهاد فى سبيل الله .

٢ — تكوين الأسرة وتنظيم الأحوال ورعاية شئونها .

٣ — الفضائل الخلقية والآداب الاجتمـــاعية .

١٨ — منهج القرآن فى أسلوب المناظرة منهجان :

**الأول :** الاستدلال العقلى الصرف وذلك بالرجـــوع الى العقل ونصبه حكما .

**الثانى :** الاستدلال بالوقائع العامة التى يألفها الناس وجعلها محور التعقل وطريقة القرآن فى المحاورة ان يوردها فى مقام الوعظ والارشاد .

ثم عرض وقائع الامم والجماعات للذكرى والموعظة ولتـــأكيد نواميس الكون وقدرة الله تبـــارك وتعالى .

١٩ — أكد العلماء خطر تأويل القرآن تأويلا لا يحتمله نظمه الكريم ولا يتفق مع مبادئه العليا فقد كان التأويل من اخطر الاسلحة التى استعملت لتفسير النصوص تفسيرا يخرجها عن مدلولاتها الاصلية وقد حذر القـــرآن من هذا الخطر وأولى الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التحدى اهتماما كبيرا حتى لا يقع المسلمون فى محاذيره .

٢ - عرض القرآن لعقيدة الايمان بالله تبارك وتعالى واليوم الآخر من خلال قضايا الانسان الاجتماعية الكبرى وفى مقدمتها : تحرير الانســـان من العبودية للبشر فى المجلين السياسى والاقتصادى .

وقد وردت سورة القصص بكاملها لتدور حول هذين المحورين .

١ - التحرر من سلطان الطغيان السياسى .

٢ - التحرر من سلطان الطغيان المالى .

• • •

( ١ )

# خصائص القرآن

( ١ )

**أولا — احاطة القرآن بالفطــرة :**

يقول الدكتور محمد احمد الغمراوى : ان القرآن الكريم محيط بالفطرة احاطته بالدين ، مجملها كمجمله ، ومفصلها كمفصله . أن القرآن الكريم محيط بفطرة هذا الكون المشهود احاطته بالدين ، الا أن الدين قد وكل الله سبحانه تفصيل مجمله وتطبيق مفصله فى القرآن الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، اما فطرة عالم الشهادة فقد وكل سبحانه الى علمائها شرح ما اجمل وما فصل منها فى كتابه العزيز آيات من عجائبها أنها ترد فيها مادة ( علم ) بالمعنى الحديث كما هو واضح من موضوعها كمثل قوله تعالى :

**( وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتــدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ) .**

وقوله تعالى : **( ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ) بكسر لام العالمين .**

وللقرآن أسلوبه الحكيم فى الدلالة على آيات الله فى الكون فأن الهداية التى جاء القرآن من اجلها تقتضى الا يخاطب الناس عن الكون بما يفكرون فيقوم ذلك حجابا بينهم وبين قبول دعوته ، وحاملا على تكذيبه ، وهى أيضــا تقتضى الا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية فى عصر نزول الوحى به فيقوم ذلك حائلا دون قبول دعوته فى عصور العلم الكونى التى علم الله ( تبارك وتعالى ) الذى انزل القرآن أنها ستكون ، وتجنب هذين العائقين عن قبول هداية القرآن هو من بدائع اعجاز أسلوبه ومن اكبر الدلائل على أنه حقــا من عند الله فاطر الناس وفاطر الكون .

**ثانيا — الحكمة هى السنة قرينة القرآن :**

٢ — بين القرآن كل علم وكل شىء **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء)** حمل القرآن على أجل احتمالاته والبقها باعجازه .

الأليق الا يعدل عن وجه يفيده النص القرآنى الا بقرينة نافعة وان تعددت الأوجه فلو شاء الله ( تبارك وتعالى ) لأنزل النص لا يحتمل الا معنى واحدا ولو كان المعنى الواحد هو المراد — كيف كان القرآن تبيانا لكل شىء ليكون معيارا ومقياسا للكون .

**( وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون )**

اعتبر المفسرون أن القرآن قد حوى السنة المطهرة كلما بعموم تلك النصوص وكان الصحابة يرون أن ما سنة رسول الله فقد سنة الله فى كتابه بعموم قوله : **( وما آتاكم الرسول فخذوه )** .

وأن السنة النبوية مذكورة فى القرآن باسم الحكمة .

وأنزل عليك الكتاب والحكمة ( القرآن والسنة ) .

وتفسير الحكمة بالسنة قاله الحسن وقتادة ومقاتل وبن حيان وأبو مالك وغيرهم كما ذكر ابن كثير فى تفسيرهم .

سنة النبى الذى قرن الله طاعته بطاعته وأمرنا باتبـاع سنته :

**( واطيعوا الله واطيعوا الرسول )** .

**( ومن يطع الرسول فقد أطاع الله )** .

**( وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )** .

وقال تعالى : **( واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة )** الحكمة السنة : أن السنة النبوية من عند الله سواء اكانت وحيا بالفعل أم القـاء من روح القدس فى روع النبى صلى الله عليه وسلم كما فى حديث الأمـر بالاجمـال فى طلب الرزق ، أم اجتهادا منه صلى الله عليه وسـلم فان الوحى ينبهه الى حكم الله ان لم يصادف اجتهاد من حكم الله كما فى حادثة اسرى بـدر .

٣ — الله فاطر السموات والأرض ( ابتداه وانشاه ، خلقه ، أبراه ) ولم ترد كلمة فطرة الا فى آية واحدة **( فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله )** .

وقد شدد النهى أن يقال الطبيعة .

والحديث الشريف ينهى المسلم أن ينسب فعل الله الى غيره فقـد روى

النجارى عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال أمطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال امطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب .

فالفطرة هى ما غلب تسميتها بالطبيعة والحديث الشريف ينهى المسلم أن ينسب فعل الله الى غير الله وهو يأثم أكبر الإثم ان فعل .

وقال الحديث الشريف : ( كل مولود يولد على الفطرة ) .

ان القرآن الكريم جاءت أحكامه طبق سنن الله فى الناس افرادا وجماعات وسنن الله لا تتغير ولا تتبدل .

فالفطرة اذن تشمل كل ما يتعلق بالانسان بنص القرآن فى سورة الروم ، منذ أول وجه من وجوه احاطة القرآن بالفطرة .

وقد وردت مادة فطر على صيغة الماضى فى آية سورة الروم وفى آيات أخر على ألسنة الرسل ( فاطر — يوسف — الزمر — الشورى — ابراهيم ) .

وفى كل دلالة على الله تبارك وتعالى ومظهر التوحيد ومن عجيب الأحكام والحكمة أن المادة لم ترد فى القرآن الكريم بصيغة المضارع لأن معناها يحول دون ذلك فهى تدل على الابتداء والانشاء .

وكل ذلك قد كان وتم بالفعل .

والآيات الكونية ، آيات ظواهر الفطرة ، أمرها موكول الى أهل العلوم الطبيعية : آيات الفلك والطبيعة تحت اشراف سنن الله المضطردة المنشقة فى الفطرة .

( محمد أحمد الغمراوى )

● ● ●

ومن خصائص القرآن كونه معجزا واعجاز القرآن خصوصيته خص الله بها القرآن من بين كتبه المنزلة على سائر الأنبياء عليهم السلام ، وميزة تميز بها عن كل كلام آخر منسوب لله سبحانه أو لأى انسان بأى لسان ومنها كونه متعبدا بتلاوته فقراءة ما تيسر منه ركن من أركان الصلاة ولا يتم بدونه وأيما صلاة وقعت خالية من القراءة مع القدرة عليها فهى باطلة ، وقراءة القرآن خارج الصلاة عبادة أيضا ، ولم يعرف مثل هذه الخصوصية ثانية لشىء آخر فى الكتب السماوية .

( ٢ )

**اولا — احاطة القرآن بالمثل العليا كلها :**

فهو كتاب علم ولكنه لا يفرض نظريات ولا يسرد قوانين بل يتوجه الى الناس داعيا الى اعمـــال عقولهم فى فهم أسرار الحياة الدنيا ويؤكد لهم أن لهذه الحيـــاة سننا محكمة وقوانين ثابتة ويشير (بمقدار ما يهتم المجتمع الذى سمع القرآن لأول مرة ) الى بعض القوانين والسنن ويدعوهم الى اكتشافها فى أنفسهم فى عواطفهم وفيمن حولهم منه ، الابل والأنعام والدواب وفى النباتات وكيف تتجرد وتكتسى وتموت فى الشتاء وتحيا وفى الأرض وما فيها والسموات وما يرى منها ، ويخبرهم أن كل شىء فى الكون محدد المقـــادير ، قـــائم على نسب مضبوطة وعلاقات ثابتة ، وأن الذى أوتوه من العلم بهـــا قليل وأنه سيخلق مالا تعلمون ويعطى من يأتى من البشر من المعرفة بالكون مالا يعرفون .

**ثانيا — جاء دعوة الى التفكير :**

**( أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وآذان يسمعون بهـــا ) .**

**( أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض الا بالحق وأجل مسمى ) .**

ونفى القرآن على الذين عطلوا تفكيرهم فلم يستجيبوا للحق وقد كرمهم الله تبارك وتعالى اذ خلق لهم عقولا ولكنهم لم يفكروا بها فى المظـــاهر التى تدل على قدرة الله وحكمته .

**( ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ) .**

جاء القرآن ليحرر العقول من أغلال التقليد واتباع الاهواء .

**ثالثا :** جاء القرآن بما لم يكن يعرفه النبى أو تعرفه العرب فى أحاديث الماضيين ( تاريخ عاد وثمود وسد مأرب ونوح وابراهيم ) وأنباء عن أحداث قبل وقوعها ثم وقعت ، ومنها انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم .

ثم تشريع مغاير لما كان فى العصر كله عند العرب واليهود والنصارى كما نرى فى الزواج والطلاق والميراث والبيع والشراء والوصية والربا وغيرها .

ثم آيات مطابقة للحقائق التى اهتدى اليها العلم الحديث .

**رابعا :** خلاف عميق وواضح بين اسلوب القرآن واحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وكتبه وخطبه لكل منهما طابعه المميز فى النسق والنظم والتصوير والسمات العامة .

**خامسا :** من أعظم مهام القرآن العظيم :

معاونة الانسان على الانتقال من مستوى الجاهلية الى مستوى الحضارة الانسانية .

( يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم ( فى أى عهد ) يقصون عليكم آياتى ، فمن اتقى ( فمن تجنب انحرافات الجاهلية ) وأصلح ( بسلوك الهداية الالهية ) فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) .

ويتم هذا على النحو التالى :

١ — الترابط بين الأفراد على اساس القيم العليا فى حياة الانسان وليس على أساس العرق أو القبيلة .

٢ — التأليف بين القلوب برباط العقيدة والايمان بدلا من الرباط المادى : رباط الدم والقرابة .

٣ — الكرامة الانسانية لكل فرد بغض النظر عن اللون والنسب والعرق والجاه والمال .

٤ — التمايز بين الأفراد على مستوى الانسانية وحده وليس على اساس مادى آخر كالعرق والقبيلة .

٥ — ابراز المسئولية الفردية وعدم قبول المسئولية الجماعية .

**( فلا تزر وازرة وزر أخرى )** .

**( وكلهم آتيه يوم القيامة فردا )** .

**سادسا :** قدم القرآن تصورا كاملا للميتافيزيقا ( ما وراء المادة ) وقد بلغت الآيات التى تتعلق بالعلوم الكونية سبعمائة وخمسون آية صريحة .

( ٣ )

أبرز مقررات الاســـلام التى جاء بها القرآن الكريم :

**أولا :** ان الانسان له افعاله الاختيـــارية وارادته الحرة وعليها تقـــوم المسئولية الفردية وان ارادة الانسان هى مصدر حسابه وجزاءه ، وان ليس للانسان الا ما سعى وان أحدا لا يؤخذ بجريره أحد وان كل امرىء بما كسب رهين .

**( تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تســـألون عما كانوا يعملون ) .**

**ثانيا :** أوضح القرآن أن جميع الرسل واتباعهم منذ أقدم الأزمنة كان دينهم الاســـلام .

**( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينـــا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ) .**

**( هو الذى سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ) .**

**ثالثا :** تسخير الله تبارك وتعالى جميع مظـــاهر الكون وتمهيدها لبنى الانسان حيث سخر الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار وسخر الارض والانعـــام :

**( وسخر لكم ما فى الأرض جميعا منه ) .**

**رابعا :** التدرج فى التحريم — فقد تدرج التشريع القرآنى فى تحريم الخمر وفى تحريم الربا ففى تحريم الربا جاءت الآيات الكريمة على النحو الآتى :

**١ — ( وما اتيتم من ربا ليربوا فى اموال الناس فلا يربو عند الله وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ) .** ( سورة الروم )

**٢ — واخذهم الربا وقد نهو عنه واكلهم اموال النـــاس بالبـــاطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما . ( النساء )**

**٣ — يا أيها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . ( آل عمران ) .**

**٤ — يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا يظلمون . ( البقرة )**

(٢)

## الوحى ونزول القرآن

يروى ابن عباس : أن القرآن نزل جملة واحدة الى السماء الدنيا فى هذه الليلة ( المباركة ) ثم نزل بعد ذلك منجما على رسولنا الأمين .

يروى الشعبى : أن ابتداء نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى تلك الليلة ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا مع الوقائع والمناسبات فليس للقرآن سوى نزول واحد .

وقد ورد فى كيفية تنزيل القرآن طريقان :

**احدهما :** أن النبى صلى الله عليه وسلم انخلع من صورته البشرية الى صورة ملائكية واخذه من جبريل .

الثانى : أن الملك انجلع الى البشرية حتى اخذه الرسول منه .

وأن الله تبارك وتعالى قادر على أن يخلق لمن يشـاء من عبـاده علما ضروريا بكلامه من غير توسط حرف وصوت ودلالة وقد نزل القرآن منجمـا دفاعا عن عقيدة وتقريرا لحقيقة وبيانا لحكم أو جوابا عن سؤال أو استفناء وكان ينزل احيانا بالسورة الكاملة واحيانا بالآية والآيتين والثلاث .

وقيل أن الحكمة فى نزول القرآن منجما هو تثبيت فؤاد الرسول على الحق وشحذ عزمه للمضى فى دعوته ، فكلما اشتد المه لتكذيب قومه له نزل شىء من القرآن ناصرا له ومؤيدا .

**( كذلك لنثبت به فؤادك ) .**

كما أن فى ذلك ما يسـاعد على التحدى به وتحقيق الاعجاز فضـلا عما فيه من التيسير على الرسول والناس فى حفظه وتدبر معانيه كمـا يجعله مسايرا للحوادث ويجعل التشريع متدرجا فلا يشق على الناس وقد نزل القرآن فى أكثر من اثنين وعشرين سنة فى مكة والمدينة ، ففى مكة خلال ثلاث عشرة سنة نزل فيها اقل من الثلثين وكانت اغلب آياته فى هذه الفترة توجه النـاس الى عقيدة التوحيد وطابع الآيات المكية : القصر والايجاز ليسهل على السامع

وعيها ، وليكون لها من نغم الترتيل ما يجعلها أوقع فى التأثير وخاصة انها تخاطب فى الانسان العقل والعاطفة والوجدان كما تتميز بقوة المعارضة الجدلية .

وكانت فترة نزوله بالمدينة نحو عشر سنوات نزل فيها نحو ثلث القرآن، وكان أكثر ما نزل فيها يتعلق بالتشريع وتتميز الآيات المدنية بالطول غالبا إذ أن آيات التقنين تحتاج الى تبصر لاستنباط الأحكام فيها فوق ما يلزم من طول لبيان علة الحكم .

● ● ●

ويقرر علماء المسلمين ان الوحى فيما عدا القرآن نوعان :

١ — نوع ينسب صراحة ودلالة الى الله تبارك وتعالى وهو الحديث القدسى .

٢ — ونوع يصدر عن النبى دون نسبه الى الله تبارك وتعالى والفرق بين الحديث القدسى والقرآن : ان للقرآن خصائص ليست للحديث القدسى فالقرآن موحى بلفظة ومعناه وترتيبه ومنقول الينا متواترا ويتحدى بلفظه ومعناه ومتعبد بتلاوته ويحرم على المحدث مسه وعلى الجنب ونحوه .

وقال العلامة الطيبى : القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم والحديث القدسى اخبار الله تبارك وتعالى معناه بالالهام أو بالمنام فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أمته بعبارة نفسه وسائر الأحاديث لم يضفها الى الله تعالى ولم يزدها عنه تعالى .

● ● ●

( ٣ )

# وحدة الرسالات السماوية

أورد القرآن الكريم قصص الأنبيـــاء وقد تضمن دعوتهم الى قومهم والمعجزات التى أيدهم الله تبارك وتعالى بهـــا وموقف المعاندين منهم ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين .

كقصص نوح وابراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد .

٢ — وفى سورة الأنبياء مظهر واضح لوحدة الرسالات فقد تحدثت السورة عن قصص الأنبياء فذكرت طرفا من قصة موسى وهارون وابراهيم ولوطا وداود وسليمان وأيوب واسماعيل وادريس وذى الكفل وذى النون وزكريا ومريم ، ثم عقبت على ذكرهم جميعا بالآية الكريمة :

**( ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون ) .**

هذا هو الغرض الأصيل من الاستعراض الطويل .

٣ — كما أبان القرآن أن وسائل الأنبياء فى الدعوة موحدة وان استقبال قومهم لهم متشابه فضلا عن ان الدين من عند الله : اله واحد وأنه قائم على أساس واحد . ودعوة الرسل واحدة وموقف الاقوام واحد .

٤ — كما اشـــار القرآن الى أن الله تبارك وتعالى ينصر انبيـــائه فى النهاية ويهلك الكافرين وفى ذلك تثبيت لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الله وخذلان الباطل .

لقد نصر الله نوحا ومن آمن معه واغرق قومه وانقذ ابراهيم من النار ونجاة من كيد الكافرين وانقذ لوطا واهلك قومه بالخسف والعذاب هذا فضلا عن تصديق الانبياء السابقين واحياء ذكرهم وتخليد آثارهم وبيان نعمة الله تبارك وتعالى عليهم .

٥ — وكانت قصة موسى عليه السلام اكثر القصص فى القرآن تكرارا اذ وردت فى حوالى ثلاثين موضعا فى القرآن .

( الأعلى — الفجر — الاعراف — الفرقان — مريم — طه — الشعراء — النمل — القصص — الاسراء — يونس — هـــود — غافر — فصلت — الذرايات — الكهف — ابراهيم — الأنبياء — النساء — المائدة ) .

٦ — أورد القرآن قدرة الله على الخوارق فى قصة خلق آدم ومولد عيسى وقصة ابراهيم والطير الذى اب اليه بعد أن جعل على كل جبل منهم جزءا وقصة الرجل الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها وقد أماته الله مائة عام ثم بعثه .

٧ — اكثر الأنبياء ورودا فى القرآن هما ابراهيم وموسى .

ابراهيم أبو الأنبياء وموسى رائد سلسلة انبياء وملوك بنى اسرائيل الطويلة والدور الواسع المتشعب الذى قام به كل منهما فى بداية الدعوة الى الله تبارك وتعالى الواحد ، والمساحة الزمنية التى اشغلاها والتى تؤكد معطيات الآثار المعاصرة على امتدادها وشمولها وخطورتها وقد فضل القرآن الكريم تجربة هذين المبعوثين الالهين مع عدد من الجماعات والأقوام .

٨ — عروض القرآن التاريخية لم تنصب على الأنبياء كافراد فحسب بل اتجهت الى الأقوام ( كجماعات ) تقوم بدورها الحاسم فى حركة التاريخ كذلك .

٩ — أورد القرآن عددا من التجارب البشرية التى مارسها أفراد عاديون انظر وقائع أصحاب الجنتين ، أصحاب الحجر ، قوم لوط ، أهل الكهف ، أصحاب الأخدود ، انظر وقائع فرعون ، وقارون ، وذى القرنين ، وأصحاب الفيل .

• • •

# الحكمة هى السنة

السنة النبوية مذكورة فى كتاب الله باسم الحكمة .

**( لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يعلمهم الكتـــاب والحكمة ) .**

**( وانزل عليك الكتاب والحكمة ( أى القرآن والسنة ) .**

وتفسير الحكمة بالسنة قال به الحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم مما ذكر ابن كثير فى تفسيرهم .

قال الشافعى : كل ما بين رسول الله مما ليس فيه كتاب ومنه كتبـــة فى كتابنا هذا من ذكر ما من الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة دليل على أن الحكمة سنة رسول الله وقد ربط الحق تبارك وتعالى بين طـــاعته

وطاعة الرسول .

**( وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) .**

**( ومن يطع الرسول فقد أطـــاع الله ) .**

**( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) .**

**( واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ) .**

( واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ) .

الحكمة السنة : ان السنة النبوية من عند الله ســـواء أكانت وحيـــا بالفعل أم القاء من روح القدس فى روعه صلى الله عليه وسلم كما فى حـــديث الأمر بالاجمال فى طلب الرزق أم اجتهـــادا منه صلى الله عليه وسلم فان الوحى ينبهه الى حـــكم الله ان لم يصادف اجتهاده وحكم الله كمـــا فى حادثة أسرى بدر .

**الحــكمة :**

**قال** صلى الله عليه وسلم : ان روح القدس قد نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها ورزقها فاجملوا فى الطلب .

**قال الامام الشافعى : فكان مما القى فى روعة سنته وهى الحكمة التى ذكر الله .**

# الباب الأول

## قضايا القرآن الكريم

١ ــ لغـــة القـــرآن .

٢ ــ براءة القرآن من الألفـــاظ الأعجمية .

٣ ــ الأحرف السبع والقراءات السبع .

٤ ــ المحـــكم والمتشـــابه .

٥ ــ التـــكرار فى القـــرآن .

٦ ــ اســـلوب القـــرآن .

٧ ــ فواتح الســـور .

٨ ــ تلاوة القـــرآن .

٩ ــ قدسية الخط العربى فى كتابة المصحف .

١٠ ــ ترتيب القـــرآن .

١١ ــ الفواصل فى القرآن الكريم .

١٢ ــ الأمثـــال فى القـــرآن .

١٣ ــ القـــرآن ودعاوى الحفظ .

١٤ ــ نبـــوءات القـــرآن .

# قضايا القرآن الكريم

عنى علماء المسلمين بالقرآن عناية كبرى لم يصل اليها أى كتاب من قبل أو من بعد فقد عنوا بضبط الفاظه وعد كلماته وحروفه وبيان مكية من مدنية وما نزل منه فى الصيف وما نزل فى الشتاء وما نزل منه بالليل وما نزل بالنهار ، وما نزل فى السماء ( وهى آية فرضية الصلاة ليلة المعراج ) وما نزل منه فى الأرض وهو سائره وما نزل منه مفرقا وما نزل مجموعا واحصوا وقوفه وشرحوا عربيته وبينوا محكمة من متشابهة وناسخة من منسوخة والفوا فى ذلك كتبا كثيرة .

وقد وضعت كتب فى علم الرسم بينوا فيها كيف تكتب الفاظه بالضبط والتدقيق الفائق .

قال ابن مسعود : سلونى هو الله ما من آية من كتاب الله الا وانا اعلم فى ليل نزلت أم فى نهار ، وفى سفر أو فى حضر وفى صيف أو فى شتاء ، وقبل الهجرة أو بعدها ، ولو اعلم رجلا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الابل لركبت اليه وقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة .

• • •

( ١ )

# لغة القرآن الكريم

قال الامام الشاطبى : انه لابد فى فهم الشريعة من اتباع معهود الا مبين ( وصم العرب ) الذين نزل القرآن بلسانهم فان كان للعرب فى لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه فى فهم الشريعة .

ويتضمن عنصر اللغة هذه الألفاظ ومقرراتها وللالفاظ فى كل لغة مدلول ومفهوم يتصل بحياة اهلها .

( أعلم أن الصبر عند العرب ليس من التذلل فى شىء كما يصبر المضطهد العـاجز بل هو أصل القوة والعزم وكثر فى كلام العرب استعماله بهذا المعنى .

**( والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس )**

فذكر فى مواطن الصبر : الفقر والمرض والحرب وذلك اصول الشدائد وكذلك الصبر عند نزعات النفس على أذى النـاس **( ولمن صبر وغفر )** يقول الدكتور محمد المبارك لكل امة تراكيبها وتشابيهها وصورها ومجازاتها ومقاصدها فى كلامها .

وقد أدى سوء فهم التعابير العربية والتشابيه والمجازات فى عصـور الفهم الأعجمى للقرآن الى مذاهب منحرفة وتأويلات باطلة اخرجت القرآن عن نهجه القـويم وفهمه العربى الصحيح ، ذلك ان اللغـة تخفى وراءها عادات أهلها والصور التى ألفوها والمفاهيم التى تصوروها ، وكذلك كان من وسائل فهم القرآن الضرورية كما قال الامام الشاطبى معرفة عادات العرب فى اقوالها وافعالها ومجارى أحوالها حالة التنزيل .

● ● ●

( ٢ )

نزل القرآن بلهجة قريش ( كما ذكر الرواة والعلماء ) ولهجة قريش هى اللهجة النموذجية الأدبية وقد نضجت ووصلت الى الذروة فى فصاحتها وبلاغتها .

ويرجع هذا الى عدة عوامل :

١ — جغرافى : فالحجاز منطقة مستقلة .

٢ — دينى : فقريش سدنة البيت .

٣ — اقتصادى : فمعظم تجارة العرب بأيدى قريش يجولون بها أطراف الجزيرة شمالا وجنوبا .

٤ — سياسى : فنفوذ قريش فى أنحاء الجزيرة واضح .

وقد أشار الفارابى الى هذا المعنى فى كتابه ( الألفاظ والحروف ) حين قال : كانت قريش اجود العرب انتقاء للأفصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق ورسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) افصح العرب وهو من قريش ، وقريش من ولد اسماعيل وولد اسماعيل افصح من اليمن الذين هم من ولد يعرب بن قحطان .

وحين كتب المصحف قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :

اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شىء فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم » .

غير أن القرآن الكريم قد اشتمل على كثير من لهجات العرب التى انتشرت فى الجزيرة العربية ، وهذا يبعد ما يدعيه بعض المحدثين من أن الاسلام فرض على العرب جميعا لغة عامة وهى لغة قريش .

وقد نزل القرآن بسبعة أحرف ليبسر للعرب جميعا الانتفاع به والالتصاق باحكامه وآدابه .

ومن هنا فهو فائق على كلام العرب بحيث لا يدانيه كلام ولما كان الشعر هو ديوان العرب فقد كان المصدر الوحيد الذى لجأ اليه ابن عباس فى تفسير غريب القرآن .

وقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اى عام القرآن افضل فقال النبى : « عربيته فالتمسوها فى الشعر » .

وفى القرآن لغات :

رغدا : بمعنى الخصب بلغة طىء .

الصاعقة : بمعنى الموت بلغة عمان .

رجزا : بمعنى العذاب بلغة طىء .

خاشعين : بمعنى صاغرين بلغة كنانة .

فباءوا بغضب : بمعنى استوجبوا بلغة جرهم .

اشتروا : بمعنى باعوا بلغة هذيل .

فلا رفث : بمعنى الجماع بلغة مذحج .

ثم أفيضوا : بمعنى انفروا بلغة خذاعة .

بغيا بينهم : بمعنى الحسد بلغة تميم .

فلا تعضلوهن : بمعنى لا تحبسوهن بلغة ازد شنوءه .

هذه اللهجات العربية التى وردت فى القرآن لم تطغ على لغة قريش فمعظم كلمات القرآن قرشية ، ولكن نظلم الحقيقة اذا قلنا : ان القرآن فرض لهجة قريش على قبائل العرب وألزمهم القراءة بها فقد انزل القرآن على سبعة أحرف .

يقول السيوطى : ان الذين نقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب : هم :

( قيس . وتميم وأسد ) فان هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ وعليهم اتكل فى الغريب وفى الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة .

ويقرر الباحثون أن لغة قريش مختلطة ، ذلك أن قريش لم تغلق باب الهجرة أو الاحتكاك فالقرآن نص على أن لها رحلتين رحلة الشتاء والصيف ، ووفق قوانين تصارع اللغات .

فضلا عن تأثير أسواق العرب التى كانت تقام فى الجاهلية وموسم الحج وتأثيره اللغوى ، ومن هنا كانت تأخذ قريش ما خف وقعه على مسامعهم من الألفاظ الرقيقة والكلمات العذبة الموسيقية وعلى مدى السنين تكونت لهجتهم فهى خليط من لهجات عديدة ، ومن ثم نزل القرآن بها لأنها اللهجة التى تتمثل فيها لهجات العرب ولأن لهجة قريش انتخبت من جميع اللهجات .

انها لغة واحدة فى صميمها ولا تعدو الاختلاف بين الشمال والجنوب أن يكون يسيرا فى صفات الحروف من جهة وهمس وتفخيم وترقيق وهمز وتسهيل ، ولو جاء القرآن كله بالافصح لكان على غير النمط المعتاد فى كلام

العرب فى الجمع بين الافصح والفصيح ، فلا تتم الحجة من الاعجاز ( ابن الجزرى ) .

ومن هنا فان لغة القرآن لم تكن لهجة واحدة ولكن من كمالها ان تكون مشتملة على كثير من لغات العرب الاخرى ليكون التحدى أتم والمعجزة أبلغ ( عبد العال سالم مكرم ) .

● ● ●

( ٣ )

**( وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ) :**

فالقرآن عربى الألفاظ والاساليب والصياغة — كما يقول الدكتور على العمارى — والفاظه هى التى كان العرب يستعملونها فى شعرهم ونثرهم ومخاطباتهم وطريقته فى تأليف الجمل هى طريقتهم .

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف لغة غير العربية ولد فى قريش واسترضع فى بنى سعد ، وقريش وبنو سعد من أفصح قبائل العرب ، وكان صلى الله عليه وسلم يعرف كثيرا من لهجات القبائل وبذلك تسنى له أن يخاطب وأن يكتب الى كل قوم من العرب بلهجتهم .

وقد توهم قوم أن قوله تبارك وتعالى ( على قلبك ) ان القرآن انزل من السماء بمعناه وان محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) كساه الفاظا من عنده .

قال الزمخشرى فى تفسيره الكشاف :

تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك ، تنزيل له على قلبك لانك تفهمه ويفهمه قومك ، ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس وحروف ولا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا لعدة لغات فاذا كلم بلغته التى نشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا متلفتا الى معانى الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت ، وان كلم بغير تلك اللغة — وان كان ماهرا بمعرفتها — كان نظره — أولا — فى الفاظها ثم فى معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين ) أ . هـ .

على أن كلمة ( بلسان ) واضحة الدلالة على أنه المنزل هو الالفاظ مع المعانى لا توصف بانها انزلت بلسان وكلمة الانزال نفسها وقد وردت فى هذه الآية وآيات اخرى — تفيد أن المنزل كان بلفظه ومعناه ذلك أن لا يقال للمعنى انه انزل — فيما يتذوقه الانسان من اساليب اللغة وانما يوصف بانه القى فى القلب أو أوحى به ، أو ما أشبه هذه الالفاظ .

كذلك لو كان انما أوحى بمعانى القرآن الى قلب الرسول لم تكن حاجة الى وساطة الروح الأمين فان الله أوحى الى نبيه معانى الأحاديث القدسية ولم يكن النازل بها جبريل فكما لا يحتاج من يرى رؤيا غير صفاء روحه واتصاله بالملكوت الأعلى لا يحتاج من يوحى اليه معنى من معانى القرآن الى أكثر من هذا .

**( انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ) . ( يوسف )**

**( انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ) ( الزخرف ) .**

وعقل الأشياء هو ادراكها ادراكا حقيقيا ، شاملا لكل جزئياتها ، لذلك جاء هذا المعنى مع انزال القرآن عربيا ، لأنه انما انزل بلغتهم ليفهموه حق فهمه وليدركوه حق ادراكه أى ليعقلوه ، وذلك معنى قوله يعلمون .

**( كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ) ( فصلت ) .**

ذلك أن العلم هو ادراك الشيء بحقيقته ، وهو انما كان يستعمل فيما يعرف معرفة واضحة ومعنى تفصيل الآيات انها جعلت فصولا متفرقة فى سورة ببيان حقائق العقائد والأحكام والحكم والمواعظ وفى مواجهة تعنت الكفار فى قولهم ( لو نزل بلسان أعجمى ) قال تعالى :

**( ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أ أعجمى وعربى )**
أى اكتاب أعجمى ورسول عربى .

● ● ●

اما لماذا لم يكن القرآن فى درجة واحدة من الوضوح فجوابه أن الله تبارك وتعالى اراد لعباده أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث والدرس حتى يكون للعالم فضل على من رضى بالكسل .

قال ابن قتيبة : لو كان القرآن كله ظاهرا مكشوفا حتى يستوى فى

معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة ومع الكفاية يقع العجز والبلاء .

وقال : لم ينزل الله تبارك وتعالى شيئا من القرآن الا لينفع به عباده ، ويدل على معنى ارادته .

● ● ●

**( ثبات لغة القرآن ) :**

ان ثبات لغة القرآن هى احدى ميزاته الكبرى فما تزال الالفاظ التى استعملها للمعانى قائمة ممتدة على الزمن والعصور والفاظ الخير والشر والحق والباطل والعدل والظلم والتعاون والبر ( من الالفاظ الدالة على المفاهيم الخلقية ) أو ( العقود والرهن والقرض والدين والاجل والطلاق والعدة والقصاص ) من الألفاظ الدالة على مفاهيم الحقوق أو الشرك والعبادة أو من صفات الله تبارك وتعالى ( كالأول والآخر والحليم والعليم والحى والسميع والبصير والاحد والقيوم ) ومن الألفاظ المتعلقة بمفهوم الاسلام عند الله تبارك وتعالى : هذه الألفاظ كلها لا تزال تستعمل مقرونة بمعانيها دون انحراف أو تغيير أو تبديل ، لذلك كانت وسيلة لتثبيت المفاهيم ونقلها الى الأجيال المتلاحقة سالمة كما وردت وعلى ما اراده لها الشارع

وهكذا يبقى الاسلام ثابتا فى مفاهيمه العامة واتجاهاته ومعالمه الكبرى التى رسمها للحياة الانسانية ويبقى قابلا لتنوع الأساليب فى التطبيق ومراعاة مختلف الأحوال والمراحل والشروط الاجتماعية .

وكذلك اللغة العربية فهى ثابتة الأصول والجذور قادرة على متابعة تطور الانسان فى التعبير عن مختلف حالاته وبذلك يلتقى الاسلام على أنه ( رسالة ) مع العربية على أنها وسيلة للتعبير .

**( انا جعلناه قرآنا عربيا لقوم يعقلون )**

ولقد كتب العلماء والباحثون حول الثبات والتطور فى اللغة العربية وقالوا ان الكلمة العربية ترجع الى أصل ثابت فى حروفه وفى معناه الأصلى ، ويرجع ذلك الثبات فى أصول الكلمات التى هى فى الغالب ثلاثية فهى العنصر

المادى الثابت ثم هى تتطور بعد ذلك الى معانى اخرى وهذا سر ثبـــاته معانى الألفاظ العربية .

أما فى اللغات الأخرى فان الفاظها فى الغالب لا تحـــافظ على أصولها الصوتية ولا على معانيها الاصلية فتتبدل الكلمة من عصر الى عصر بتبـــدل حروفها واصواتها وتبدل معانيها حتى تعود كلمة اخرى لا يبدو لها صـــلة بماضيها ، كذلك فى التعبير عن المعانى قد تتبدل فتخلع المعـــانى ثباتها الى الكلمات الدالة عليها لتلبس غيرها .

والنتيجة الخطيرة لهذه الظاهرة اللغوية : هى انقطاع ما بين أجيال الامة الواحدة من صلة فى الفكر واختـــلاف المفـــاهيم وربمـــا ادى ذلك الى الالتبـــاس فى فهم النصوص القديمة بل ســـوء فهمها لأن معـــانى الألفـــاظ والتعابير قد تبدلت فاذا كان هذا النص حقوقيا أو دينيا او تاريخيا ادى ذلك الى انحراف او تبديل فى فهم النصوص القانونية أو الدينية او التاريخية .

ومن ذلك مثلا كلمة ( **dejenmer** ) كان تعنى فى الفرنسية طعام الفطور لأن معناها الأصلى كسر الصوم ، وكلمة ( **dinues** ) تعنى الغداء ، أما اليوم فالأولى تعنى الغداء والثانية تعنى العشاء — أن مثل هذه الحادثة لا تقع فى العربية لثبات الأصول الاشتقاقية حروفا ومعانى ولم يمنعها ذلك من الوفاء بحاجات الانســـان ومتطلباته فى الحياة وعلى اختلاف العصور .

وهكذا فان ثبات أصول الاســـلام بمفاهيمه العـــامة التى تكون العقيدة واتجاهاته الكبرى التى تكون تعاليمه ومبادئه فى الحياة وحرص الاســـلام على ســـلامة هذه المفاهيم والمبادىء وجعلها فى منأى من الانحراف والتبديل ، كل ذلك يرجع الى ثبات اللغة التى تنقل هذه المفاهيم والمعانى وثبات أصولها أى ثبات الحروف الأصلية التى تتألف منها الكلمة وثبات المعانى الأصلية العامة التى تدل عليها تلك الحروف .

( محمد المبـــارك )

● ● ●

( ٢ )

## براءة القرآن من الألفاظ الأعجمية

اجمع الائمة : الشافعى والطبرى والباقلانى ( صاحب كتـاب اعجاز القرآن ) على أنه لا يوجد فى القرآن لفظ غير عربى ، لأن القرآن انزل بلغة العرب ولو اشتمل على غير لغـة العرب لم تكن له فائدة لأن الله تبارك وتعالى جعله معجزة نبيه ودلالة قاطعة لصدقه وليتحدى العرب العرباء به ، ذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شىء لتوهم قومهم أن العرب انما عجزت عن الاتيان بمثله لأنه أتى بلغـات لا يعرفونها .

وأن هذه الألفـاظ التى هى موضع الشبهة انما نقلها العرب الى لغتهم وتصرفوا فيهـا بالنقص فى حروفها وخفضوا من عجميتهـا واستعملوها فى أشعارهم ومنثورهم حتى جرت مجرى العربى الفصيح وعلى هذا الحد نزل بها القرآن الكريم .

ويرى البعض أنها من باب اتفاق اللغـات فهى عربية ولا مانع أن تكون قد وجدت فى غير العربية .

● ● ●

ويقول الامام الباقلانى : ان كل كلمة مستعملة فى القرآن هى عربية والاعاجم هم الذين أخذوها من العرب وحرفوها . وان اشتمال القرآن على بعض الفـاظ اعجمية قليلة لا ينافى عربيته وان هناك كلمتين أو ثلاثا أصلها أعجمى وقد استعملها العرب » .

● ● ●

ولا تناقض بين من قال ان هذه الألفـاظ فى الأصل أعجمية ثم عربت فصارت عربية فمن قال انهـا اعجمية انمـا نظر باعتبـار الأصل ومن قال انهـا عربية قال باعتبار المثـال .

قال تعالى : « **انا أنزلناه قرآنا عربيا** » .

وهذا يدل على أنه ليس قد غير العربية لأن الله تبـارك وتعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه صلى الله عليه وسلم ودلالة قاطعـة لصدقه وليتحدى

العرب العرباء ويحاصر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة .

وقال ابن فارس : من زعم ان فيه غير العربية فقد أعظم القــول وقال أحمد كمال باشا الاثرى المصرى ان جميع الكلمات التى يقال انهــا اعجمية مثل : ( أكواب وأباريق — أبا — سرى — هيت — الرس — قط — يم — يحورا — سينين — قيوم — زبر ... الخ ) فكلها عربية لورودها فى اللغة المصرية القديمة التى هى أصل العربية ويقرر أحمد كمال باشا ان اللغــة المصرية ( اى لغة قبــائل الاعناء ) التى سكنت وما جاورها من الاقاليم هى أصل اللغــة العربية بلا مراء وقد نزل القرآن الكريم بهذه اللغة العربيــة ونص على ذلك نصــا صريحا فى آيات كثيرة .

● ● ●

ويقرر الدكتور عبد الله الجبورى فى بحث ضاف حول قضــايا القرآن ما يلى :

ان اللغــة العربية ســابقة متقدمة على جميع اللغــات فكيف تكون فيها كلمات معربة من لغــات العجم او غيرها من اللغــات وانما هذه الكلمات التى قالوا انهــا معــربة من لغــات العجم هى كلمــات تكلموا بهــا فى لغاتهم محرفة عن اصلها العربى ابين الذى هو أقدم من السنة العجم كلها حتى أن الوحى من الله تبــارك وتعالى لآدم عليه الســلام ولكل نبى بعــده كان بالعربية كما روى عن ســعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

( والذى نفسى بيده ما انزل الله عز وجل وحيا قط على نبى من الانبياء الا بالعربية ثم يكون ذلك النبى بعد تبليغ قومه بلسانهم ) أ.هـ يقول : ان هذه الكلمات التى فى القرآن العظيم ليست منقولة من لســان العجم وانما اصلها فى لغة العرب العرباء وهى اللغة القديمة ثم تكلمت بهــا العجم فغيروها بسبب لســانهم الأعجمى ثم لما نزلت بالوحى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتكلمت بها العرب المستعربة فى بلاد الحجــاز . وقد وجد العلماء فى لغــة الفرس ولغة الروم ولغة الحبشة وامة النبط من تكلم بهــا محرفة متغيرة لعدم امكانهم النطق بها صحيحة كما هى فى لغة العرب العرباء وقالوا غيرتها العرب وعربوها .

وقد أورد الشيخ النابلسى حججا على تنزه القرآن الكريم من المعربات ( تشريف التعريب ) قال فاللغة العربية سابقة متقدمة على جميع اللغات فكيف تكون فيها كلمات معربة من لغات العجم أو من غيرها من اللغات وانما هذه الكلمات التى قالوا انها معربة عن لغات العجم ، هم العجم تكلموا بها فى لغاتهم محرفات عن أصلها العربى المبين الذى هو أقدم من ألسنة العجم كلها » .

وقد تحقق عن جمهور من علماء اللغة من العرب والأعاجم أن اللغة العربية من أقدم اللغات ، ولها تاريخ طويل ما زال مجهول البداية ثم انهم اتفقوا على انها اصل لمجموع ما عرف حديثا باللغات السامية / العربية القديمة .

قال الخليل بن احمد الفراهيدى فى كتاب ( العين ج ١ ) ان كنعان ابن سام بن نوح ينسب اليه الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية .

وقال الامام ابن حزم الاندلسى فى كتابه ( الاحكام فى اصول الاحكام ) أن الذى وقفنا عليه يقينا ان السريانية والعبرانية والعربية التى هى لغة مضر لا لغة جمير واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث بها جرس فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها انما هو على نحو ما ذكرنا من تبديل الفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وانها لغة واحدة فى الأصل » .

ومعنى هذا أن الأصل هو اللغة العربية وأن هذه اللغات العربية القديمة هى التى يطلق عليها اللغات السامية ( انظر لسان العرب ) .

ومن هذه اللغات الاكادية والثمودجية والسريانية والكنعانية والعبرية، مما رسب فيها من الفاظ كانت دارجة فى اللغة الأم ( الأصل العربية ) فاختفت لطول العهد بها وتناسى أهلها لاستعمالها وعلى تراخى الزمن وتنائى الديار اصطبغت بصبغة اللغات التى احتضنتها واستعملها المتكلمون بها حسبها نفر من أهل اللغه أنها ( معربة أعجمية ) وذلك حينما عادت الى أصولها الأولى والى لغتها الأم العربية .

وقال ابن عرفة فى لســـان العرب ( والا فليس فى القرآن غير العربية ) وواقعة عليه جمهور من ثقات الائمة امثال الامام الشافعى ( حجة لغة العرب ) وأبى عبيدة بن معمـــر بن المثنى والحكيم الباقلانى وابن جرير وابن فارس والصاحبى لقوله تعالى :

**( وقرآنا عربيا ) وقوله : ( ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته : أأعجمى وعربى ) .**

وقد شدد الامام الشافعى النكير على القائلين بوقوع المعرب فى القرآن العظيم وقال ابو عبيدة ( انما انزل القرآن بلســـان عربى مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد اعظم القول ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد اكبر القول ) وتقر رسالة تشريف التعريب بالتحقيق ان القرآن العظيم عربى وان ليس فيه شىء من لغـــات الأعاجم وانه قرآنا عربيا ( يوسف ) ومن زعم ان فيه شيئا من لغـــات الاعاجم فقد أعظم القول على الله سبحانه وان القول بوقوعه هو قول ينبو عن التحقيق » .

**الكلمات الاعجميـــة :**

لغـــة العرب من اقدم اللغـــات وجوداً قبل أبراهيم واسماعيل وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية والفارسية ولقـــد ذهب منهـــا الكثير بذهاب مدينتهم الأولى قبل التاريخ .

أما هذه الالفـــاظ التى أوردها القرآن الكريم والتى يظن انهـــا من غير لســـان العرب فهى عربية .

اكد ذلك الامام الشـــافعى فقد أنكر كل الانكار أن تكون أعجمية الصنع لأن القرآن نزل بلســـان عربى مبين ولا يمكن أن يصدق العقل فالقرآن من الفه الى يائه عربى فصيح لم يستعر كلمة من غير لغـــة العرب لأنه ليس فى حاجة اليها وقد ايد هذا الطبرى وأبو عبيدة الذى قال من زعم أنه من غير العربية لقد أعظم القول .

( ٣ )

# الأحرف السبع والقراءات السبع

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه ، انزل على سبعة أحرف كلهـا شاف كاف » .

قال أبو عبيد : انه نزل على سبع لغـات متفرقة فى جميع القرآن من لغـات العرب فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثانى بلغة أخرى سوى الأولى والثالثة بلغة أخرى سواهما وكذلك الى السبعة » .

ان معنى نزوله باللغـات المذكورة ان الله اذن بقراءته بكل لغة فيها فلا مانع ان هشاما يقرأ بلغة أخرى غير لغة قريش فيكون قد تعلم من النبى صلى الله عليه وسلم القراءة بلغة قريش ولغة غيرها .

والمراد بالأحرف اللغـات ، قال ابن قتيبة فى كتابه المشكل :

فكان من تيسير الله تبارك وتعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرىء كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم قال ابن حجر : ويمكن ان يكون المراد بالأحرف تغـاير الالفاظ مع اتفاق المعنى مع انحصار ذلك فى سبع لغـات ( وان كانت اللغـات والالسن اكثر من سـبعة بمـا يعجز عن احصـائه ) .

قال الطبرى وايده الزنجانى : سبعة أوجه من المعـانى المتفقة بالالفاظ المختلفة نحو :

اقبل وهلم وتعال وعجل واسرع واخر ومهل وامض واسر .

قال ابن الجزرى : لو جاء القرآن كله بالأفصح لكان على غير النمط المعتـاد فى كلام العرب فى الجمع بين الأفصح والفصيح فلا تتم الحجة من الاعجـاز اذ يقال مثلا انه جـاء بما لا قدرة للعرب على جنسه .

نزل بهذه اللهجات العديدة للاعجـاز وليتيح للعرب من ناحية أخرى التدبر فى معـانيه وكثرة التـلاوة فيه ، وهناك فارق بين الأحرف السبع والقراءات السبع فالقراءات السبع ليس مصدرها هذه اللهجات العـديدة وانما مصدرها قراءة النبى صلى الله عليه وسلم .

فليست القراءات السبع فى الحقيقة هى الأحرف السبع وانما هى بعض الأحرف وقد جمعها الامام ابن مجاهد باختياره الخاص واشتهرت حتى ظن الكثير أن المراد بالأحرف السبع القراءات السبع .

ويقرر الرافعى ان القراءات ترجع الى عهد النبى وعهد أصحابه .

يقول أبو شامة : أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاوزهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ والاعراب ولم يكلف أحد منهم من الانتقال من لغته الى لغة أخرى للمشقة .

وقال ابن حجر : ان الاباحة المذكورة لم تقع بالتشهى ، أى أن كل أمر يغير الكلمة بمرادفها فى لغته بل المراعى فى ذلك السماع من النبى ( صلى الله عليه وسلم ) .

أما القراءات فقد جمعها الامام ابن مجـاهد ، حيث جمـع قراءات ( أبو عمر بن العـلاء ، وعاصم بن بهدلة الأسدى ، وحمزة بن حبيب الزيات ، وعلى ابن حمزة الكسائى ) .

وقد أجمعوا على هذه القراءات السبع لأن أصحاب الأهواء كثروا وأخذوا يقرءون بما لا تحل تلاوته تاركين المصحف الامام وخوفا من أن يتسع الخرق على الراقع وتمتد يد البدعة الى كتاب الله لتحرفه فيه نهض قوم للاعتنـاء بشأن القرآن فاختاروا فى كل مصر وجـه اليها مصحف أئمة مشهورين بالثقـة والامانة فى النقـل .

والقراءات السبع ليست كل القراءات التى نسبت الى النبى صلى الله عليه وسلم انما هى غيض من فيض . .

وقد جعل أبو عبيد بن القاسم بن سـلام خمسة وعشرون قارئا مع هؤلاء السبعة .

والقـراءات السبع متواترة لأن مذهب الأصوليين وفقهـاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء يؤكدون ان التواتر شرط صحة القراءة ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتـواتر ولو وافقت رسـم المصـاحف العثمـانية والعربية .

والخلاف فى القراءات كان على سبعة أوجه أوردها ابن قتيبة :

١ — الاختلاف فى اعراب الكلمة أو فى حركة بنائها بما لا يزيلهـا عن صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى :

**( وهل نجازى الا الكفور ) ( وهل يجازى الا الكفور ) .**

٢ — ان يكون الاختلاف فى اعراب الكلمة وحركة بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها فى الكتاب نحو قوله :

**( ربنا باعد بين أسفارنا ) بالسكون فى باعد ، ( ربنا باعد بين أسفارنا ) بالفتحـة .**

٣ — ان يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صوتها فى الكتاب ولا يغير معنـاها .

**( ان كانت الا صيحة واحدة — الا زقية واحدة ) .**

**(كالعهن المنفوش — كالصوف المنفوش ) .**

٤ — ان يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى : **( وطلع منضود )** فى موضع **( وطلح منضود )** .

٥ — ان يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى :

**وانظر الى العظام كيف ننشزها ( ننشرها ) .**

٦ — ان يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى :

**( وجاءت سكرة الحق بالموت )** فى موضع **( وجاءت سكرة الموت بالحق )**

٧ — أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى :

**( وما عملت أيديهم ) — وما عملته ايديهم .**

● ● ●

يقول الطحاوى فى مشكل الآثار :

تواترت الأحاديث فى انزال القرآن على سبعة احرف لكن اختلفوا فى تفسيرها الى نحو اربعين قولا — انما كانت السعة للناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن من غير لغاتهم ، فوسع لهم فى اختلاف الألفاظ اذا كان المعنى متفقا فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم الى لبيـان رسول

**الله صلى الله عليه وسلم نقدروا بذلك على حفظ الفاظه فلم يسعهم حينئذ أن يقرأو بخلافها .**

قال ابن عبد البر : ان هذه السبعة الأحرف انما كانت فى وقت خاص لضرورة دعت الى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ القرآن على حرف واحد وان اقامة المرادف مقام اللفظ المنزل كانت لضرورة وقد نسخت فى عهد المصطفى بالعرضة الأخيرة المشهورة ) .

عبد الله معروف

● ● ●

وقد أورد الدكتور توفيق شاهين عرضا لمخطوطة ( كتاب اللغات فى القرآن ) رواية ابن حسنون باسناده الى ابن عباس فقال : كان للعربية لهجات تتعدد بتعدد القبائل وكانت كل التعابير بالعربية مفهومة وقت مجىء الاسلام وان خفيت تعابير قليلة احيانا على فرد او أفراد لقبيلة اخرى لعدم الاحتكاك ، أو بعد الشقة مما لا يقدح فى وحدة العربية وسموها وامتداد ثقافتها ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب الوفود التى وفدت اليه بلا واسطة واوصى عمر جماعة المسلمين أن يلتمسوا معنى ما خفى عليهم لألفاظ القرآن فى الشعر الجاهلى لانه ديوان العرب .

وفى النقوش الاشورية التى عثر عليها اخيرا ترجع الى ٨٥٤ ق م ترجع الا قلة منها الى عربية سليمة صحيحة .

وجاءت اللهجات من شمال الجزيرة مقابل قريش واتمار وتميم وثقيف ومن الجنوب : ازدشنوءه واشمر الأوس وغيرهم .

ويؤيد وجود اللهجات فى القرآن ان لكل مصر من أمصار العرب كان يفخر على غيره بأن القرآن حكى لغته من غيره .

ولما قال أهل مكة للشاعر محمد بن مناذر : ليست لكم أهل البصرة لغة فصيحة وانما الفصاحة لنا أهل مكة قال : ان الفاظنا أحكى لألفاظ القرآن واكثر موافقة له .

أنتم تسمون القدر برمة ونحن نقول قدر وقدور والله تبارك وتعالى يقول : وقدور راسيات .

وأنتم تسمون البيت أو ما فوق البيت عليه ونحن نسميه غرفة وتجمع على غرفات والله تبارك وتعالى يقول :
**﴿ وهم فى الغرفات آمنون ﴾ .**

وابن عباس لا يدرى ان ( فطر ) بمعنى بدأ الا حينما تخاصم اليه اعرابيان فى بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها ( أى ابتدأتها ) ففهم فطر فى ( الحمد لله فاطر ) وفهم أن ( افتح ) بمعنى أحكم واقضى فى قوله تعالى :

**﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾** حين سمع بنت ذى يزن تقــول لزوجها ( تعال افتحك ) أى أخاصمك وقد سئل عمر عن معنى بعض الألفاظ ســأل عن معنى ( ابا ) فى قوله ( وفاكهة وابا ) وسأل عن ( تخوف ) فى قوله تعالى : **﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾** فقال الاعرابى هذه لغتنا ( لهجتنا ) ومعناها التنقص فقال عمر : هل لديك شــاهد قال نعم واورد شعرا لذى الرمة .

قال الزركشى فى البرهان : قال اناس ليس فى القرآن غير العربية شىء وقال آخرون بل فيه من الفاظ الأعاجم وجــاء اناس وتوسطوا فقالوا : ان هذه الحروف كانت بغير لســان العرب فى الأصل فلما لفظت العــرب بألسنتها فعربتها فصارت عربية الحــال اعجمية الأصل واشــارت كتب اللغويين الى أن القرآن الكريم وان نزل بلغة قريش الا أن فيه كثيرا من لغات القبــائل التى كانت تقطن شبه الجزيرة العربية وانما كانت الشهرة للغة قريش التى نزل بها القرآن لمزايا اختصت بها ، كما أن قريشا كانت تميــل الى اخذ كل ما خف وغلا وعلا من لغــات القبــائل الأخرى كتميم وهذيل وكندة وغيرهم .

هذه اللهجات التى زاملت لغة قريش ونزل بها القرآن الكريم كانت غريبة على بعض القرشنيين او المخاطبون بها ومن ثم سمعنا عن مســائل ابن الأزرق وابن عباس رضى الله عنهما .

وممن كتب فى لغــات القرآن الفراء وأبو زيد والأصمعى وابن الهيثم ابن عدى ، ومحمد بن يحيى القطيعى وابن دريد والزركشى .

وصنف السيوطى فى ذلك ، ومنها كتاب اللغات فى القرآن المحفوظ برواية ابن حسنون المقرى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ باسناده الى ابن عباس وقد أشار

الى لهجات القبائل والأمم وذكر العدنانية والقحطانية وقال ان القرآن الكريم أخذ الفاظ القبائل القحطانية وأن فيه من لهجات القبائل الأخرى الشيء الكثير .

● ● ●

بالنسبة للقراءات السبع وهى غير الأحرف السبعة ( بمعنى اللغات ) التى انتهى أمرها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

هذه القراءات السبع تجرد لها أبو بكر بن مجاهد شيخ قراء بغداد سنة ٣٢٤ هـ ودرسها لتمييز الصحيح من الشاذ والمتواتر من غير المتواتر ووضع لنفسه مقاييس دقيقة لننظر فى هذه القراءات وتصنيفها فاشترط ثلاثة شروط لابد من تحقيقها فى القراءة حتى تكون صحيحة :

١ — صحة السند واتصاله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ — مطابقة القراءة لرسم المصحف العثمانى ( مصحف عثمان ) .

٣ — موافقة القراءة للعربية بوجه من الوجه .

وقد استطاع أن يختار سبعة من ائمة القراءات الصحيحة سجل قراءاتهم واختلافها فى كتاب سماه ( السبعة ) .

وهم : نافع بن عبد الرحمن ( المدينة ) عبد الله بن كثير ( من مكة ) — عبد الله بن عامر ( من الشام ) أبو عمرو بن العلاء ( من البصرة ) وثلاثة من الكوفة ، وتطورت هذه الدراسة على يد ابن الجزرى فى القرن التاسع فى كتابه ( النشر فى القراءات العشر ) .

وجملة القول أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف .

والمراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب .

فلما مرنت الألسنة على النطق بألفاظ القرآن اقتصر على حرف واحد ونسخ ما عداه ، وقد كان النسخ فى العرضة الأخيرة ، حيث عارض جبريل

النبى صلى الله عليه وسلم مرتين فى السنة التى اختـــار الرفيق الأعلى فيهـــا .

أما القراءات السبع التى قرأها القراء السبعة فأنها كلها صحت عن رسول الله وهو الذى جمع عليه مصحف عثمان .

وقيل : ان السر فى نزول القرآن على سبعة أحرف : التيسير على من يقرءون القرآن من العرب ليقرأ كل عربى بلغته التى لا يستطيع أن يحيـــد عنها ومن هنا كان التيسير استجابة للضرورة التى أقتضته وهو استحالة أن ينطق العربى بغير لغته فلما مرنت الالسنة على النطق بألفاظ القرآن أقتصر على حرف واحد ونسخ ما عداه وكان هذا النسخ فى العرضة الأخيرة .

• • •

( ٤ )

# المحكم والمتشابه

قال تعالى : **( هو الذى أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمـــات هم أم الكتاب واخر متشابهات )** .

فى القرآن آيات محكمة وآيات متشابهة أما المحكم فما كان معناه واضحا ولفظه لا يحتمل الا معنى واحدا والمتشابه ما احتاج فهمه الى شىء من التأويل وانعام النظر ( امعان النظر ) لانه لفظه يحتمل معنيين أو معـــانى ، أو لانه يدل على بعض ما استأثر الله تبـــارك وتعالى بعلمه مثل وقت الســـاعة أو على ما يحسن فيه تفويض عمله الى الله تعالى ، مثل الآيات التى تضمنت نسبة الجوارح الى الله جل شـــأنه ، نحو : **( يد الله فوق أيديهم )** ، **( ويبقى وجه ربك )** أو نسبة بعض الصفات التى من شأنها ان تنسب الى الخلق ، الى الله تبـــارك وتعالى مثل : الرحمة والمكر والغضب .

ولما كان من النوع الأول وهو ما احتاج فهم معناه الى امعـــان النظر يمكن للعلماء أن يفهموه وأن يرجعوا فى فهمه وتأويله الى المحكم من الآيات، وما كان من الأنواع الأخرى يكون ظاهر المعنى ولكن تأويله أو تفويض الأمر فيه الى علم الله هو موضع الخـــلاف .

● ● ●

قال تعالى : **( هو الذى أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمـــات هم أم الكتاب واخر متشابهات )** .

قيل أنها نزلت فى مناسبة وفد نصارى نجران اليمن الذى قدم الى المدينة فقد تناظر الوفد مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى عليه السلام، نزلت لتندد بهم لاحتجاجهم بالآيات المتشابهة وتركهم الآيات المحكمة التى تنزه الله تبـــارك وتعالى عن الولد وتحكى قول عيسى عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وتقرر أنه مثله كمثل آدم خلقه من تراب .

والآية تقرر صراحة أن القرآن يحتوى على نوعين من الآيات : نوع محكم يضم المبـــادىء والأسس والأحكام ( ويكون المرجع للنوع الثـــانى )

والاخر متشابها وهو ما عدا ذلك من الآيات التى قد تختلف أساليبها والفاظها والتى أريد بها التشبيه والتمثيل والترغيب والترهيب والوعظ والتذكير والتنبيه والتنويه والتنديد والتبشير والانذار بقصد تدعيم النوع الأول ، ويدخل فى عداد ذلك الآيات التى فيها صفات الله تبـارك وتعالى وروحـه واعضاؤه وحركاته وكلامه والملائكة والجن وابليس والشياطين والمعجزات وخلق الأكوان ومشـاهدها ونواميسها ومشاعر الحياة الأخروية : كل هذا يمكن أن يتشابه فهمه على الأذهان أو تتعدد وجوه تأويله أو يعجز العقل البشرى عن ادراكه وحكمته ومداه ، أو يبدو لغير المتعمق أو غير الراسخ فى العالم أن فيه تغايرا أو تباينا أو تناقضا .

● ● ●

أما الآيات المحكمات فهى ما يعول عليه فى القرآن من أحكام وما يعمل به من حلال وحرام ، أو أنها الآيات الواضحة التى لا تحتمل تأويلات عديدة ، أو أنها الحقائق التى لا تتحمل جدلا ولا مراء أو أنها ( أركان الاسلام ) عماد الدين والفرائض والحدود .

والحـدود .

والآيات المحكمات ( هن أم الكتاب ) التى لا تتحمل تأويلات عديدة ولا مراء ولا اشتباها بخـلاف الآيات المتشـابهات وهى غير ما سوى آيات الأحكام والحـلال والحرام أو أنها ما استأثر الله تبـارك وتعالى بعلم حقيقته ، أو أنها المجـازات والتشبيهات أو انها ما تتحمل تأويلات عديدة ، أو أنهـا المتشابه فى الصفة المختلف فى النوع .

هذا النوع الثانى : تلمح فيه بكل قوة هدف تدعيم المبـادىء والأسس والعقائد والتقديرات والأحكام التى احتوتها آيات وفصول النوع الأول من وحدانية الله المطلقة ، وربوبيته الشـاملة واستحقاقه وحدة للعبـادة والاتجاه اليه والاعتماد عليه ونبذ كل ما سواه من صدق الرسالة النبوية وشمولها واستمرارها ومن حقيقة الحياة الاخروية وحكمتها .

وقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم الى القوم الذين يتبعـون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة أو ابتغـاء تأويله فقال :

● أن من أمتى قوما يقرأون القرآن ينثرونه نثر الدقل ويتناولونه على غير تأويله .

● انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب .

● ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به .

● انما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وانما انزل الله كتابه ليصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم به فقولوا به وما جهلتم فكلوه الى عالمه .

وقد شـــهد تاريخ الاســـلام فرقا كثيرة وقعت فى هذا المحظور منهم السبأية ( اتباع عبد الله بن سبأ الذى ينسب اليه القول بوصاية على رضى الله عنه عن النبى ثم رجعته ثم بألوهيته ) ومنهم القدرية : وهى فرقة تؤمن بالقدر وكانت تقول أن الانسان خالق افعال نفسه .

ومنهم الجبرية وهى الفرقة التى كانت تقول ان الانسان لا تأثير له وانه مجبر فى أفعاله .

قال الطبرى بعد أن أورد هذه الفرق : المعنى بها كل مبتدع بدعة فى دين الله فمال قلبه اليها تأويلا منه لبعض متشـــابه آى القرآن وعدل عن الواضح من أدلة الآيات المحكمات ارادة منه بذلك اللبس على اهل الحق المؤمنين .

● ● ●

( ٥ )

# ١ — التكرار فى القرآن

حاول خصوم الاسـلام انتقاص بلاغة القرآن باثارة مسألة التكرار ، ولم تكن هذه القضية جديدة بل لقد تناولها الباحثون فى مختلف العصور فقد ألف العـلامة الكرمانى المتوفى سنة ٧٨٦ هـ رسالة فى الجواب السديد عن هذه الشبهة وأبان فيها أن كل آية كررت فى موضع انما تشمل على معنى جديد غير المعنى السابق فلكل آية معنى خاص فى موضعها وموضوعها .

كما تناول ذلك الشريف الرضى فى كتابه ( غرر الدر ) والمحدث شاه ولى الله الدهلوى فى كتابه ( الفوز الكبير ) .

ويقول السيد سليمان الندوى : ان من يتبع آيات القرآن ويتعمق فى دراستها وتفهمها يجد أن التكرار يرجع الى أمرين لا ثالث لهما : وهمـا تكرار معنوى ولفظى والمراد بالأول تكرار المفهوم والمعنى الواحد بطرق مختلفة من غير اعادة الألفـاظ نفسهـا كقصص الأنبياء والأمر باقامة الصـلاة وايتاء الزكاة والمراد بالثانى : اعادة المفهوم والمعنى مع اعادة الالفاظ بعينها كقوله تعالى : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

والتكرار المعنوى يوجد فى مواقع مختلفة من الكتاب العزيز ، كالقصص التى لها تأثير بليغ فى النفس وكذا ما يتعلق بالفرائض التى هى اركان الاسلام والعقائد التى من أجلها بعث الرسول الأعظم كالتوحيد وصفات الله ( تبارك وتعالى ) ويوم البعث والتذكير بآثار نعمة ومظاهر قدرته .

أما القصص فمنها ما تكرر ذكره كثيرا كذكر ابراهيم وموسى وآدم ومنها ما ذكره مرة واحدة أو مرتين كقصة ذى القرنين وأصحاب الكهف ويوسف وزكريا وداود وسليمان وطالوت وغيرهم .

والأنبياء الذين يتكرر ذكرهم فى القرآن كثيرا أربعة : آدم وابراهيم وموسى وعيسى .

ويتساءل البعض لماذا وحد القصص فى القرآن ولماذا أعيدت قصص بعض الأنبياء دون البعض الآخر بوجه خاص .

الاصل في ذلك أن الفطرة الانسانية مجبولة على التأثر بالوقائع والاعتبار بما يحدث في الكون من احداث وعبر ، ولهذا وجد في القرآن الكريم ، بل الكتب السماوية كلها قصص تتناول حياة الأمم وتبين مصيرها ، وتكشف لنا عما انزل اليها من انوار الوحي وأن نتيجة المخالفين كانت عذابا محتما وانتقاما حاسما ، وأن الانبياء وأتباعهم هم الذين كتب لهم النصر والفوز في الدنيا والآخرة والمثوبة في العقبى .

وتكرار امثال تلك العبر يوقظ في النفس شعورها وتنبه الضمير الخامل وتقيم الحجة مرارا على المعاندين فاذا لم تكرر هذه المرة المواعد لم يقع التنبه المذكور .

**( لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب )**

والدليل الواحد قد تثبت به دعاوى مختلفة ، كما أن القصة الواحدة يمكن أن تستنبط منها نتائج متعددة في مواقع متباينة وكلما كررت قصة ( موسى وفرعون ) وجدت أن القصة بذاتها انما تعاد للاشارة الى نتيجة غير التي استنبطت من قبل .

١ — فهي تذكر في صدد بيان قدرة الله تبارك وتعالى واظهارها .

٢ — أو الابانة عن نعم الله ( تبارك وتعالى ) واحسانه الى قوم موسى .

٣ — استدل بها على هلاك القوم الظالمين .

٤ — تبين منها شرور بني اسرائيل وكفرهم بما انعم الله عليهم .

٥ — توضح الفرق بين نبي صادق ودعي كاذب .

٦ — كيف نصر الله كليمه واحسن اليه وحفظه .

٧ — الكشف عن غرور فرعون واستكباره ومكابرته في الحق بعد ما تبين .

كذلك استدل بقضية آدم في مواطن متعددة من القرآن على مقدار احسان الله على النوع البشري وعلى ضعف النفس الامارة وكذلك على عظم نوع الانسان واستعداده بالفطرة لمساماة الملائكة الأبرار .

أما وقوع التكرار في قصص الأنبياء .

فان الجواب السديد أن المخاطبين بالقرآن ينقسمون الى اقسام اربعة :

١ — الجنس البشرى باكمله .

٢ — مشركوا العـــرب .

٣ — اليهـــود .

٤ — النصـــارى .

فأعيدت قصة آدم لتذكر النوع الانســـانى بأبى البشر وبما من الله تبـــارك وتعالى عليه من حسن خلقه حين سواه فى أحسن تقويم واقام نسله لعمارة الأرض وعبادة خالقها .

ولمشركى العرب أعيدت قصة ابراهيم لأنهم كانوا على كل حال يعتزون بأبوته ولاثارة مشاعرهم الى التوحيد الذى دعا اليه الخليل .

أما اليهود والنصارى فقد تكررت لهما قصة موسى وعيسى ليذكروا ما أنزل عليهما من الاحكام والبشرى بظهور محمد صلى الله عليه وســـلم وكان اليهود فى المدينة وما حولها يكونون اكثرية كبيرة وكانت لهم الوان من التحـــدى والنضال مما دعا الى اعادة قصة الكليم ، ويليهم مشركوا العـــرب ثم النصارى ولبيان ذلك وردت قصة موسى فى القرآن خمسا وثلاثين ومائة مـــرة .

وابراهيم ستا وسبعين مرة ، وعيسى أربعا وعشرين .

أما الفرائض فقد أعاد القرآن ذكرها للتذكر بها وتنبيه القلوب اليهـــا فليس كل الناس تفيده الموعظة الواحدة والنفس تزداد تأثرا كلما دار على سمعها وبصرها أسماء العقائد والفرائض التى هى قواعد الاســـلام وحدوده وفيها مصير الانســـان ونهايته .

والأمور التى أعيد زكرها فى القرآن هى :

( الايمان — الصلاة — الزكاة — التوحيد — صفات الله تعالى — تأكيد ذكره ومظاهر قدرته — وندم الشرك — وبيان أهوال القيامة ، والجزاء من ثواب وعقاب فى الجنة والنـــار — والتحذير من غرور الدنيا والدعوة الى الأخلاق العالية والعمل الصالح ) .

وقد جاء ذكر التوحيد ومعرفة الشكر والكفر ( ٣٥٠ ) مرة .

وجاء ذكر الايمان ومتعلقاته ( ٣٠٠ ) مرة .

وورد اسم الجنة ١٩٥ موضعا وذكر جهنم مائتى مرة والصلاة مائة مرة والأوامر والعقائد فى القرآن على ضربين :

١ — منها ما يتعلق بالأحوال الشخصية والتشريع فى المعاملات والحدود ( الطلاق — الظهار — الايلاء — العدة — التوريث — القصاص — حد السرقة — الشهادة ) .

٢ — ما تتناول العقائد والقواعد الكلية فى الأوامر والأعمال الصالحات وما يترتب على الطاعة والمعصية من الجزاء .

ويقول السيد سليمان الندوى : ان التكرار اللفظى فى القرآن يقع اما باعادة آية أو بذكر كلمة واحدة مرتين فى آية ، والتكرار يقع فى جميع اللغات لتقوية المعنى وهو فى اللغة العربية ما يعبر عنه بالتوكيد اللفظى ويتبين من هذا أن التكرار التأكيدى يجرى فى أسلوب العرب ويعد من ضرورة البلاغة .
وقد جاء فى القرآن آيات أعيدت فى سورة واحدة منها قوله تعالى :

**( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) و ( ويل يومئذ للمكذبين ) .**

والقرآن فى كل موضع يجرى على أسلوب مختار وبلاغة فائقة تتناسب مع كل غاية وتوافق كل حالة .

وقد أضاف القرآن الى اللغة العربية جمالا جديدا ، وأهدى الى أسلوبها لونا ظريفا من الابداع لم يكن معروفا أعنى به تكرار بعض الآيات مثل :

**( فكيف كان عذابى ونذر ) .**

ويقول ابن فارس : ان تكرار القصة نوع من الاعجاز القرآنى لبلغاء العرب وفصائحهم فبعد ان عجزوا عن الاتيان بمثل آية ، بين لهم وأوضح الأمر فى عجزهم بأن كرر ذكر القصة فى مواضع مختلفة اعلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأى نظم جاءوا وبأى عبارة عبروا .

ويقول الباقلانى : ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة فعلمنا بذلك مما لا يقدر عليه البشر لأن الذى يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت الكثير عند التكرار وعند تباين الوجوه .

فالهدف من التكرار هو الهداية والعبرة — وكان هذا التكرار يذكر الأمم

بالمصير الوبيل الذى حل على هؤلاء الناس الذين وقفوا من دعوات **أبنائهم** موقف التحدى والنكران .

وقد تأكد فى أبحاث العلماء جميعا أن التكرار :

**أولا :** تفسير وتوضيح . فقصة موسى التى ذكرها الله تبارك **وتعالى** فى مائة وعشرين موضعا من كتابه ، صورتها لا تهتز فالقصة تســـاق **بأساليب** مختلفة آية فى البـــلاغة .

**ثانيا :** التكرار فيه زيادة مفيدة فالعصى فى سورة طه حية تسعى ، **وفى** سورة الاعراف ثعبان مبين وفى موضع آخر تهتز كأنها جان .

ويرجع سر التكرار ان الرجل كان يسمع القصة من القرآن **ثم يعود** الى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل فلولا التكرار **لوقعت** قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم آخرين ، وكذلك سائر **القصص** فأراد الله تبارك وتعالى اشراك الجميع فيها فتكون فائدة لقوم وتأكيد **وتبصرة** لآخرين .

كذلك فان القصة وتكرارها فيه تثبيت للنبى صلى الله عليه **وسلم فى** مجال الدعوة .

**( وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ) .**

هذا فضـــلا عن أن الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفرها فى **نقـــل** الأحـــكام .

● ● ●

( ٦ )

# ١ — أسلوب القرآن

تميز أسلوب القرآن تمييزا واضحا فى جميع مجالات الفكر والبيان بما حفظ له ذاتيته الخاصة . فقد نزل على اسلوب من الكلام لا يضارعه قبله ولا بعده من كلام البشر فلا هو شعر ولا سجع ملتزم ولا هو مزاوجة دائمة ولا هو نثر مرسل ارسال الحديث ولا هو خطاب ومن ميزته أن تتنوع طرقه فى الاقتنــاع تنوع طبــاع المخاطبين به فهو قصص ، ثم هو استدلال على حقــائق الأمور بالأمور المشــاهدة فى خلق السموات والأرض أو ضرب الامثال أو لقياس الغــائب على الحاضر أو تقديم البراهين النظرية .

ويختلف اسلوب القرآن الكريم عن اسلوب الفكر الغربى ، فاسلوب القرآن الكريم لدعوة الناس عامة ، اما الفكر الغربى فلا يستطيع أن يتخلص من الفصل القسرى بين الفكر والحياة ، وبين التصور والواقع وبين السماء والأرض وبين العقل والروح مما يقف سدا أمام النظرة الشــاملة المتوازنة .

ومن هنا فنحن مطالبون بالايمــان بطريقة القرآن فى البحث ومنهجه فى الفكر ، القائمة على مخاطبة العقل والقلب جميعا متحررين من طريقة المتكلمين المتأثرين بالفلسفة اليونانية ومن اقحام المفاهيم الغربية فى محاولة لاخضاع الاســلام لمقاييسها حتى توافق مبادىء الغرب ومفاهيمه .

● ● ●

يقول الأستاذ محمد المبارك : يختلف اسلوب القرآن عن اســلوب الفلسفات والكلام اما طريق القرآن فى دعوة الانســان الى الايمان بالله خالق الكون متعددة المسالك ، فهو تارة يخاطب عقله ويقنعه بالمنطق ويقدم له الدليل فى اسلوب حى جذاب .

**( نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، أفرايتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل امثــالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ) .**

وهكذا فان جميع الادلة المعروفة فى علم الــكلام وفى فلسفة ما وراء الطبيعة مبثوثة فى القرآن ولكن بطريقة حية وبأسلوب يمكن أن يفهمه الخاصة

والعامة ، قال ابن رشد : لو جمعنا ادلة المتكلمين لما خرجت عن مثل :

**( لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ) .**

وفى قصة ابراهيم — فى سورة الانعـــام — انتقال منطقى من أفول الكواكب الى حاجتها الى خالق يبدل ولا يتبدل ، والى من يقدر لهـــا هذه السنة التى تخضع هى لها وكذلك نقاشه مع قومه فى سورة مريم .

من هذه الطرائق المنطقية طريقة تعرف فى الرياضيات بتمـــديد الخط البيانى فاذا أمكن معرفة جزء منه امكن معرفة باقيه واستخراج المعـــادلة المعبرة عنه فاستمع اليه فى الآيات التالية :

**١ — الذى خلقنى فهو يهـــدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين** سورة الشعراء .

**٢ — أتحسب الانسان أن يترك سدى . الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى      سورة القيامة .**

ولكن الأسلوب المنطقى الذى تراه جافا عند المتكلمين والفلاسفة يمتزج فى القرآن بالأسلوب العاطفى الحى ، دون أن يدخل الضيم على قوة أدلته وصحة براهينه ، فالقرآن يخاطب الانسان ويثيره عن طريق منافعه ومصالحه وحاجاته وملذاته وعن طريق قضاياه ومشكلاته ليحرك تطلعه وقلقه الى معرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته الحاضرة ومصيره البعيد ويجعله بذلك متهيئا للتفكير فى الله ( تبارك وتعالى ) مستعدا لقبول نتائج المنطق المنسجم مع منفعته ويبدو ذلك واضحا فى الآيات التالية :

**— ( والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيـــوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعـــلكم تسلمون ، فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين ، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ) .**

اخذ القرآن الانسان من مواطن اهتمامه فى هذا الكون ، ومظـان منفعته ونقله منها الى الخـالق المنعم فأكسبه بذلك القنـاعة بمنطق العقل والشعور بصلة المنعم ليخامر ايمانه النفس فكرا وعاطفة ، و ( القلب ) فى القـرآن يستعمل لها معا متصلين غير منفصلين .

٣ — عرض القرآن لعقيدة الايمان بالله ( تبارك وتعالى ) واليوم الآخر من خلال قضايا الانسان الاجتماعية الكبرى وفى مقدمتها : تحرير الانسـان من العبودية للبشر فى المجالين : السياسى والاقتصادى .

وقد وردت سورة طويلة بكاملها تدور حول هذين المحورين :

● التحرر من سلطان التألة السياسى .

● التحرر من سلطان التألة المالى .

وهى سورة القصص التى تبرز فيها شخصية فرعون القائل :

**( يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى )**

وقارون الذى كان من قوم موسى فبغى عليهم وكان الهلاك مال فرعون وقارون وكان البقاء لله وحده وبهذه الفكرة تنهى السورة قصة المتألهين على الناس فتنتهى بنا بقوة الى عقيدة التوحيد والايمان بالله وحده فى هذه الآية الخاتمة للسورة .

**( ولا تدع من دون الله الها آخر لا اله الا هو كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ) .**

ويبرز القرآن الكريم مضمون العقيدة التى يدعو اليها عن طريق بيـان فضلها على العقـائد الأخرى التى يعرضها ويرد عليها ويظهر بطـلانها وانحرافها فطريق الموازنة بين العقـائد هو طريق القرآن حيث يستعرض القرآن اليهودية والنصرانية ويستعرض الوثنية والدهرية المنكرة التى قال أصحابها : ( ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ) .

ومن خلال مناقشة القرآن لأصحاب هذه العقائد يبرز العقيدة الصحيحة التى يقبلها العقل السليم والمنطق السديد .

وقد رد القرآن على افكار دقيقة من افكارهم **( وما مسنا من لغوب )** ردا

على اليهود الذين زعموا ان الله ( تبارك وتعالى ) استراح فى اليوم السابع كما عالج مسألة النصارى مع المسيح بكل ابعادها :

١ — المسيح بن الله .

٢ — اتخذه ولدا على سبيل التبنى .

٣ — من جعله الها أو ثالث ثلاثة .

كما ناقش الأفكار الوثنية **( لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن )** .

ثم ينقل الانسان الى الايمان بالخالق المقتدر المنعم الذى ملأ به نفسه وعقله الى عبادته والخضوع له .

**( بديع السموات والأرض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم : ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه )**

ثم ينقله من الاقرار بالله الخالق الى تعداد نعمه لشكرها :

**( أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم )** .

ثم ينقله من لفت النظر الى قدرة الله ( تبارك وتعالى ) وعلمه وصفاته الى الدعوة الى عبادته :

**( يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز ، ان الله يصطفى من الملائكة رســـلا ومن الناس ان الله سميع البصير . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الأمور . يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده )** .

وهكذا يظهر الفارق البعيد والهوة السحيقة بين العقيدة النظرية فى الفلسفة الالهية ( الميتافيزيقا ) وعلم الكلام وبين العقيدة الحية فى القرآن التى تعقد بين الله تبارك وتعالى وبين الانسان صلة تتصف بالنماء والزيادة والقوة وما أكثر الألفاظ التى تعبر عن صلة الانسان بالله تبارك وتعالى فى القرآن مثل :

( يسبحون — يخافون — يرجون — يستغيثون — يحبون — يدعون — يشكرون — يخشون ) .

(٧)

# فواتح السور

( ألم — المر — المص — يس . ص . ن . كهيعص . حم . ) .

قال العلماء أن الفائدة من ذكر هذه الحروف فى فواتح السور هو اقامة الحجة على اعجاز القرآن الكريم من أقصر طريق وأوجز عبارة .

فهى تعنى أن الله تبارك وتعالى يقول أن حروف القرآن الكريم من جنس حروفكم ، التى يستعملونهـــا فى تركيب كلماتكم وكلماته من جنس كلماتكم والفاظكم التى تصوغون منها كلامكم وخطابكم ، وهى كلمات عربية مفهومة لكم وليست بغريبة عنكم وقد تحداكم المرة تلو المرة ان تأتوا بمثله وقد عجزوا وهم فرســـان الفصاحة والبلاغة وأمراء البيـــان ، عن المعارضة وهذا دليلٌ على أن القرآن الكريم ليس من عند بشر وأنه من عند خالق القوى والبشر .

وقيلَ ان هذه الفواتح ترمى الى جذب الانتباه وشد السامع اليهـــا فتحمله على التفكير والتأمل فيما يتلى بعدها .

• • •

( ٨ )

# تلاوة القرآن

يقول الحق تبارك وتعالى : **( ورتل القرآن ترتيلا )**

فالتنزيل هو الأسلوب الحكيم الذى انفردت به تلاوة كتاب الله وتميزت به عما عداه فى النطق والاداء وهذا الترتيل الذى ندب اليه القرآن فى أكثر من آية وعبر عنه بصيغة الأمر الذى يوحى بالوجوب أو الأهمية أو الأولوية فسره ابن عباس رضى الله عنه بأنه التبيين والاظهار وشرحه ( مجاهد ) بأنه التأنى والتمهل .

وقال الضحاك : أنه اخراج الكلام حرفا حرفا .

ولا ريب أن التماس تجويد الحروف ومعرفة الوقوف وتجلية القراءة وتزيين التلاوة والأداء الاغن الجميل كل هذا من أصول التلاوة بغية الوصول الى الادراك الواعى والفهم الناصح لما يشتمله القرآن الكريم من حكم واحكام ومعان وآداب ومواعظ وعبر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من احب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ( عبد الله بن مسعود ) وقد أبكت قراءته الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمعه فى بعض منها .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فانه عربى والله يحب أن يعرب به ولا تنثروا القرآن نثر الدقل ولا تهزوه هز الشعر .

( الدقل : أردأ التمر ) .

قال أبو عمر الدانى : ليس التجويد تمضيغ اللسان ولا بتقعير الفم ، ولا بتعويج الفك ولا بترعيد الصوت ولا تمطيط الشد ولا بتقطيع المد ، ولا تطنين الغنة ، ولا بحصرمة الراءات بل هو القراءة السهلة العذبة التى لا مضغ فيها ولا لوك ولا تعسف ولا تكلف ولا تصنع ولا تنطع ولا تخرج من طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والاداء .

عن حذيفة بن اليمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

( اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل العشق ولحون أهل الكتاب وسيجىء بعدى قوم يرجعون ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز القرآن حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم ) .

( ٩ )

# قدسية الخط العربى فى كتابة المصحف

اللغة العربية هى اقدم اللغــات السامية واقربها الى اللغة الســامية الأم ذلك أن الوجود العربى قد غمر هذه المنطقة وما حولها منذ أكثر من اربعين قرنا .

أما الخط العربى فقد دخل الى الجريدة العربية قبل الاســلام بأربعة قرون حيث بدأو يتعلمونها ثم نضجت على أقلام الكتاب ، ولذلك صلحت لديهم أداة يكتبون بها أحــلامهم ويستودعون رموزها من لب آيات الوحى المنزل .

ويقول سعيد العدوى فى رسالته عن الخط العربى : ان هذا الخط هو أصدق دليل لمزاجنا وذوقنا وأبعاد حضارتنا العربية ، أننى أرى فى كل حرف من حروفه تلخيصا لمنهجنا الفكرى .

ولقد حمل القرآن الكريم اللغة العربية ونشرها فى كل مكان وصل اليه الاسلام وأصبح منه عقيدة الأغلبية . يؤكد ذلك عالم الفنون الاســلامية ارتست تونيل فى مقدمة كتابه عن الخط العربى عندما يقول :

لقــد فتح الاسلام للعرب اللغة والخط فانتشرت الابجدية العربية فى العــالم الاســلامى فأصبح رابطة لجميع شعوب المنطقة رغم الحــدود الحاضرة وكما ارتبطت الكتابة بالرسم فقد ارتبطت بالعمارة فى الفن الاسلامى القديم وقد كان انتشار الاعتقاد بعدم رسم الاجساد عند المسلمين من العوامل التى ساعدت على الاهتمام بالخط العربى الذى اتخذ لنفسه وظيفة زخرفية يعوض التخلى عن رسم العناصر الحية واحتل مكانا بارزا فى مختلف ميادين الحياة وخاصة فى ميدان العمارة .

ومن ثم أصبح استخدام الآيات القرآنية فى تزيين المبــانى بعد الإســلام أمرا ضروريا له قوة سحرية ولقد كانت آيات القرآن وسورة على المبــانى ولا زالت تمثل ظاهرة واضحة لاتتخلف » أ . هـ .

● ● ●

ولقــد أصبح خط القرآن الكريم أســاسا ثابتا لا يمكن تغييره مهمــا تعالت دعوة التغريب الى الكتابة بالحروف اللاتينية بدعوى انهــا تسهل حفظه وفهمه ، وقد ووجهت هذه الدعوة بالرفض شكلا وموضوعا .

وقد اعلنت الندوة العالمية الأولى لمقــاومة تحريف القرآن الذى نظمها المركز الاسلامى فى فرنسا تحريم رفض كتابة المصحف بغير الحروف العربية سواء أكانت الحروف اللاتينية أو أى حروف اللغات الأعجمية .

واثبت الابحاث التى نشرت أن كتابة المصحف توقيفية لا يجوز احداث اى تغيير فيها فقد سئل مالك : هل يكتب المصحف على ما احدثه النــاس من الهجاء قال لا : الا على الكتبة الأولى .

رواه الدانى فى المقنع ثم قال : ولا مخالف له عند علماء الأمة وقال فى موضع آخر : سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير من المصحف اذا وجد فيه كذلك قال : لا — قال ابو عمر لعلى الواو والألف المزيدتين فى الرسم المدودتين فى اللفظ نحو ( اولوا ) وقال الامام احمــد : يحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو وباء او الف أو غير ذلك وقال البيهقى فى شعب الايمان : من يكتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجــاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا تغير مما كتبوه شيئا فانهم كانوا أكثر علما واصدق قلبا ولســانا وأعظم امانة منا فلا تنبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم .

قال الامام السيوطى بعد أن نقل ما تقدم فى كتابه : ( الاتقان فى علوم القرآن ) قلت وينحصر أمر الرسم فى ستة قواعد :

( الحذف والزيادة والهمزة والبدل والوصل والفصل ) .

وما فيه قراءتان فيكتب على احداهما ، ثم ذكر أحكام هذه القــواعد وتجدها مدونة فى كتابه ومما تقدم يتضح أن رسم الكتابة فى المصحف قد تلقاه العلمــاء وحافظوا عليه ولم يرتضوا مخالفته وحرموا مخالفة خط مصحف عثمان .

واذا كان هذا بالنسبة لكتابة المصحف لموافقة قواعد الهجاء التى تكتب بها فان كتابته بحروف لاتينية تطــابق فى النطق العربى السليم للآيات الكريمة

مع الاستعـــانة بتسجيلات صوتية للتـــلاوة والتفسير يستعين بها قارئ الكتاب **أولى بالمنع** ومن حرم تغيير مصحف عثمان يحرم كذلك أن يكتب بحروف لاتينية على الوجه المذكور ، ومن ناحية أخرى فان كتابة القرآن بحروف لاتينية لا تليق بقدسيته فليتق الله كل من يفكر فى اباحة كتابة المصحف بحروف لاتينية فان المسلمين بخير ما حافظوا على كتاب الله تبارك وتعالى وهم على شر حال ما تهاونوا فى المحافظة عليه ولذلك كله ترى أنه لا يجوز بحـــال أن يكتب المصحف بحروف لاتينية وفيه أى تغيير فى رسمه » أ . هـ .

● ● ●

( ١٠ )

## ترتيب القرآن

لقد تأكد العلماء المسلمين أن ترتيب القرآن الكريم على النحو الموجود الآن بين دفتى المصحف هو ترتيب توقيفى — أى من عند الله تبارك وتعالى — وهو الصورة الصادقة الكاملة لما فى اللوح المحفوظ والموافقة لما فى علم الله تبـــارك وتعالى الازلى القديم .

وكانت الحكمة الالهية قد اقتضت ان ينزل مفرقا على حسب الوقائع وحاجات الناس وسؤالهم .

فكانت تنزل الآية فيقول صلى الله عليه وسلم ضعوا آية كذا على رأس عشر آيات من سورة كذا .

لقد نزل القرآن الكريم منجما ولم ينزل جملة واحدة وانه كان فى مرحلة نزوله على ترتيب غير هذا الترتيب الذى انتهى اليه بعد أن تم نزوله وكمل دين الله به فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم خلال العشرين سنة أو تزيد يوحى من ربه يجرى ترتيب الايات فيضع آيات مدنية فى سور مكية وآيات مكية فى سورة مدنية فكانت عملية النقل هذه تغير من صورة الترتيب الزمنى لنزول الآيات فتقدم متاخرا فى نزوله وتوخر متقدما . وهكذا فى اتصال دائم بدوام الوحى الى أن نزلت آخر آية فيه .

ولما تمت العرضة او العرضتين أو الثلاث التى كانت بين جبريل عليه الســـلام وبين النبى عليه الصلاة والسلام قبل اختباره للرفيق الأعلى ، أصبح القرآن الكريم الذى بين أيدينا هو القرآن الذى فى اللوح المحفـــوظ حيث وقع التطابق بين ما فى الارض وما فى السماء كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة ( **وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم** )

**( وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد )** .

ولقد جرت محـــاولات الاستشراق والتغريب لتدعوا الى ترتيب القرآن حسب نزوله وهى دعوى مسمومة تحاول أن تثير الشبهات بقول الأستاذ

أبو الأعلى المودودى : ومما لا يختلف فيه اثنان ان الذين يعترضون على الترتيب الحالى للقرآن يظنون عن سوء فهم أن هذا الكتاب قد أنزل الى طلبة علم التاريخ وعلم الاجتماع — ذلك أن الترتيب الحالى ما قام به الذين جاءوا بعد النبى صلى الله عليه وسلم بل هو توفيقى وضعه النبى صلى الله عليه وسلم بتوقيف من جبريل عليه السلام ، وكان من عادته أنه كلما أنزلت سورة من سور القرآن كان يدعو بعض كتابه وكان يأمر بكتابتها ويأمر بوضعها عقب سورة كذا وقبل سورة كذا وكذلك حين ينزل شىء من القرآن ( آية آية او بضع آيات ) ولم يرد جعلها سورة مستقلة أمر النبى بوضعه فى موضع كذا من سورة كذا ووفق هذا الترتيب نفسه كان يقرأ النبى القرآن فى الصلوات وغيرها من المناسبات ووفق هذا الترتيب نفسه كان أصحابه الكرام يستظهرون القرآن ويتدارسونه ولقد كان من الثابت تاريخيا أن اليوم الذى اكمل فيه نزول القرآن اكمل فيه ترتيبه ومرتبه هو الذى أنزله والذى أنزل القرآن على قلبه رتب القرآن على لسانه وما كان لأحد غيره أن يتدخل فيه .

● ● ●

**نزوله مجزءا : اثار المشركون قضية نزول القرآن منجما :**

**( وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ) .**

وفى هذا أمرين :

**الأول** : تعهد القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم بالتثبيت والتمكين .

**الثانى** : كان اجابة لهم عما يسألون والرد عليهم فيما يدعون .

● ● ●

# (١١)
# الفواصل فى القرآن الكريم

الفواصل هى نهايات الآيات ، وهى قد تتفق فى أواخرها وقد تختلف وقد تتقارب ، والفواصل تعين على الضبط والحفظ وتحسن النغم وتقوية .

**ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .**

**ذلك بأنهم قوم لا يعقلون .**

فالآية التى تختم بقوله تعالى : ( يتفكرون ) تحتاج الى التأمل والتفكير والآية التى تختتم بقوله تعالى : ( يعقلون ) تحتاج الى النظر أكثر مما تحتاج الى التفكير ذلك لأن العقل مرتبة تالية للفكر ( يتفكرون ) تأتى فى الموضـــع الذى يكون فى أشـــد حاجة الى التفكير أما ( يعقلون ) فلا تقع الا فى سياق انكار فعل غير مناسب فى العقل والفواصـــل تعين على الضبط والحفظ وتحسن النغم وتقويه .

ولما كان القرآن قد أنزل ليتلى ويتلى فى صوت يسمع ويظهر الوانا مختلفة تروع باختلاف جرسها وباتقان جرسها أيضا كان ايقاع المناسبة فى تقاطع الفواصل متأكدا جواب على حد تعبير الزركشى فى كتابه البرهان — ذلك لأن هذه المناسبة فى الايقـــاع تؤثر فى نسق الكلام وحسن موقعه فى النفوس .

لهذا السبب خرج النظم القرآنى عن النظم المألوف فى بعض الأحيـــان فقد يزيد من أجل اتســـاق الفواصل حرفا ، كما زاد الألف فى قوله تعالى : **( وتظنون بالله الظنونا )** لان المقاطع فى فواصل هذه السورة ( سورة الأحزاب ) الفات متقبلة عن تنوين الوقف مثل قوله تعالى : **( انا أطعنا ساداتنا وكبرائنا فأضلونا السبيـــلا )** .

● ● ●

## (١٢)
# الأمثال فى القرآن

أخرج البيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( ان القرآن نزل على خمسة أوجه ) : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال .

وقال الماوردى : من أعظم علوم القرآن علم أمثاله والناس فى غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال واغفالهم المثلات والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام .

ويقرر العلماء ان الأمثال فى القرآن الكريم ( والسنة النبوية ) تنصب على صفات الله تبارك وتعالى لا على ذاته **( مثل نوره كمشكاة )** .

ذلك ان الحق تبارك وتعالى نصب الأدلة على معرفة صفاته وحجب الخلق عن ماهية ذاته حتى يعلموه اذا شاهدوه فللعيان مزية فى البيان مخبأة والله أعلم معرفة ذاته لمشاهدته وأقام الأدلة على صفاته بمخلوقاته ولذلك اذا نظرت الى الأمثال فى الكتاب والسنة وجدتها على الصفات محالة وفى بيانها واردة والذات مجنوءة تحت أستار الجلال والعظمة يعبر عنها بالتقديس . ( أبو بكر بن العربى ) .

● ● ●

## (١٣)
# القرآن ودعاوى الحفظ

تتجدد اليوم المؤامرة على القرآن الكريم فى محاولة للتشكيك فى أثره على الطفل المسلم فى الآداء التربوى بمقولة أن حفظ القرآن فى هذا السن يشكل عبئا على الطفل وهى دعوى باطلة حيث تصدر من أصحاب المؤامرة بينما يؤكد علماء التربية والنفس الذين جربوا هذا فى أول حياتهم أنه لا عبء مطلقا يتشكل بل ان قدرات الطفل تستجيب وتتجاوب مع الحفظ الذى يعطى الطفل على طول حياته قدرة لا حد لهـا فى النطق السليم والفهم الصحيح .

وتلك دعاوى يراد بها استمرار ابعاد المسلمين عن القرآن على النحو الذى جرى خلال العقود الماضية عندما أهمل حفظ القرآن تماما فخرج أئمة ومدرسين وأساتذة لا يملكون القدرة على فهم النصوص أو التمكن من علوم الاسـلام وخاصة الفقه والنحو وغيرهما .

ولقد كان القرآن الكريم — ولا يزال — هدفا من أهداف المؤامرة على المسلمين فى محاولة لفصل المسلمين عنه ، جرت هذه المحاولة بأحياء العاميات والدعوة الى مسلمى اللغة الوسطى ، ولغة الصحف والمسرحيات بهدف فصل اللغة المتداولة عن لغة القرآن فى بيانها ومستواها الرفيع وتحت اسـم السرعة والعصر والاستجابة لما يسمونه اللغة الشعبية .

ولا زالت محاولة فصل المسلمين عن القرآن يمتد الى كتب الجـدل والمناظرة التى كتبها علماء المسلمين الذين واجهوا مؤامرات أصحاب الأديان الأخرى فى طرح أسئلة معجزة ، أو استخراج نصـوص مختلفة ، وكانت محاولة عصرنة المناهج الازهرية تهدف فى الحقيقة الى القضـاء على هذا النوع من الدراسـات وذلك حتى يختفى هذا الاقتحـام القـادر على دحض شبهات اليهود والنصـارى .

● ● ●

**حفظ القــرآن فى الصغر :**

حاولت قوى الغزو الفكرى هدم نظرية حفظ القرآن للأطفال فى سبيل خدمة هــدف خطير مسموم هو تجــاهل القرآن وحجبه ، خوفا من آثاره الخطيرة على التربية وتكوين اللســـان والبيان وتكوين شخصية المسلم .

ومن هنا كانت اذاعتهم لهذه النظرية الباطلة بدعوى أن الطفل الصغير ما ينبغى أن يحفظ من آيات القرآن الا ما يفهمه فضلا عن محاولتهم التشكيك فى أسلوب الحفظ عامة .

تقول النظرية : ( ان الكلام المفهوم أيسر حفظا ويثبت فى الذاكرة بعد أن يحفظ ) ولذلك كان لابد من دفع هذه الشبهة والقضاء عليها .

ذلك أنه لا سبيل لتخليص لســـان الطفل فى مقتبل دراسته للعربية من العامية ونحوها الا أن يؤخذ بتلاوة القرآن تلاوة سليمة ويتمرس عليهـــا وبذلك ينشأ الطفل وجرس الجزالة العربية يطن فى أذنه ووقـــع التقطيع العربى الموزون مندمج فى نفسه مهما كان سلطان العامية عليه فى حيـــاته العامة بين أهله واقرانه ويقدر ما يتوفق الطفل فى هذه السن الى الاكثار من تلاوة القرآن وترتيله يكون انطباع الجزالة العربية فى نفسه أتم وأمكن .

ذلك أن أخطر الاخطار هى أن يتجه الطالب المسلم الى مناهج الدراسة دون قدرة على الأداء وان يعجز عن دفع ما استحكم من سلطـــان العـــامية على لســـانه .

ولذلك كانت طريقة حفظ آيات القرآن فى الصغر هى أصلح الطرق ، والقرآن الكريم اذا لم يحفظ فى الصغر فلن يتيسر حفظه فى الكبر ، والعلم فى الصغر كالنقش على الحجر .

ويقول أحد كبار المربيين الاســـلاميين فى هذا الصدد :

ان تجاربنا تدلنا على وجه اليقين ان حفظ الســـور بترتيبها القرآنى المعروف وطبقا لمواقع الآيات فى صفحاتها المعهودة من أهم أركان تثبيت القرآن الكريم فى الحافظة واستدعائه من الذاكرة .

وان القرآن الكريم لمعجزة أرادها الله تبارك وتعالى ميسر للحفظ والذكر

وان اى طفل متوسط الذكاء بل اقل من المتوسط يستطيع اذا عنى العنـــاية الكافية ان يحفظ القرآن جله او كله فى سنوات الطفولة دون أن يكون هناك اى علاقة بين الحفظ والفهم .

ولقد حفظنا القرآن الكريم فى ( الكتاب ) صغارا دون أن يعنى سيدنا بتفسير آية واحدة ثم درسنا التفسير بعد ذلك ولا زال وأنا المتخصص فى اللغة العربية احفظ الكثير من الآيات التى تحتوى على الفاظ لا أفهم معناها الا بعد الرجوع الى القاموس أو كتب التفسير .

فماذا فى هذا ، ومع ذلك فنحن لا نغفل قضية الفهم فيما نوصى به فى مناهجنا انما نجمع بين الحسنيين : بين حفظ آيات الشـــواهد التى تســـاق للطفل من خلال التهذيب والقصص الدينى وهى تختار من الآيات السهلة التى يمكن فهمها اجمالا : مثل :

**( وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا )** .

ومثل : **( واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه )** الآية .

ثم حفظ السور مرتبة كما جاءت فى المصحف فهمها أم لم يفهمها .

ولا ريب أن مقولة ( الحفظ فى الصغر كالنقش على الحجر ) .

مقولة صحيحة مهما حاول هؤلاء خصوم القرآن أن يردوها ، والمسألة لا تعدو أن يكرر الطفل ومعلمه يصحبه اللفظ مرات معدودة فاذا هو بعد ذلك محفور فى ذهنه تماما وليت شعرى أيهما أيسر على الطفل الصغير ( سنسمه على الخرطوم ) العربيـــة أم ( تونكل تونكل ليتل ستار ) الانجليزية التى يحفظونها لاطفالنا المصريين فى الحضانات .

ان هذه النظرية التى يتمسك بها التربويون العلمانيون قد تصلح فى المواد الدراسية اما بالنسبة للقرآن الكريم فان الأمر يختلف ذلك أن القرآن ليس مادة دراسة بالاضافة الى أنه كلام معجز ولعل من دلائل اعجازه أن هذه النظرية التربوية تتحطم بين يديه » .

● ● ●

( ٩٤ )

## نبوءات القرآن

لم يسرف القرآن فى نبوءاته التاريخية واكتفى فيها بما يعد على أصابع اليدين .

**اولا — نبــوءات فى عهد الرسول :**

١ — إنتصار الروم : **الم غلبت الروم فى ادنى الأرض وهم بعد غلبهم سيغلبون فى بضــع سنين .**

٢ — رؤيا دخول مكة : **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين .**

٣ — اظهار الاسلام على الدين كله : **هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .**

٤ — افساد اسرائيل فى الارض : **وقضينــا الى بنى اسرائيل لتفســدن فى الأرض ( الآية ) .**

٥ — انفتاح ياجوج وماجوج : **حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج .**

٦ — خروج الدابة : **اذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم**

● ● ●

**ثانياً : ما يتعلق بالطب :**

قدم القرآن الكريم فى هذا المجال عديداً من المعجزات سبق بها العــلم الحــديث فقد أحرز من مفــاهيم التقدم العلمى منذ أربعة عشر قرن ما وصل اليه الطب اليوم .

١ — الميتــة والميكروبات .

**( حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ) .**

وقد ثبت أن لحم الخنزير يحتوى على الدودة الشريطية .

٢ — العســـل .

**﴿ فيه شفاء للناس ﴾ .**

شفاء من التسمم البولى ، وسرعة التئام الجروح .

٣ — علم الأجنــة .

سبق الاسلام علم الاجنة حيث كشف العلم الحديث عن أن الجنين يكون محاطا بثلاثة أغشية صماء لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة .

**﴿ يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ﴾ .**

قال الدكتور كيث مور ( رئيس قسم التشريح بجامعة نيوزلندا فى كتاب له عن الاعجاز العلمى فى القرآن أبدى فيه دهشته البالغة ازاء التصوير الدقيق الذى وصف به القرآن الكريم مراحل تطور الجنين منذ ألف وأربعمائة عام وهو أمر لم يتمكن الخبراء الغربيون من معرفته الا خلال هذه السنوات القليلة الماضية فقط .

**ثالثا — نبوءات القرآن فى المجتمع الاســـلامى :**

قدم القرآن مجموعة من النبوءات فى مجال الاجتماع .

**أولا :** نبوءات عن نصر الاسلام ودوام العقيدة ونمو دولة الاسلام وعدم استطاعة اي قوة على وجه الأرض من ابادة الاســـلام .

**ثانيا :** تنبىء القرآن بالانشقـــاق الدائم فى صفوف النصرانية وتشتت الاسرائيليين واضطهادهم حتى آخر العالم وحاجتهم الدائمة الى حليف يحميهم وسيطرة المسيحيين على اليهود الى يوم القيامة .

المائدة ١٤ — الاعراف ١٦٧ — ١٦٨ — آل عمران ١١٤ — آل عمران ٥٥

● ● ●

# الأرقام فى القرآن

قل هو الله احد — ثانى اثنين — ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم، ولا خمسة الا وهو سادسهم ، سبع بقرات سمان ، ويحمل عرش ربك فوقهم ثمانية ، ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ، فان اتممت عشرا فمن عندك ، انى رايت احد عشر كوكبا ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، لواحة للبشر عليها تسعة عشر ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ، فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا وان يستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ، فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ، فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما ، أن يكن منكم الف يغلبوا الفين ، الن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم مقداره خمسين الف سنة ، وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون ، وهم الوف حذر الموت .

ثلثى الليل ونصفه وثلثه ، الربع مما تركتم ، فان الله خمسة ، فلأمة السدس ، فلهن الثمن ، وما بلغوا معشار ما آتيناهم .

• • •

## مناهج القرآن

قدم القرآن الكريم مناهج عامة ودراسات شاملة في عديد من الأصول العـــامة :

**أولا :** في اللغة العربية والأدب العربي والبـــلاغة العربية تشتمل على أساليب البيان وأسلوب القرآن في المحاجة والجدل وقصص القرآن .

**ثانيا :** قدم منهجا جامعا في بناء المجتمع والحضارة يشتمل على أصـــول التربية الاســـلامية ومواقف التاريخ الانساني المختلفة وتفسيرها .

**ثالثا :** قـــدم المنهج العلمي الاســـلامي والاعجـــاز العـــلمي وعـــلوم القرآن .

**رابعا :** قدم منهجا جامعا للفكر الاسلامي في مختلف قضاياه .

وقد تبين عظم النص القرآني وعجز الجهد البشري عن استيعابه مهما عظم هذا الجهد كما تبين سلامة النص القرآني في مواجهة الكتب القـــديمة التي كتبت بواسطة أفراد من البشر في عصور متعددة وفيها أخطاء عديدة في الصياغة والتراكيب والتاريخ وغيرها .

قال تعالى : **( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا )** .

# الباب الثانى

## القرآن الكريم واللغة العربية

١ — القــرآن الكريم واللغــة العربية .

٢ — فضل القرآن على اللغة العربية .

٣ — أثر القرآن فى البــلاغة العربية .

٤ — القرآن والادب العربى .

٥ — اللغــة العربية واللهجــات .

٦ — أسلوب القرآن فى المحاجة والجدل .

٧ — اللغة العربية وكلمات القرآن .

٨ — اعجــاز القــرآن .

٩ — قصص القــرآن .

# ( ١ )

# القرآن الكريم واللغة العربية

**( فنون القول فى القرآن ثمانية : الوعظ والتذكير والتنديد والتنويه والانذار والتبشير والقصص والجدل ) .**

● ● ●

**أولا :** حفظ القرآن الكريم اللغة العربية من العجمة حين دخل الناس فى دين الله أفواجا كما صانها بعد أن تقبلتها الشعوب واقبلت على تعلمها حيث اختلفت لهجاتهم بها قليلا أو كثيرا وفق استعدادهم .

ولولا القرآن لتقطعت الأسباب بين السنتهم ولا تفصلت لغة كل شعب من هذه الشعوب عن اللغـــة الأخرى ولم يكن غريبا أن يقع ذلك كما وقع بين الفرنسية والايطالية والاسبانية التى هى فروع من اللغـــة اللاتينية لولا القرآن الكريم .

فقد جمع القرآن العرب على اللغة فأصبح اللغة الرسمية لوحدات عالم الاســـلام وحفظ لهم نحوهم وصرفهم وأساليبهم من منثور الكلام .

ولم يكن للقرآن الكريم مثيل فى أساليب العرب الســـابقة عليه فما هو مسجع الكهان ولا ما هو بالشعر وقد ضم ثلاثة أنواع :

١ — نثر مسجوع : مؤلف من فقر يلتزم فيها القافية ولا يلتزم الوزن .

٢ — نثر مزدوج : مما تتزين به أواخر الجمل دون أن يلتزم فيها الروى .

٣ — النثر المرسل : الذى خلت جمله من الروى والوزن وهو شائع فى الوعظ والارشاد والتحذير ) .

وقد استمد الكتاب والشعراء أساليبهم من أساليب القرآن حتى قيل أن أسلوب ( الكميت ) فى الجدل والمناظرة مستمد من القرآن وقد غلبت روح القرآن ولغته على خطب الخطباء ورســـائل الكتاب وبان أثره على السنة الشعراء فى العصر الأول فرقق من لغتهم والطف من أساليبهم ووســـع دائرة مداركهم ومعارفهم .

وقد أثر القرآن الكريم على الشعر فاضعفه فظهر عصر الخطابة ولقد كان أثر القرآن واضحا فى خطب الخطباء وقد حل القرآن محل الآداب القديمة، وكان القرآن عظيم التأثير على أذهان العرب وقرائحهم شديد الاستيلاء على عقولهم.

**( كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ) ( وننزل من القرآن ما هو شفاء )** شفاء روحى ومادى ، شفاء قد يكون جسديا ورحمة قد تكون نفسية ورحمة من آلام الوجدان والنفس التى قد تكون أقسى من آلام الجسد والحس .

ولقد كانت اللغة عنصرا هاما فى بقاء الدين الذى نزل كتابه بها والأمة التى حملت لوائه ومن هنا كانت الحملة المستميتة على اللغة العربية من أجل تغريب القرآن ( من الغربة ) وايجاد مسافة واسعة بين اللغـــة العـــامة وبين لغته وفى هذا يقول السيد أبو الحسن الندوى :

انه لا بقـــاء لدين ولا بقاء لشريعة ولا بقاء للغة الا ببقـــاء الأمة التى نزل فى لغتها هذا الكتاب الخالد وشرع فى لغتها هذا الدين العالمى ، وقد اندثرت أمم فاندثرت أديان وقد يسبق اندثار الأمة اندثار الدين وقد تندثر أمة وقد تطوى فى سجل التاريخ ومن سجل العالم فيأتى دور الدين الذى كانت تدين به وقد يندثر دين لأنه قد أدى رسالته وفقد صلاحيته ثم تندثر هذه الأمة التى كانت تدين به .

أما القرآن فانه مضمون البقـــاء مضمون الخلود مكفول القـــراءة ، مكفول التلاوة ، مكفول الفهم ، كما قال الله تبارك وتعالى :

( ان علينا جمعه وقرائته )

وقد تحقق أن هذه الأمة العربية كانت ولا تزال باذن الله مكفولة البقاء مكفولة الحياة فانه لا فائدة من بقاء هذا الكتاب اذا ضاعت اللغـــة أو ضاع أهلها فمن يفهمه ومن يفسره ومن يعرف مبادئه ومضموناته ومكنوناته .

ان هذه الأمة تبقى مهما توالت النكبات وتتـــابعت الازمات صاحبة الرسالة الاســـلامية وصاحبة النبوة الأخيرة وصاحبة الكتاب الأخير » .

● ● ●

لقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية من ناحية البـــلاغة ومن العامية الأجنبية واللهجات وحفظها من أن تذوب فى اللغات الأجنبية .

وقد جمع فى بيانه المعجزين عدة اساليب :

١ — اسلوب الخطابة المنطوى على وعيد .

٢ — اسلوب القصص الممزوج بشىء من الحوار والوصف .

٣ — اسلوب مبسوط فيه مناقشة وتحليل .

وفى القرآن ناحيتان ، ناحية تتعلق بالعقيدة والشريعة وهى خاصة بالمسلمين وناحية أدبية وتاريخية وهى مشتركة بين جميع المتكلمين باللغة العربية وقد ظهر أن غير المسلمين ممن يتكلمون العربية لا يمكن أن يستكملوا أدائها الا من هذا الطريق الوحيد .

والقرآن وحده هو الذى منح ( الكلمة ) محتواها الكامل وحدد لها حجمها الحقيقى وجعل منها المعجزة الالهية الباقية وليست فى القرآن لغة أصوات بل هى حد مسئول وهى تحمل كامل محتواها ، ان حجمها فى القرآن هو حجم المعنى الذى تحتويه وتحمله ومن هنا كانت دعوة الأولين :

« اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم والغناء والرهبنة والنوح هؤلاء الذين لا يجاوز القرآن حناجرهم ملعونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم .

وقد استهدف القرآن قوة التأثير على عقول سامعيه وقارئيه وعلى قلوبهم فضلا عن الجمال الفنى فقد استعمل وسائل عدة أهمها :

التكرار وأدوات الاستفهام لتبيين والاستنكار للاثبات عن طريق النفى ، فيه السجع والازدواج والكلام المرسل ومخالفة لسجع الكهان ووضوح العبارة وقلة الغريب ولا يصعب فهمه على القارىء الوسط .

● ● ●

**القرآن بين العربية والعروبة :**

**ثانيا — عربية القرآن لا عروبة القرآن :**

يقول الاستاذ ابراهيم عوضين :

من المقرر أن الله تبارك وتعالى انما أكد أن القرآن عربى اللغة للناس جميعا حتى يشمل العالمين على يديه . وهم قد نسبوا القرآن الكريم الى العروبة استنادا الى الآيات التى تعرف بلغة القرآن :

**( انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون )**

قالوا : ان عروبة القرآن تقف به عند حد بيئته العربية المحـدودة فلا مجال اذن للقول بعالمية القرآن أو عمومية الاســلام .

هذا التلبيس بالوصف بالعروبة بدلا من النسبة الى العربية — أن وصف القرآن بالعروبة انما قصد به قصره على العرب ، اذ العروبة اسم يراد به خصائص الجنس العربى ومزاياه فيتحقق لهم ما يريدون الوصول اليه من قصر القرآن على العرب وما يؤدى اليه من الوقوف بالاســلام عند حدود المحلية الضيقة بدلا من العالمية المنتشرة فى الزمان والمكان .

ولكن الله تبارك وتعالى أخبر عن لغة القرآن الكريم فقال :

**( وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ) .**

منبها الى ان لغة القرآن الكريم هى العربية وليس جنسه .

واذا كان قد قدم صورة لما كان عليه العرب فانه أيضا قدم صورة صادقة لما كان عليه غير العرب مما يؤكد ( **عالمية القرآن** ) وينفى زعم من يزعمون عربيتـــه .

فالفـــارق بين لغة الكتاب وجنسه فرق شـــاسع ، أما جنسية القرآن فهى العالمية اذ هو بما يضم من عقيدة وقيم وتشريعات موجه الى العالمين لا الى الانس فحسب ، دون تفرقة بين جنس وجنس ولا عصر وعصر ولا جيل وجيل فهو ( ذكر للعالمين ) .

والقرآن نفسه يقرر أنه ليس مقصورا على العروبة وان كان بلسان العرب فهو يخاطب أهل الكتاب على اطلاقهم .

● ● ●

ثالثا : حفظ القرآن اللغة العربية سليمة سهلة بعيدة عن الاعوجاج كما حدث بالنسبة لكثير من اللغـــات .

يقول الاستاذ عبد الستار حسين : أن الذين يتبعون التاريخ يجدون أن هناك

لغات كثيرة اندثرت ولم يبق منهـــا شيء مثل الفرعونية القديمة والرومانية والللاتينية والقبطية وقد أصبحت هذه اللغـــات فى متحف التاريخ .

كذلك فان اللغة تختلف اليوم عنها منذ قرن من الزمان .

( اللغة الالمانية واللغة الانجليزية ) بل أن اللغة الانجليزية تختلف عن اللغة الأمريكية مع أن الانجليزية هى الأصل ، وتوجد هذه الاختـــلافات فى قواعد اللغة والصرف وموسيقى الالفـــاظ ومخارج الحروف .

فالقرآن الكريم هو وعاء اللغة العربية الذى حفظها وحفظ قواعدها سليمة كما هى ، فلو أنك اخذت نصا قرآنيا وحديثا شريفا للرسول وبيت من شعر للمتنبى أو شوقى أو موضوعا نثريا لأحد الكتاب المعاصرين فان قواعد اللغة واساليب الصرف والنحو كلها تبدو واحـــدة لا تتغير ولايبدو بينهـــا خــــلاف .

ان الأمة العربية كلها تنتسب الى القرآن وليس العكس ويؤكد هذا القرآن نفسه حيث يقول :

**( وانه لذكر لك ولقومك )**

**( ورفعنا لك ذكرك )**

فهو الذكر الخالد وتذكرة للقلوب أن تلتزم بالمعـــانى الكريمة المستوحاة من كتاب الله تبارك وتعالى ولذلك فنحن ندرس القرآن فى المدرسة العربية فى ميونخ للتلاميذ الالمان واليوغسلاف وغيرهم .

ومعنى هذا أنه لولا القرآن لتعددت لغـــات العرب بتعـــدد لهجاتهم العامية فقد حال القرآن دون تفكك اللغة العربية لو تغلب اللهجات العـــامية ولولاه لما اتفق للعربية الفصحى هذه الوحدة التى نجدها فى البـــلاد العربية اليوم » . ا . هـ .

● ● ●

يقول الامام الشـــافعى :

ان الله ( تبارك وتعالى ) اقام حجته بأن كتابه عربى فى كل آية ثم أكد

كذلك بأن نفى عنه — جل ثناؤه — كل لسان غير لسان العرب فى آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى :

**( ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ) النحل .**

**( ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته اعجمى وعربى )** فصلت .

والقرآن هو المرجع الأخير فيما يخص اللغة العربية وقواعدها وقراءته والالمام به ضرورة بالنسبة لكل من يريد تعلم العربية وهو الحجر الاساسى للوحدة وقد حفظ القرآن اللغة العربية من أن تتطور لهجاتها الى لغات كما حدث للغات الرومانية .

( المهدى المنجرة )

• • •

( ٢ )

# فضل القرآن الكريم على اللغة العربية

يقرر الباحثون أن القرآن الكريم :

**أولا :** حفظ لغة العرب من الضياع وأن تذهب فى الاسماع بددا وكفل لها الجدة وان طال الزمان ، ذلك أنه ليس فى الدنيا لغة واحدة ما عدا لغة الحجاز يتكلم بها الناس فى الصورة التى كانت عليها حين أرسل بها رسولها حتى الكتب المقدسة لو ظلت باقية محفوظة فى لغاتها الاصلية لتعذر علينا أن تدرك حق الادراك مرامى آياتها ومغازى تعاليمها .

أما القرآن فانه أنزل فى لغة لاتزال الى الآن حية ، وظل هو محفوظ من كل تبديل وتغيير ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن أعاجيب هذه اللغة أنها تغلبت أيام الدول الاعجمية الاسـلامية بمالها من سلطان على كثير من الاعاجم وحلت من السنتهم محـل لغـاتهم الأولى .

**ثانيا :** طبع القرآن الكريم أسلوب العرب بالعذوبة والسلامة والفصاحة والجذالة وكان لمواسم العرب ( عطاظ والمجنة وذى المجاز ) أثرها فقد دفعت قريشا الى موقف المتنخل الذى يصطفى ما استعـذب من هذه اللهجـات **( كتابا فيه ذكركم ) — ( وانه لذكر لك ولقومك ) .**

وقد ذابت ( الحميرية ) فى لغة قريش التى صارت ذات غلبة وسيادة ولو نزل القرآن بلغة غير لغة محمد ( صلى الله عليه وسلم ) ما استقـامت الموازنة بين القرآن وبين كلام محمد ولا نفسح المجال للخوض فيه الطعن عليه ، ومع نزوله بلسان النبى صلى الله عليه وسلم ولهجة قومه فقد أتلفت لغته على وجه يستطيع به العرب جميعا أن يقرءوه بلحونهم مع بقائه فى فصاحته ذلك أن القرآن الكريم جاء مخالفا لكلام العرب فى الطريقـة والمذهب وفى المنزلة والصنعة وان جانس لغتهم فى المادة والتركيب .

يقول الدكتور سنتجاس : ماذا كان مصير هذه اللغة العربية لو لم

يكن محمد ولو لم يكن القرآن ، نحن لا ننكر أن اللغـــة العربية أنتجت قبل الاســـلام الوانا عدة من الشعر هى غاية فى الحسن والرقة الا انها كانت محفوظة فى اذهان الناس وغير مكتوبة ، زد على ذلك ان الشعر ليس هو الادب كله ، وكان العرب فيما بينهم منقسمين الى قبـــائل متفرقة مختلفين فيما بينهم ، وفى حروب طاحنة دائمة وكانوا على شفا حفرة من التنابذ والشقاق لولا عناية الله لذهبوا وذهب معهم لسانهم وشعرهم الملىء بالغزل والحرب ولما جاء القرآن أبقى بطبيعته مختلف اللهجات العربية لغة موحدة مكتوبة هى لغة الادب العربى الى اليوم .

ثالثا : حفظ القرآن لغة الضاد من ان تستعجم حين دخل الناس دين الله افواجا كما صانها بعد أن تقبلتها الشعوب واقبلت على تعلمهـــا حيث اختلفت لهجاتهم بها قليلا او كثيرا .

ولولا هذا الكتاب المبين لتقطعت الأسباب بينهم وبين السنتهم ولا تفصلت لغة كل شعب .

**رابعا :** تهذيبها من الحوشية والسير بها الى السهولة والمتانة ووضوح القصد وبلوغ الغرض من أوضح الطرق وأجود الاساليب .

● ● ●

كذلك فقد عمل القرآن الكريم على توثيق الرباط القرآنى باللغة العربية فى نفس المسلم من ضرورة ايمانه واعجازه وتفوقه على القدرات البشرية أن يأتى بمثله او بمثل جزء منه اذ جـــاءت آيات التحـــدى متدرجة فى تحديها ومؤكدة عجز الناس عن ذلك .

**( وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صـــادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النـــار ) ( البقرة ) .**

وقد جاءت رابطة هذا القرآن باللغة العربية وثيقة من نصوص القرآن نفسه ومن روحه ومن دوره فى عبادات الاسلام وتوجيه المسلمين .

**( انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ) — يوسف .**

**( تنزيل من الرحمن الرحيم : كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ) فصـــلت .**

**( وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ) — الشعراء .**

**( ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ) — الزمر .**

هذه العربية فى القرآن تضم الالفـــاظ والتعـــابير بدليل قوله تعالى : **( بلسان عربى )** أما المعـــانى والتوجيهات فليس لها هذا الطابع المحلى وانما لمعـــانى القرآن صيغة انسانية نسيحة وعميقة ليس لهـــا حد من الزمن ولا انحصار فى مكان .

**( وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا )**

● ● ●

( ٣ )

# أثر القرآن الكريم فى البلاغة العربية

أثر القرآن الكريم فى نشـــأة البـــلاغة العربية وتطورها الى جـــانبه أثره العظيم فى حياة العرب والمسلمين العملية والثقافية .

والمعروف أنه لم تؤلف كتب تبحث فى البـــلاغة والنقد قبل نزول القرآن وانما كانت هناك أحكام عامة تتجلى فى مناظرات الشعراء واحاديثهم وفيمـــا كان يتخلل أسواق العرب وانديتهم من حـــوار ادبى فلما نزل القرآن الكريم نشأ ذلك البحث عن معانيه وأحكامه ومجازه ومتشابهة ونظمه واعجازه ، ونشأت من ذلك الدراسات التى كان لهـــا اتصال ببحوث البلاغة والنقد .

وكان للقرآن أثره فى البيان العربى فعنى علمـــاء البـــلاغة بالايجـــاز أكثر من عنايتهم بالاطناب ، واعجبوا بجوامع الكلم اكثر من اعجابهم بالكلم المطول بل أن ( هلال العسكرى ) فهم أن الاطناب تكرار للمعانى : يقول :

ان الكلام له مقامات فان خاطبت رجـــلا ذكيا فأوجز لأن الاطنـــابه فى مخاطبة الاذكياء يعد من التطويل وهو فضول ، وان خاطبت الجمهور فاطنب لأن الجمهور مكون من عناصر كثيرة تتفاوت فى الفهم والادراك والتمييز .

وقال ان شرف البيـــان موقوف على مقتضيات الأحوال وليس معنى أن الأدب العربى يكره التحليل ولكنه يؤمن بأن الجمل القصيرة المركزة المحكمة هى التى تبقى فى الأذهان والقلوب ومن ذلك قول عمر : ان كثرة الكلام ينسي بعضه بعضـــا .

وقد أمر عمر بن عبد العزيز بالايجاز ( انما الالفاظ على اقدار المعانى ) .

● ● ●

وقد رد أبو الحسن العامرى على من اتهم القرآن بضعف البيان وبين أن القرآن الكريم يضم ثلاثة أساليب فى البيان عن الافكار :

**أولا** : التعبير عنها على سبيل الرمز والالغاز دون التصريح والإيضـــاح وذلك كما فى الايات المتضمنة لانباء الغيب مثل :

**( واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ) .**

**ثانيا** : التعبير عنها على وجه الاجمال والايجاز .

أى أن يودع الكثير من المعانى فى القليل من الالفـــاظ وذلك كما فى آيات

التشريع والاحكام ( العبـــادات والمعـــاملات والحدود ) وهى التى تولى الرسول بيانها بأقواله وأفعاله .

**ثالثا** : أن يكون المعنى دقيقا أو محوجـــا الى استعمال مقدمات عقلية وذلك كما فى الآيات المتضمنة للحجج التى تســـاق للبرهنة على العقـــائد ( كاثبات الصانع ووحدانيته واثبات الرسل والمعاد ) .

ولأن القرآن يشتمل على الأوجه الثلاثة التى بها تصير الألفاظ المؤلفة معرضة للظنون المختلفة فلا عزو أن يكثر الاختلاف فيه وتزدحم الشبه على معانيه .

يقول الدكتور أحمد عبد الحميد غراب : الواقع أن العامرى يثير قضية بالغة الاهمية ، وهى انه ليس على ناظم الكلام تقريبه من جياد الافهام وعليها بل عليه أن تخلص الى المعانى قصدها بأسهل وجوه اللفظ ، ثم من فهمه كان ذلك فضيلة له ، ومن قصر عن ذلك كان نقيضه منه ، وفحول الشعراء لم يقولوا ما قالوه من أشعارهم على شريطة أن يفهمه عنهم كل ســـامع بل قالوه على شاكلة من أوتوه من الفصاحة وعلى هذا الأساس لا يعيب القرآن أن تعجز بعض العقول عن فهم معانيه ، أما دعوى قصور القرآن عن البيان فدعوى زائفة .

فان الذين خوطبوا به فى زمن النبى صلى الله عليه وســـلم كانوا هم الائمة فى الفصاحة وقدوة جزيرة العرب فى البلاغة ولم ينسبه أحد منهم على عدم فضيلة البيان ولا تجاسر على اضافته الى الهجنة فى النظم ، بل شهد له أهل المعرفة بالالفاظ انه يفضل الكتب كلها من جهة تبيانه وشهد له أهل المعرفة بالمعانى أنه يفضل الكتب من جهة معانيه .

ويرى العامرى أن فكرة النظم ترتبط فى القرآن بتمييز نظمه تمييزا واضحا لدرجة أنه يمكن للناقد البصير اكتشاف ما يضاف اليه وليس منه .

أما تأليف المعانى فقد حدده العامرى بأنه يجمع فى الجزء منه الشبيه بما هو موجود فى الكل » أى أن الانسان لا يقرأ عدة آيات منه الا ويجـــدها تشتمل على عقائد وعبارات ومعاملات وحدود بل وعلى آداب وأخـــلاق وتاريخ مع بلاغة ميسرة للذكر ووجازة سهلة الحفظ ومعان مجملة لو فصلت لاستغرقت كتبا كثيرة » .

● ● ●

( ٤ )

# القرآن والأدب العربى

فتح القرآن الكريم للأدب العربى آفاقا جديدة فقد أمد اللغة العربية بألفاظ وصيغ وقيم ذات دلالات جديدة فكان من عوامل توحيد اللغة وحفظها وهو أساس العلوم الدينية والاجتماعية فقد قدم أصول الدين وأصول الأحكام ( من عبادات ومعاملات ) من خلال التشريع العقدى والعبادى ( الصلاة والزكاة والحج ) والتشريع الاجتماعى فى ( الزواج والميراث والطلاق ) والتشريع السياسى فى نظام المجتمع وعلاقاته الاقتصادية والدولية .

وجاء الحديث النبوى فى المنزلة التالية للقرآن ذو بلاغة رفيعة وروعة بيان جليلة وقد وسع المادة اللغوية بادخال الفاظ قيمة ودينية وتعبيرات جديدة .

وقد وحد القرآن كلام العرب كما وحد الاسلام أمة العرب وقد أصبح القرآن بعد ذلك مصدر علوم النحو والصرف والبيان ، كما أصبح المثل الأعلى لاسلوب التعبير ولما قيل ان الايجاز أصلح الاساليب قال ابن قتية لو كان الايجاز محمودا فى كل مجال لجرى عليه القرآن ولكنه لم يفعل ذلك بل أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للايجاز وكرر تارة للافهام وقال الباحثون أن النثر فى العصر الاسلامى لم يؤخذ عليه التزام السجع ، وانما كان نفع السجع حين يقع بسيطا مقبولا لا تكلف فيه ، ولا تكاد تجد فى القرن الاول والثانى وأوائل الثالث كاتبا يتخير السجع طابعا ملازما خصوصا الكتاب المشاهير ( ابن المقفع وعبد الحميد بن يحيى ) والسجع فى الاصل حيلة يزدان بها النثر وهى مقبولة ما دامت تجرى فى حدود الاعتدال والقصد كما وقع فى القرآن فالقرآن يسجع أحيانا ولكنه لا يلتزم السجع ، ومع ذلك فقد فرق الكتاب بين سجع القرآن وبين سجع الكهان قبل الاسلام ونفى الباقلانى ورود السجع فى القرآن ولا ريب أن أول أسلوب عربى قرآنى هو أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم وكل الأساليب العربية بعده متصلة به على درجات .

وقد أنكر صلى الله عليه وسلم من السجع ما كان متكلفا تكلف الكهان .

● ● ●

أما فى الشعر فقد تغيرت وجهته فى المعـــانى والاعراض : حيث هجر الشعراء المسلمون الاعراض الوثنية كالقسم بالاوثان والكلام فى العصبيات والفخر بالخمر والثأر ثم أخذوا مكانها المعانى الاسلامية من التوحيد والتقوى والجهـــاد والجنة .

أما فيما يتعلق بالأسلوب خاصة فقد كان للقرآن الكريم اثر ظـــاهر فى الألفاظ والتراكيب فقد ساعد القرآن على توحيد لغة المخاطبة بين المسلمين فى جميع أجزاء الجزيرة العربية .

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشعر الذى يذكر الاعراض ويثير كوامن الأحقاد ويشيد بالعصبيات والانساب .

ويمكن على الجملة القول بأن البيان العربى ( نثرا وشعرا ) قد تأثر بالقرآن الكريم من وجهين :

**الأولى** : أصبح بالدرجة الأولى أفصح الفـــاظا واسهل تركيبا واعذب تعبيراً . أما من الجهة الثانية فقد كان أمتن سبكا وابرع دلالة وآلق ديباجة لأن الناثرين كانوا قد تأثروا ببلاغة القـــرآن الكريم التى كانت تجرى فى أساليب متعددة بتعدد الأغراض من ترغيب وترهيب ومن وعد ووعيد .

وقد بهرت العرب بلاغة القرآن وملأ نفوسهم فشغلتهم عن قول الشعر الا قليـــلا .

أما الشعر فقد قل فيه المديح وقلت المبالغة فى ذلك المديح وقل الهجاء وقل الافحاش فى ذلك الهجاء ومثل ذلك جرى فى الغزل والنسيب وكثر فى الشعر الاسلامى الاول : الرثاء للشهداء والابيات التى تمدح الاسلام وكثر ضرب الامثال وايراد الحكم والقصد الى المواعظ مما يحث على مكارم الاخـــلاق والتمسك بالآداب .

وتطور الهجاء القبلى من هجاء يورى بالأحقاد ، ويثير النفوس الى نقاش سياسى بين شعراء الاحزاب المختلفة .

فقد نهى الاســـلام عن المفاخرات والمنافرات ووزع عن الغزل والهجاء وثبط عن المبـــالغة والمغـــالاة وفقد الشعراء بارادتهم الميادين الرحبة التى

كانوا يجرون فيها السنتهم فى الجاهلية ووجدت الفاظ الاســـلام ومصطلحاته طريقها الى الشعر العربى منذ الهجرة .

يقول الدكتور عمر فروخ : ان تبدل خصائص الأدب فى الاســـلام عما كانت عليه فى الجاهلية راجع الى أثر القرآن الكريم والحديث الشريف وقد جمع القرآن اساليب العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة بجميع خصائصها .

ومن أسلوب القرآن : الخطابى المنطوى على وعيد ( سورة المسد ) ومنه القصصى الممزوج بشىء من الحوار والوصف ( حديث نوح وابنه ) وفى القرآن اسلوب مبسوط فيه مناقشة وتحليل كحديث اليهود مع المسلمين » .

وقد نقل القرآن الكريم النثر من الجمل القصيرة المسجوعة المفككة الى تلك الصور الانيقة التى نقرأها فى أحاديث الرسول وخطبه وكتبه ومن خطب الصحابة والتابعين ورسائلهم وأثر القرآن فى النثر بوصفه الاسلوب الامثل لمعالجة القصص والوصف والاشتراع والجدل والموعظة الحسنة ، فضلا عن استحداثه الفاظا وتراكيب وموضوعات لم يكن يعرفها العرب .

● ● ●

كذلك فقد قدم القرآن الفكر على الادب ان كان لم يهمل مفـــاهيم الوجدان والخيال ، ذلك أن الغـــايات الاسلامية التى قدمها القرآن شذبت الموروثات المحلية وأسقطت بعضها وثبتت منها ما أتفق مع الاســـلام فى جوهره .

ومن ثم انكر الأدب الاسلامى المغالاة فى الزينة اللفظية فى ظل قاعدة لكلّ مقام مقال . وانكر الادب العربى المحسنات اللفظية والأسلوب البديعى وآمن بأدب الفكرة .

وأقر قاعدة الاعراض عن الأسلوب المثقـــل بالمحسنات ، وتحرر من السجع فى الأساليب وعناوين الكتب .

قالّ ابن تيمية : أما تكلف الاسماع والاوزان والمعـــانى والتطبيق ونحو ذلكّ مما تكلفة متأخروا الشعراء والخطباء والمترسلين فهو لم يكن من دأب خطباء الصحابة والتابعين والعلماء منهم ، ولو كان ذلك مما يهتم به العرب

وغالب من يعتمد ذلك بزخرف اللفظ يعتبر فائدة مطلوبة من المعانى كالمجاهد الذى يزخرف السلاح وهو جبان ، ولهذا يوجد الشاعر كلما اقتعد فى المدح والهجو خرج فى ذلك الى الافراط فى الكذب يستعين بالتخيلات والتمثيلات .

( ج ٤ — ص ١٥٨ — منهاج السنة )

وهكذا أقر القرآن فى الأدب العربى والنثر الفنى فكرة الأصالة والاسلوب الجزل بعيدا عن الأسلوب المثقل بالسجع ، وجعل المعنى أغلب من اللفظ وقد هيأ القرآن المثل الأعلى للتوسع فى النثر وفق النموذج القرآنى .

● ● ●

ومن هنا أقر القرآن مفهوم الواقع والنفور من الاستسلام لدوافع الخيال ، وأقام هذه الرغبة فى البقاء داخل نطاق الحادث الواقعى الحقيقى ، وذلك مما يبثه الاسلام حول الانسان منذ البداية فقد اهتم الدين الجديد بأن يؤكد انه لا خالق الا الله تبارك وتعالى وانه مطلق القدرة فى كل شىء ولم ينس أن ينكر على الانسان كل قوة تثير فيه الغرور بكفاياته ومواهبه وتزعزع موقفه من علاقته بالله تبارك وتعالى .

وكما أقر الاسلام استمدادا من القرآن الكريم الصدق فى القصة ، كذلك أقر مفهوم أخلاقية الفن واسبقيته الاخلاقية على الفنية واصحاب نظرية الفن للاخلاق مما يتمثل فى قوله تعالى :

**( الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا بعد ما ظلموا ) .**

وهذا ما نبه عنه خامس الراشدين ( عمر بن عبد العزيز ) لما وقف الشعراء ببابه فلم يكن يأذن لأحدهم بالانشاد عنده حتى يقول له : قل ولا تقل الا الحق انك مسئول عنه ) ولقد تأثر العرب بالقرآن فصرفهم عن الشعر فاستصغروا شأنه وكما وقع للبيد لما سأله عمر ان يرسل اليه ما قاله فى الاسلام فأرسل اليه الفاتحة وكتب له أن الله تبارك وتعالى أغناه عن قول الشعر بمدارسة القرآن .

وقد كف الشعراء عن ذكر الخمر والهجاء وكان عمر يعاقب عليهما وقد سجن ( الحطيئة ) حتى تاب الى الله .

● ● ●

وهكذا كان أهم ما تميز به الادب فى مفهوم الاسلام انه ( ادب الفكرة ) ولم يعد هو مأثور الكلام الجميل الذى يعبر عن ألفاظه وحدها .

**اولا** : غلبة النثر على الشعر .

**ثانيا** : غلبة الفكرة على العاطفة .

وحيث لم يكن قبل الاسـلام غير الخطابة والشعر ، أصبح هناك الرسالة والمناظرة والحوار والسيرة والحكاية والمقال والتاريخ .

تقول الدكتورة بنت الشاطىء : وضع القرآن الكريم قيما اسلامية جديدة للشعر فبعد أن كانوا يقولون : اعذب الشعر أكذبه جاءت الآيات تلعن الكذب والتضليل والغواية وتبارك الشعراء الذين يجاهدون بالحق والعدل :

**( وما علمناه الشعر وما ينبغى له )** .

**( والشعراء يتبعهم الغاوون )** — الآية .

وقد عبأ الرسول صلى الله عليه وسلم الشعراء المسلمين ضد الوثنية فأخذ الشعر دوره القيادى فى المعركة .

● ● ●

والواقع أن القرآن لم يرفض الشعر ولكنه عدل مسيرته ورسم لها ضوابط اخـلاقية ودعا الى التزام الكلمة البعيدة عن الفخر والكذب والزور والهجاء ، فالقرآن قد وضع الاطار الاخلاقى للشعر ولغيره من الفنون وهو الاطار الذى يحمى أصالة الابداع فى الفن بعيدا عن مفـاهيم الهدم الذى ترمى الى اذاعة الاباحات بدعوى الواقعية .

● ● ●

لقد كان القرآن الكريم يوم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفا كل المخالفة لجميع الفنون الادبية المعروفة عند العرب وقد اعترفوا هم أنفسهم بهذه المخالفة ويروى أن عتبة بن ربيعة قال حين سمع القرآن : يا قوم قد علمتم أنى لم أترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة .

وقال الوليد بن المغيرة : لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه ومبسوطه ومقبوضه وما هو بشاعر ولما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ﴿ **ان الله يأمر بالعدل والاحسان** ﴾ قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق ( ذو غدق وغدق النخلة حملها ) وان أعلاه لمثمر ، وما يقول هذا بشر وسمع اعرابى رجلا يقرأ :

﴿ **فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا** ﴾ .

قال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وقال أبو ذر : والله ما سمعت بأشعر من أخى أنيس ، لقد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية أنا احدهم وانه انطلق من مكة وجاءنى بخبر النبى قلت : فما يقول الناس قال : يقولون شاعر ، كاهن ، ساحر ، لقد سمعت قول الكهنة فما هو يقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر ( بحوره ) فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر .

وهكذا ادرك العرب أن القرآن مباين فى أسلوبه لكلامهم وانه وان كان موسيقيا ليس بشعر ، وهو وان كان فيه السجع لا يشبه سجع الكهان ولهذا السبب عينه وهو أنه مباين فى أسلوبه لكلام العرب وقد ذهب البعض الى أن القرآن وان كان من المنثور مباين لنوعية : المرسل والمسجع فلا يسمى شىء منه مرسلا ولا سجعا وانما هو آيات مفصلة ، تنتهى الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها .

ومن اشهد من نفى السجع عن القرآن : أبو بكر الباقلانى واجدا ان السجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون أولى من نفى الشعر ، لأن الكهانة تنافى النبوات وليس كذلك الشعر .

فالقرآن له نظامه الخاص فى عرض أفكاره وفى ترتيب معانيه فيه السجع وفيه الارسال وفيه السجع المعجز ، يتبع اللفظ فيه المعنى ، العبارة فيه طبيعة غير متكلفة ولا مبتسرة ينتهى المعنى بانتهاء الاية ، ولا يتكلف فيها شىء من اغتصاب الكلمات أو التغيير فى التعبير حتى يصح السجع ويسلم .

كان القرآن أمة وحدة يوم نزل ، وظل الى اليوم أمة وحدة ، كذلك ،

وإذا كان الكتاب قد حاولوا الاقتداء به فلم يكن ذلك الا فى المظهر دون الحقيقة، فظل القرآن فريدا فى اللغة العربية بأسلوبه وطريقة عرضه » .

( علام سلامة )

انما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها فى الأساليب وما خص الله ( تبارك وتعالى ) به لغتها دون جميع اللغات فانه ليس فى جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة واتساع المجال ما أوتيه العرب .

● ● ●

ويقول الباقلانى :

ان نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه ، خارج عن المعهود فى نظام الأدب العربى وليس للعرب نتاج أدبى بهذا الطول وعلى هذا القدر مشتمل على ما اشتمل عليه القرآن من تصرف بديع وتناسب فى البلاغة .

وقد تصرف القرآن من وجوه القول من قصص ومواعظ واحتجاج وأحكام ووعد ووعيد الى غير ذلك من الوجوه دون أن يكون فى تأليفه تفاوت أو نزول عن المرتبة العليا ولن تجد لأحد من البلغاء مهما علت منزلته أدبا لا تفاوت فيه .

( هذا والقرآن كتاب تشريع جديد يتخير الألفاظ للمعانى المبتكرة والأسباب المستحدثة لا ينسج فى شىء من ذلك على منوال سابق ) أ . هـ .

● ● ●

( ٥ )

# اللغة العربية واللهجات

ظاهرة تنفرد بهـا اللغة العربية عن غيرها من اللغـات ان مشكلة اللهجات فيها ليست مشكلة بمعنى التأزم والانشغال بقدر ما هى مجرد مسألة أو ظاهرة بسيطة وعادية .

ويرجع ذلك الى أنه ليس هناك لغـات عربية بل مجرد لهجـات محلية ولغة عربية واحدة موحدة .

فالمقارنة مع اللاتينية نجد أن هناك لغة فرنسية ولغة اسبانية وايطالية تنتمى جميعها الى اطار لغوى واحد هو اللغة اللاتينية ونجد ان كل واحدة من هذه اللغـات تنتصب كلغة قائمة بذاتها مستقلة عن أخواتها اللاتينيات ، وحتى عن اللاتينية الام نفسها .

وبحيث أن متكلم الفرنسية لا يستطيع فهم الاسبانية والايطـالية وكذلك متكلم الاسبانية ، ومعنى ذلك استحالة اعتبار هذه وتلك لهجات لاتينية ضمن اللغة اللاتينية بل هى لغات بكل معنى الكلمة بينما فى المقابل ليس هنـاك لغة لبنانية ولغة مصرية ولغة سورية بل لهجة لبنانية ، مصرية تنتظم جميعها فى منبع واحد ومجرى ومصب لغوى واحد موحد ، هو اللغة العربية .

والسبب فى هذا هو القرآن الكريم الذى حفظ اللغة العربية الام .

ومجموع اللهجات المحلية ضمن اللغة العربية الواحدة لا يتأثر جذريا بالعامل المكانى ولابالعامل الزمنى فى حين أن فرنسى القرن العشرين لا يستطيع أن يفهم فرنسية القرن ١٧/١٨ دون الاستعانة بالقواميس والمعاجم وكذلك الاسبانى والانجليزى والالمانى .

وللقرآن الكريم الفضل الاساسى والتاريخى فى حفظ اللغـة العربية كبوتقة واحدة موحدة صهرت وجمعت تحت جناحيها جميع ما كان وما بقى سائدا من لهجات عربية محلية .

ان الدور التاريخى الذى قام به القرآن الكريم لم يقتصر على تكريس فصحى مرجعية موحدة للعرب فحسب، بل ساهم فى تدريب وازالة بعض ما كان بين اللهجات العربية من خلافات فى التركية الصوتية واللفظية كان من الممكن لو استمرت على حدتها أن تؤدى مع الوقت الى شرخ جدى فى البنيان اللغوى المتماسك .

وبالجملة فان القرآن الكريم أوجد للعرب فصحى مرجعية وأزال فروقات اللهجات القبلية . وهى مشكلة تاريخية تعانى منها جميع لغات العالم وبفضل القرآن أمكن ردم هذه الهوة التى تعيق الى حد ما، فان لغتنا العربية هى الاقل معاناة من هذه الامم .

« أوزبيت برس »

● ● ●

(٦)

# اسلوب القرآن فى المحاجة والجدل

يقول الدكتور عبد الوهاب حمودة :

أول من وضع الرســـائل فى ادلة القرآن والنظر فى حججة هو حجة الاســـلام الغزالى وله رسالة صغيرة تسمى القسطاس المستقيم يحث فيها الادلة القرآنية المختلفة ويسميها موازين :

الميزان الاكبر — الميزان الاوسط — الميزان الاصغر .

كذلك صنع ابن رشد فقد الف ما اسماه ( الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد الملة ) سلك فيه مسلك المتكلمين وجعل كل براهين القرآن داخله تحت سنفين : سمى الصنف الاول ( دليل العناية ) والصنف الثانى ( دليل الافراع ).

وللرازى حجة القرآن لجميع اهل الملك والاديان .

استخرج فيه من القرآن كما قال ( حجج كل طائفة على اختلاف نحلهم وارائهم وافتراق مللهم وأهوائهم ) .

حجج اهل التوحيد — حجج الجبرية — حجج القدرية — حجج المرجئة أما السيوطى فانه لم يستوف الموضوع فى كتابه ( الاتقان ) بل الم به الماما وللشيخ جمال القاسمى ( دلائل التوحيد ) جمع فيه أدلة الكلاميين ما رد به على الماديين والفلاسفة الالهيين مجددا فى اسلوبه .

والسؤال هو : هل فى أدلة القرآن الكريم ما يتطابق مع ادلة الخطابة ومعانيها التى عرفها أرسطو وحاكاه فيها المناطقة : انه مما لا ريب فيه أن أسلوب القرآن مقنع بالفطرة أوضحه وجـــلائه ، فقد نقـــل السيوطى فى ( الاتقان ) ان القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والادلة وما من برهان ودلالة الا وكتاب الله قد نطق به ولكن أورده على عادات العرب ودون دقائق طرق المتكلمين لان الذى يميل الى دقيق المحاجة هو العاجز عن اقامة الحجة بالجليل من الكلام فان من استطاع أن يفهم بالاوضح الذى يفهمه الاكثرون لم ينحط الى الاغمض الذى لا يعرفه الا الاقلون . فأخرج

تعالى فى مخاطباته فى حجاج خلقه فى أجلى صور لتفهم العامة من جليها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من ابنائها ما تربى على ما يدركه فهم الخطباء .

قال الفخر الرازى : ليس الغرض من الادلة القرآنية المجادلة بل الغرض منها تحصيل العقائد الحقة فى القلوب . فأصبح من اليسر اذن ان نرى فى القرآن أدلة اقناعية سهلة قريبة الفهم ، فطرية الادراك ، وهذا النوع من الفهم والضرب من الادراك تؤديه الادلة الخطابية اذ تعريف الخطابة عند أرسطو : انها صناعة تتكلف الاقناع الممكن فى كل مقولة من المقولات ) .

ان أسلوب القرآن مملوء بالاسلوب الخطابى مفعم بخصائص هذا النوع ومميزاته » .

● ● ●

وقد تحدث العلماء عن طريقة القرآن فى الدعوة والاقناع :

**اولا :** استخدم القرآن فى الدعوة والاقناع طريقة التمثيل بالأمر المحسوس تقريبا للمعانى .

ومن الاساليب التى استعملها القرآن فى الدعوة والاقناع مطالبة الانسان الاحتكام الى نفسه فى تصرفاته الاجتماعية التى تتصل بالغير وتوجيهه الى التفكير فيما يكون عليه الامر اذا كان هو نفسه أو من يهمه أمره من أقرب الناس اليه فى مكان الشخص الاخر الذى يتصرف معه .

**ثانيا :** قرر القرآن ان الناس مختلفون فى مستوياتهم العقلية والوجدانية والعاطفية وان ذلك يتطلب اختلاف الوسيلة عند مخاطبتهم او محاولة جذبهم الى مبدأ أو فكرة فان القرآن قد سبقهم الى تقرير ذلك .

**ثالثا :** استخدم القرآن الاسلوب التلقينى عندما يسوق القضايا على انها مسلم بها لا تحتاج الى دليل ولا تحتمل المناقشة وهو الاسلوب الامثل .

**رابعا :** استخدم القرآن الاسلوب المنطقى عندما يسوق المقدمات وينطق بالنتيجة او يطالب السامع باستنتاجها أو عندما يزيل الشبهة التى أدت الى اختلاط الامر أمام المدعو وهو أسلوب أرباب الثقافة .

مع المتغطرسين والمتكبرين .

**خامسا :** استخدم القرآن اسلوب الارهاب والتخويف وهو الذى ينفع مع المتغطرسين والمتكبرين .

**سادسا :** استخدم القرآن اسلوب الترغيب للذين يريدون ثمنـا لكل تصرف يحدث منهم .

دعا القرآن الكريم الى الناس البرهان .

● ● ●

وهى دعوة الى امعان النظر والفكر وتحمل فى طواياها الحملة على المقلدين الذين يعطلون عقولهم ولا يستعملونها وفى ذم التقليد يكشف القرآن الكريم عن منهج واحد يدعو الى الاستقلال الفكرى واستعمال العقل :

**( مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاءا ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ) .**

والمرا لا يكون انسانا تام الشخصية فى نظر القرآن الا اذا عقل ما يؤمن به وعرفه معرفة مقنعة فمن يقبل عقيدة او نظرية بغير اقتناع عقلى فهو فى تقدير القرآن مقلد وهذه أرقى درجات استعمال المذهب العلمى فى تقرير الحقـائق .

● ● ●

(٧)

## اللغة العربية وكلمات القرآن

ادخل القرآن الكريم على مفردات اللغة وكلماتها معانى جديدة وخاصة الفـاظ الركوع والصوم والوسيلة والوحى ، وقد وسعت التعابير القرآنية مداليل عشرات الالفاظ واضافت اليها معانى جديدة ، أو كانت مطلقة فمقديها ، وبذلك أعطتها الحركة والحيـاة .

فلفظ الركوع كان يعنى فى اللغة الانحنـاء والتواضع والتذلل اما فى اصطلاح القرآن فقد قيد بالهيئة المخصوصة من الصـلاة ليطابق المعـانى الأصلية وكذلك لفظ الصوم فهو فى اللغة الامسـاك عن الفعل مطعمـا او كلاما أو مشيـا ولذلك قيل للفرس الممسك عن السير والعلف : الصـائم اما لفظ الوسيلة فهى فى اللغة التوصل الى الشىء برغبة ، وفى القرآن مراعاة سبيل الله تبارك وتعالى بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة اما لفظ الوحى وكان فى الأصل : الرمز والاشارة والالهـام ، اما القرآن فانه يستعمله بمعنى الوحى النازل على الرسول بواسطة .

كذلك فان اللغة العربية بعد ان كانت الفاظها وتراكيبها تدور حـول حيـاة الصحراء توسعت توسعا هائلا فغدت معبرة عن الحضارة الاسلامية الشـاملة والعلوم والمعـارف الانشائية المتنوعة .

وقد حفظ القرآن أصول اللغة من شعر ونثر ومعانى الفاظ لأن الناس أخذوا يعودون الى نظمهم القديم فى التعرف على معـانى القرآن وكلماته .

ولما سأل عمر عن معنى قوله تعالى : **( أو يأخذهم على تخوف )**

قال شيخ من هزيل : أن هذه لغته وان معنى التخوف النقص وأنشد الهزلى قول القائل .

تخوف الرجل منهـا تامكا قردا

كما تخـوف عود النبعة السفن

قال عمر : عليكم بديوانكم لا تضلوا .

قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعـانى

كلامكم قال ابن عباس اذا سألتمونى عن غريب اللغة فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب ، فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى انزله الله تبارك وتعالى بلغة العرب رجعنا الى ديواننا فالتمسنا ذلك منه .

( الاتفاق للسيوطى — والموافقات للشاطبى )

ومن هنا ظهرت الحاجة الماسة الى جمع هذا الشعر وروايته فجمعته دواوين الشعراء الجاهليين ورويت المعلقات ودونت وكسبت اللغة العربية من خلال هذه الحركة ثروة لغوية عظيمة ثم ان البحث دفع الى جمع اللغة خاصة بعد اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الاسلامية وظهور اللحن حتى رأى العشرات من اللغويين يضربون بطون الصحراء يرتادون القبـــائل العربية يدرسون اللغة كى يفسروا بهـــا القرآن والحديث ويؤلفون فيهــا المجمعات اللغوية

وقد ظهر ذلك خاصة بعد ظهور الاتجاه الباطنى فى التفسير الذى شوه المعانى القرآنية وحرفها وفسر القرآن تفسيرا باطنيا بعيدا عن أصول اللغة العـــربية .

( محسن عبد الحميد )

**كلمات القـــرآن :**

تتكرر الكلمة فى القرآن ولكنها فى كل مرة تأخذ معنى جديدا ومنها كلمة كتاب وكتب . فقد وردتا فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ومعان متعددة . فتارة تأتى كلمة الكتاب بمعنى القرآن ، وتارة تأتى بمعنى الأجل وثالث بمعنى الشريعة ورابعة بمعنى صحيفة الانسان يوم القيامة وخامسة بمعنى الانجيل والتوراة وسادسة بمعنى اللوح المحفوظ وسابعة بمعنى الحكمة وثامنة بمعنى الرســـالة .

والعربى يستطيع أن يميز بين هذه المعـــانى لمعرفته باللغـــة العربية ومن سياق المعنى ولكن الغريب عن اللغـــة لا يفهم للكتاب الا معنى واحدا وهو الكتاب الذى يدرسه الطالب فى مدرسته .

● ● ●

( ٨ )

# إعجاز القرآن

**اعجاز القرآن :** هو اعجاز جامع ، وليس اعجازا بلاغيا أو علميا فحسبه فهو من جهة قد أعجز علماء العرب عن محاكاته ومن وجهــة نظر الفــاظه وأسلوبه وعلاقته بالشعر والنثر العربيين ، ومن جهة اخباره بالمغيبــات واشارته لبعض نواميس الكون التى لم يكن يعرفها على عهد النبى محمد صلى الله عليه وسلم بشير على ظهر الأرض ومن جهة احاطته بكل شىء حيث يوجد فيه الايمان والعلم والعبادة والاخلاق .

ولا حد فى الحقيقة تصور اعجــاز القرآن ومداه ، فقد بلغ موضــع الاقنــاع من العقل والوجدان من النفس ما لم يعرف فى تاريخ البشر كلهــا ما قاربه أو شابهه فى قوة تأثيره على العقول والقلوب .

وقد تحدى القرآن العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا وما يزال التحدى قائما الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد قبل العرب التحدى ودلت الايام على عجز وفشــل كل من حاول معارضته عجزا تاما وفشلا ذريعا .

**( قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) .**

وهذا لبيد بن ربيعة العامرى أحد شعراء المعلقات السبع قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد من قومه فسمع القرآن وهو من هو فصاحة وبلاغة وحكمة فأخذ الذكر الحكيم بمجامع قلبه فأسلم وحفظ القرآن وهجر الشعر وكان اذا سئل عن الشعر قال :

لقد أبدلنى الله خيرا منه وتلا سورة من القرآن ولم يقل بعد اســلامه الا بيتــا واحدا .

الحمــد لله اذ لم يأتنى أجــلى
حتى لبست من الاسلام سربالا

وقد اعترف العرب بعجزهم عن الاتيان بمثله لان أسلوبه فوق أساليب الكلام البشرى وأنت اذا سمعته شعرت بضآلة الاساليب البشرية مهمــا بلغت من الفصاحة وفنون البلاغة أمام روعة الأسلوب القرآنى المجيد وذلك سر الاعجاز .

وما يزال تأثير القرآن على العرب والمسلمين دائما ومستمرا لا ينقطع لأنه يحمل الأحكام والمبـادىء والحدود التى تحكم حياتهم الفردية والاسرية والاجتماعية والاقتصادية وهى أحكام ومبـادىء فيها من المرونة وسـعة الأفق ما يجعلها أهلا للخلود .

وقد كانت لكل نبى معجزة مادية أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد كانت معجزته قرآنا يتلى عند قوم قادرين على المعارضة والجدل ، نزل على قريش وبلغة قريش وكانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولا وما ردوه كان مردودا .

وما يزال القرآن الكريم فى كل عصر يكشف عن اعجاز جديد يدهش له أهل العصر ويجذب اليه مؤمنون جدد وفى عصرنا هذا جاء الاعجاز العلمى والطبى فكان حدثا من أخطر الاحداث التى أزعجت خصوم الاسلام .

● ● ●

وقد ناقش العلماء اعجاز القرآن وتحديه للعرب وهل هو تحد بالبيـان والبـلاغة والاسلوب والايجاز أم هو بهذا وغيره وكتب العلماء ان الاعجاز قائم أولا ببـلاغة القرآن وبعضهم يضيف الى ذلك الاخبار الصادقة فى الأمور المستقبلة ، ويذكر أبو الحسن على بن عيسى الرمانى ( المتوفى سنة ٣٨٠هـ ) أن وجوه الاعجاز تظهر فى سبع جهات :

١ — ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة .

٢ — التحـدى للكافة .

٣ — الصرفة .

٤ — البـلاغة .

٥ — الاخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة .

٦ — نقض العادة ( وهو ان العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها السجع والشعر والخطب فأتى القرآن بطريقة مفـردة خارجة عن العادة لها منزلة فى الحسن تفوق كل طريقة ( السيوطى ) .

٧ — قياسه بكل معجزة .

ويقول الدكتور عبد المنعم البهى : جاء القرآن بطريقة فريدة فى مخاطبة

الوجدان وايقاظ الحواس بغير اسلوب الشعر المألوف وفاق النثر فى طريقة تأثيره وتعبيره فكان بهذا معجزا لمخالفة المألوف والعادة ، غير ان تحدى القرآن قائم أصلا وبالذات على بلاغة القرآن ، غير أنه فى القرن السابع الهجرى كتب الامام القرطبى فى تفسيره ( الجامع لاحكام القرآن ) وعدد اوجها عشرة يرجع اليها اعجازه وفيها تشريعاته وفى هذا يقول : ما تضمنه القرآن من العلم الذى هو قوام جميع الانام فى الحلال والحرام وسائر الأحكام ) فأشار بهذا الى اعجاز القرآن التشريعى وقد شرح الامام محمد عبده الأوجه العشرة التى عدها القرطبى وعرض لاعجاز القرآن بتشريعاته — وتشريعات القرآن منها ما هو تنظيم اجتماعى ، ومنها ما هو تنظيم خاص بالسياسة والحكم ، ومنها ما هو خاص بحقوق الانسان ومسئوليته فى الحياة ومنها ما هو خاص بالعلاقات الدولية والمعاهدات ومنها ما هو خاص بالنظام المالى ، والانظمة المدنية ، ومنها ما هو خاص بأمن الجماعة وسلامتها ومنها ما هو خاص بنظام الحرب والسلم وعلاقة غير المسلين بالدولة الاسلامية ومنها ما هو خاص بعلاج الجريمة ومنها ما هو خاص بالقضاء على الرق .

ووجه التحدى فى هذه التشريعات ليس لانها جاءت على يد رجل أمى فى وقت كانت الانسانية لا تحيط بها وانما وجه التحدى أنه مرت عليها أربعة عشر قرنا كاملة ومع ذلك فان الانسانية لم تستطيع أن تأتى بخير منها فى أى جانب من جوانبها ، ومعنى هذا أن تشريعات القرآن خالدة فأى قانون من صنع البشر يدخل عليه الحذف والتعديل لأنه لا يسعف بالحاجة ولا يحقق مطالب المجتمع ، ويظهر النقص فيه عند تطبيقه بينما ( الكليات ) التى جاء بها القرآن قواما لأسس التشريع لا تزال رواسخ شامخة باقية على الزمن لا تبلى جدتها .

وقد جاءت هذه التشريعات تضع عن الناس ماتنوء به كواهلهم من اغلال وقيود وقد جاء تشريع القرآن معجز للبشر بمادته وأسلوبه .

● ● ●

ويقرر العلماء أن اعجاز القرآن معناه : اثبات عجز العرب وغيرهم عن الاتيان بمثله فيظهر بذلك صدق النبى عليه الصلاة والسلام ، فى دعواه الرسالة وأن القرآن ليس من كلامه ولا هو فى مقدور أحد وانما هو كلام الله عز وجل .

ويقول دكتور محمد حسن الذهبى : ان القرآن معجزة النبى الكبرى وهو يتميز عن سائر معجزات الانبياء بأمور :

١ — انه يحتوى على أصول الدعوة المحمدية وما يكتنفها من هداية وارشاد وذلك أبلغ فى الدلالة على النبوة لأن ما احتواه من ذلك لا يمكن أن يكتسب بالتعلم وانما هو بوحى من الله ، ومن هنا كان القرآن كافيا ومغنيا عن كل ما يطلبه المتعنتون من معجزات تحديا له عليه الصلاة والسلام .

**( أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ) .**

٢ — ان القرآن معجزة العقل لانه يخاطب العقل دائما ولا يحمد عند الحس كمعجزات الانبياء السابقين وفق قوله صلى الله عليه وسلم :

( وما من نبى من الانبياء الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا ) .

٣ — ان القرآن الكريم معجزة خالدة باقية على مدى الدهر ، انه معجزة الدين الخالد فهو شاهد ابدا بصدق محمد عليه الصلاة والسلام ، أما معجزات الانبياء فكانت تنتهى بانتهاء وقتها ثم لا يبقى لها أثر بعد ذلك الا فى نفس من شهدها .

٤ — اشتماله على حوادث وقعت فى الازمان الغابرة ولم يكن للنبى علم بها ، لا عن معلم ولا كتاب ، ولا عن أى طريق آخر غير القرآن ، كقصة يونس وغيره من الانبياء .

٥ — اشتماله على أمور غيبية وحوادث مستقبلية اخبر بها وتحقق وقوعها فيما بعد ومنها : **( الم : غلبت الروم فى ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ) .**

٦ — اشتماله على التشريعات الروحية والادبية والاجتماعية والسياسة والمالية التى كان ولا يزال لها أكبر الاثر فى اصلاح المجتمع الانسانى واستقراره لبلوغها مرتبة الكمال التشريعى ، ولخلوها من كل الثغرات التى تشتمل عليها القوانين الوضعية .

٧ — اشتماله على كثير من العلوم والمعارف التى كشف عنها العلم فيما بعد ولا يزال يكشف عنها الى اليوم وسوف يظل يكشف عنها الى مدى الدهر والى الابد ومنها قوله تعالى :

**( ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما )**

كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالنبــات وهذه بالمطر ، وجاء العلم الحديث فتوصل الى أن الأرض كانت جزءا من الشمس .

٨ — سلامة القرآن من الاختلاف والتنــاقض ومن الســآمة والملل

ولا شك أن استشعار حقيقة الاعجاز فى القرآن انما تتوقف على ملكة راسخة وذوق سليم فى اللغة العربية كما يقول الاستاذ محمد سعيد رمضان البوطى ، وأن القرآن معجزة واقعة فليس لأحد من سبيل الى صياغة مثله أو مثل بضع آيات يسيرة منه .

ومعنى الاعجاز فى الكلمة القرآنية ليس شيئا أكثر من تحررها وانطلاقها من قيد الظاهرتين اللتين يتجسد فيهما عجز الانسان .

**فهى أولا :** تتناول من المعنى سطحه وأعماقه وســائر صوره وخصائصه ولا تقف عند العموميات التى نقف عند حدودها نحن البشر .

ثانيا : تمتاز عن ســائر مترادفاتها اللغوية ، بتطابق أتم من المعنى المراد مهما استبدلت بها غيرها لم يسد مسدها ولم يغن عناءها ولم يؤد الصورة التى كان يؤديها .

ويتناول القرآن من الكلمات المترادفة ادقها دلالة واتمها تصورا بالنسبة الى نظائرها فاذا استنفذت اللغة طاقتهــا ولا تزال بقية من المعنى أو الصورة شــاردة وراء حدود اللغة اتسعت لها الكلمة القرآنية وشملتها عن طريق الجوس والوزن والايقــاع مثل **( اغطش ليلها واخرج ضحاها )** .

١ — ( أغطش ) مساو ( لأظلم ) ولكن اغطش يمتاز بدلالة أخرى وراء حدود اللغة يستقل بها الوزن وجرس هذه الاحرف .

٢ — ( وجعل الليل سكنا ) مساو لكلمة ( هدوءا ) ولكن المعنى الذى تبثه فى شعورك الكلمة القرآنية لا تجد شيئا منها فى الكلمة الأخرى طبيعة الاحرف التى تتكون منها كلمة ( سكنا ) وتوالى الفتحات فى حروفها تشعرك بذلك الهدوء الذى يبعث الطمأنينة وينشر الراحة فى النفس .

٣ — ( فالق ) = ابحث عن اى كلمة تحل محلها أو ( الاصبــاح ) فى دلالتها على الحركة والانبثاق .

وهكذا تتنوع الصور المختلفة التى تبثها الكلمات القرآنية فى خيـــال السـامع .

**ثانيا :** صعود القرآن باللغة الى المعنى ولا ينزل بالمعنى اليهـا فى حال من الأحوال مثل : **( واعدت لهن متكا )** كلمة تصور لك من الطعام ذلك النوع الذى انما يقدم تفكها وتبسطا وتجميلا للمجلس وهكذا ينزل القرآن خطابا للناس على تفاوت ثقافتهم واختـلاف عصورهم فان الكلمة القرآنية تنطوى على دلالات متعددة ، تستجيب للظروف كلها وأحوال الناس كلهم ، طالما كانت الكلمة تتعلق بمعنى يختلف عن عصر الى عصر آخر ومن جماعة الى جماعة أخرى وموضع العجب أن دلالاتها لا تتناقض رغم اختلافها ولا يند شىء منها عن قواعد اللغة ومقتضياتها .

مثل : **( والأرض بعد ذلك دحاها )**

تجمل فى اللغة معنى الاستدارة والعظم والاتســاع والانبساط وهو أدق ما توصف به الأرض بالنظر الى عين الرائى وفكر العالم ولو انك رحت تقلب اللغة كلها لتقع على كلمة تقوم مقام ( دحاها ) فى أداء الغرض لما وجدت .

● ● ●

٥ — الاجماع على أن القرآن معجزة بذاته وأن اعجازه منبعث من نفسه ، من أسلوبه ونظمه وروعة بنائه = وقد ذهب بعض علمــاء المعتزلة ومنهم أبو اسحق النظــام الى أن اعجاز القرآن انما كان بالصرفة ، بمعنى أن الله تبــارك وتعالى حرف البشر عن معارضة القرآن الكريم مع قدرتهم عليها وخلق فيهم العجز عن محاكاته ، والقول بالصرفة لا يختلف عن قول العــرب فيه ( ان هو الاسحر يؤثر ) وهذا زعم رده الله تبــارك وتعالى على أهله ، ولو كان هذا القول صحيحا لكان الاعجاز فى الصرفة لا فى القرآن نفســه وهذا باطل بالاجمــاع ، لان الله تبــارك وتعالى تحداهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة واحدة من مثل هذا القرآن ولم يكن التحدى لهم بقدره الله عز وجل حتى يرد مثل هذا الاعتراض .

ولو صح القول بالصرفة لكان هذا تعجيزا لا اعجازا لانه حينئذ يشبه ما لو قطعنا لسان انسان وأمرناه بالكلام ولو كان هنا صــارف زهدهم فى المعارضة عن كسل أو ملل لما وقفوا فى وجه النبى صلى الله عليه وسـلم .

ولما آذوه وأصحابه ولما عذبوا المسلمين وشردوهم . ولما حاصروه فى الشعب ولما ساوموه على ان يترك الدعوة ثم اضطروه الى الهجرة هو واصحابه .

● ● ●

ويتحدث الباحثون عن أبلغ جوانب اعجاز القرآن هو ( موضوعيته فى مبادئه ) وتجردها من العوامل الشخصية تجردا مطلقا ما يؤكد أن القرآن فوق مستوى البشر وبالتالى فوق مستوى الطاقة الانسانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تابع القرآن الكريم رسالة الله تبارك وتعالى الى البشرية فى معـــاونة الانسان للابتعاد من مستوى الجاهلية الى الحضـــارة الانسانية .

( يا بنى آدم : أما يأتينكم رسل منكم ( فى أى عهد ) يقصون عليكم آآياتى الى الترابط بين الأفراد على أساس القيم العليا فى حياة الانسان وليس على أساس العرق أو القبيلة .

**( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا )**

وحبل الله هو هدايته التى تتمثل فى القيم الايمانية المستمدة من صفات الله تبـــارك وتعالى .

**( وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها )**

جاء الاســـلام بالصفاء النفسى للعاقلات بين الافراد والامم **( والف بين قلوبهم )** ( أى قلوب المؤمنين ) لو انفقت ما فى الأرض ما ألفت بين قلوبهـــم ولكن الله الف بينهم ( بربـاط العقيدة ) أى الايمان بدلا من الرباط المادى وهو الدم والقرابة .

وهو دعوة الى ارتفاع الحياة البشرية عن لحمة الاسرة والقبيلة والشعب

● ● ●

ومن اعجاز القرآن : الاستمرار فى الترابط فى دائرة القيم العليـــا ( وليس العصبية الاسرية والقبلية والشعوبية ) .

( لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ( أى أصدقاء ) ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم ( أى يصادقهم ) فاولئك هم الظالمون .

**٣ — قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم احب اليكم من الله ورسوله ( الآية ) .**

أى أن تجعلوا علاقة الدم والقرابة الاثرية والنصوص على القيم العليا فى الحياة التى يمثلها الجهاد فى سبيل الله .

بالمال والنفس **( فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ) .**

أى انتظروا حتى يأتى الأجل المحدد لسقوط مجتمعكم وقيـــام مجتمع انسانى حضارى آخر بدلا منه .

ويمتد هذا المعنى :

**— ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم .**

**— انما اموالكم واولادكم فتنة** ( اى مصدر تجربة واختبار )

**— ومن يوق شح نفســـه واولئك هم المفلحون .**

ومنها الدعوة الى توفير الاعتبار الانسانى والكرامة البشرية لكل فرد بغض النظر عن اللون والنسب والعرق والمال .

**— لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم .**

— **ولا تلمزوا انفسكم** ( أى يعيب بعضهم بعضا ) .

**ولا تنابزوا بالالقـــاب** ( أى لا تداعوا بالالقـــاب المسيئة ) .

**— اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم .**

**— ولا تجسســوا .**

**— ولا يغتب بعضكم بعضا .**

كل هذا لتوفير الاعتبار البشرى لكل فرد فى المجتمع .

**— لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها .**

هذه الدعوة الى أن يجتمع النـــاس حول رباط آخر فوق رباط الدم والقربى والعنصر والجنس هو رباط الايمان بالله تبـــارك وتعالى والى أن يكون التفاضل بينهم على أساس مستوى الانســـانية وحده وليس على أى أساس مادى آخر .

● ● ●

وهكذا نرى أن القرآن الكريم جاوز قدر البشر فلم يتطلع احد لمجاراته أو مباراته أو معارضته وبقى كما قال : **فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون** ) .

أما معارضة القرآن التى جاءت من بعد على أيدى أمثال مسيلمة والاسود العنسى وطلحة بن خويلد وسجاح فقد انهزم المدعون الى التحدى والقوا السلم بين يدى القرآن بعد أن جاءوا بكلام مضحك مخجل ، وما يظن أن مسيلمة استطاع أن يعارض القرآن ولكن الذين أعزوه بذلك هم الذين أرادوا له أن يزداد سخرية وخزيا على مدى الدهر .

• • •

( ٩ )

# قصص القرآن

أجمع الباحثون على تميز القصص القرآنى بأسلوب عرضه الرائع والحكمة البالغة وراء روايته فهو لم يرد فى القرآن لذاته وموضوعه التاريخى وانما ورد للعظة والتذكير والافحام والالزام والتنديد والوعيد والتسرية عن النبى والتثبيت — حسبما يقرر محمد عزه دروزه حيث يقول أن اسلوب القصص القرآنى لم يكن سردا تاريخيا بل جاء عظة وارشادا وتبشيرا ونذيرا .

**( لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالبــاب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ) .**

والقصص القــرآنى من المتشابهات التى تحتمــل كثير من صيغتهــا وعباراتها وجوها عدة للتأويل أو التى فى بعض صيغها وعباراتها ما يعجز العقل الانسانى عن ادراك سره وتأويله ويكون من واجب المؤمن أن يقــول : **( آمنا به كل من عند ربنا ) .**

لقــد أورد القرآن الكريم قصص وأخبــار الامم الســابقة واحداثها وأبنيائها بما فى ذلك معجزات الانبياء عليهم الســلام وأخبار الأمم الجــاحدة التى وقعت فى عذاب الله ونكاله .

وهو قصص وردت منه أطراف فى أسفار وكتب أهل الكتاب المتداولة ، ومنها ما لم يرد فى هذه الكتب .

ومما لم يرد قصص ابراهيم عليه السلام المتعددة مع قومه وتسخير الجن والريح لسليمان عليه الســلام ومائدة السيد المسيح ومنها قصص ثمود وعاد وسبأ وتبع وشعيب ولقمان ومنها قصص قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات .

**( فكأين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خــاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ) . الحج .**

**( ولقد آتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونهــا بل كانوا لا يرجون نشورا ) . الفرقان .**

**( وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم ) . العنكبوت .**

● ● ●

ويقول الشيخ دروزه : لقد حرص القرآن على أن تكون القصة بعيدة عن تفاصيل الوقائع أو السرد التاريخى مع الحفاظ على هدف القرآن الأساسى فى نطاق قدسيته ومقصده فى التذكير بالمعروف والارشاد والعظة والعبرة ، ذلك أن محاولة استكشاف الاحداث التاريخية من شأنه أن يعرض القرآن للجدل والنقاش بسببها وكانت بيئة النبى تتداول كثيرا من الروايات المتصلة بهذه القصص ، جاء المفسرون فرووا وتوسعوا وتزيدوا وتكلفوا وجمعوا الغث والسمين والخيال والمبالغة ودونوها دون غربلة فكان حصيلة ذلك تلك الفصول الطوال التى يسميها البعض بالاسرائيليات والتى شغلت اذهان الناس وشوشت على اهداف القرآن ومحكماته ولا تزال .

وليس من شأن ما بين القصص القرآنى وبين الاسفار والكتب القديمة من نطاق أن يطعن بصحة وجهها الالهى ، بل أن بعض القصص متباينة أو زائدة أو ناقصة عما ورد فى الاسفار القديمة ومن ذلك تسخير الجن والريح والطير لسليمان والجبال والطير والحديد لداود وقصص ابراهيم لقومه ومع الملك وجزئيات كثيرة من قصص آدم ونوح ويوسف وموسى وفرعون وبنى اسرائيل ويونس وأيوب .

وفى القرآن آيات تذكر أن أهل الكتاب كانوا تخفون كثيرا مما فى أيديهم منها .

**١ — ( قد جائكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ) . المائدة .**

**٢ — (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ) . الانعام .**

**٣ — ( ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون ) .**

**٤ — ( وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ) .**

وقد تميز قصص القرآن بمنهج رائع فى عرض القصص لخصه الشيخ محمد سعيد البوطى فى عدة أصول :

**أولا :** لا يسوق القرآن من القصة الا ما يتعلق به الغرض الذى سيق من أجله كما تظل الصلة متينة بين القصة والمناسبة الداعية لها ، بحيث تبعث

فيها الأهمية وتمدها بالحيـاة ولا تكاد تجد القرآن يسرد حوادث القصـة سردا تاريخيا تبعا لسلسلة الوقائع والاحداث ففى قصة أهل الكهف : فتية انفردوا عن قومهم الكافرين بالايمان بالله وحده .

من القوم ، فى اى بلدة يعيشون ، كم عددهم ، ما هى أسمائهم . فلو سارت على ذلك ما وفت بالغرض الدينى الذى استهدفته ولبعـدت عن العبرة والعظة التى سبقت القصة من اجلها ولو ذهب القرآن الى تحقيق فضول الفكر وحب الاستطلاع لند فكره عما وضعه القـرآن فى سبيله من الانضباط فى خط الهداية والدعوة اليها .

**ثانيا :** اقحام النصائح والعظـات فى ثنايا القصة ( اقحام التوجيه ) حتى لا يندمج القـارىء مع القصة وينسى المسـاق الأصلى فاتخذ منهـا اسلوبا لا يقصى السـامع خلال مختلف مراحلها عن المحور التربوى الذى ينطلق منه ( ويظهر ذلك قصة موسى وفى قصة أهل الكهف ) هذا المنهج ليس خاصا بالقصة وحدها بل هو مضطرد فى سـائر المواضيع التى يعالجها القرآن ولا يدع القـارىء يستغرق مع أى موضوع من المواضيع سـواء كان أحكاما أو عقيدة أم اخبارا عن المغيبات بل تصبغ هذه الأبحاث كلهـا بصبغة التوجيه والارشـاد وتجعل المحور الاسـاسى الذى ينزل القـرآن من أجله بارزا مسيطرا خلال سـائر الموضوعات .

وقد يتسائل السـائل لماذا جاءت ابحاث القرآن متداخلة ولم تأت منظمة فى فصول وابواب ، ولو حدث فأين كان يبقا اثره التربوى ، فالقرآن فى قصصه وأحكامه وعقائده وبقية ابحاثه انما انزل لأمر كلى واحد ، هو أن يكون الناس عبيدا لله تبارك وتعالى بالطوع والاختبار كما قد خلقهم عبيـدا له بالقسر والاجبـار .

**ثالثا :** القرآن لا ظلّ للخيـال فيه والقصص فيه يحكى الواقع وليس قصصا ملفقة ولا يذكر التفاصيلّ التى تصرفّ اهتمام القارىء أو السـامع عن مقاصده العليا ومراميه البعيدة ولا يستهدفّ بما يقصه علينا التسلية وتزجية الفراغ أو الاستمتاع بما يثير الخيـالّ من سفور واحساسات مختلفة متنوعة .

**( أن هذا القرآن يهـدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا ) .**

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة : أن فى القرآن قصص لاشك فيه ولكنه قصص من نوع خاص وهو القصص الالهى الصادق الذى لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه .

فقصة ابراهيم عليه السلام : قصة حقيقية وهى اخبار بما لم يشهده الناس ، وانما جاءت للموعظة واظهار القدرة الالهية .

فالنار التى يرمى فيها ابراهيم تكون برداً وسلاما عليه والشىء نفسـه فى قصة يوسف وقصة موسى واهل الكهف وغير ذلك كثير مما جاء فى الكتاب العزيز ، ولكن هذه القصة لا ينبغى ان تقـارن بها القصص الذى يكتبه البشر لأن ذلك كلام الله تبارك وتعالى وهو حقيقى وهذا تصوير من خلال وجـدان البشر وهو خيال ، وايضا لا ينبغى اجلالا لكلام الله ان نخضعه للمعـايير والمقاييس التى يخضع لها كلام البشر واذا صح ان فعل ذلك غير المسلمين الذين لا يؤمنون به ككتاب الهى فلا ينبغى لنا نحن المسلمون أن نفعل ذلك تقديسا له وتنزيها من أن نسوى بينه وبين كلام المخلوقين .

● ● ●

( ١ )

قال ابن قتيبة : كان رسول الله صلوات الله عليه يبعث الى القبـائل المتطرفة بالسور المختلفة فلو لم يكن الابناء والقصص مثناة ومكررة لو قعت قصة موسى الا قوم وقصة عيسى الى قوم فأراد الله تبارك وتعالى بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص فى اطراف الأرض ويلقيها فى كل سمع ويثبتها فى كل قلب .

وهذا هو سر تكرار القصص .

وقال العلماء ان لكل حالة هدف . ان كل قصة تعنى بجانب معين فهى تقصر هنا لداع وتطول لداع آخر وهى تلح على جانب من الجوانب لانه يناسب الغرض الذى سيقت السورة من أجله ويطوى جانبا من الجوانب لانه بمعزل عن الغرض ، فالتكرار فى حقيقة الامر غير واقع لان لكل قصة منزعا وجوا عاما يجرى مع السورة .

ولاشك أن هذه الوقائع التى جـاء بها القرآن ولم تأت بهـا الكتب

السابقة هى أخبار جديدة لم يكن يعلمها الرسول ولا قومه فهى برهان على نبوة الرسول وتثبيت للرسول .

• • •

ويقول الاستاذ عبد الجواد محمد عبد الحميد فى رسالته عن القصة فى القرآن بين حقائق الاعجاز واباطيل الخصوم :

أن مفهوم القصة فى القرآن الكريم يخالف مفهوم القصة فى النقد الادبى الحديث حيث يجب الالتزام بالالفاظ والنعوت التى خلعها القرآن الكريم على قصصه والى حتمية اليقين التام بان القصص الفنى شىء والقصص القرآنى شىء آخر يختلف عنه مفهوما وأسلوبا وغاية ومنهاجا .

وأن القصص القرآنى قصص دينى وأدبى وتاريخى معا وأن القصص القرآنى يعتبر وثيقة تاريخية هى أوثق ما تكون بين يدى التاريخ من وثائق .

ولا ريب أن مقاصد القصص القــرآنى وغاياته تنتهى فى صميمها الى الدعوة الى الحق والهداية الى مواقع الخير واقامة وجه الانسان فى مسالك الحق وليس فيه ما يراد به استثارة العواطف المريضة أو استرضاء الميول المنحرفة فى الانسان أو تمكن غرائزه الحيــوانية على النحو الذى نراه فى القصص الذى يقدمه أدباء العصر .

( ٢ )

## التكرار فى قصص القرآن

التكرار فى قصص القرآن ظاهرة واضحة لافتة للنظر وقد اتخذه بعض ذوى الاغراض مغمزا ويقرر الباقلانى ان التكرار من صور التحدى الذى عجز عنه العرب ازاء القرآن فقد عرض القرآن القصة الواحدة عرضا متفاوتا فى الطول والقصر والاطناب والايجاز والبسط والقبض فوسع بهذا على العرب مجال المعارضة والمحاكاة ويسر عليهم سبيل التحــدى واغراهم به فلم يكن منهم الا العجز والتراجع .

( ٣ )

### عبرة القصص القــرآنى

بين القرآن الكريم الهدف من حشـــد القصص والعروض التاريخية ( وهو الهدف نفســـه الذى يمكن أن يتمخض عنه أية مطالعة جادة للتاريخ ) وهى اثارة الفكر البشرى ودفعه الى التساؤل الدائم والبحث الدائم عن الحق وتقديم خلاصات التجارب البشرية وازاحة ستار الغفلة والنسيان فى نفس الانسان وصقل ذاكرته وقدرته على المقــاومة لكى يظل فى مقــدمة قواه الفعالة التى هى بأمس الحاجة الى تعمير طاقاتها دوما .

ويواصل القرآن ليقدم الدليل على عالم الله الواسع الذى احاط بحركة التاريخ ماضيا وحاضرا ومستقبلا ثم تأكيد البرهان على الحق الواحــد الذى جـــاء به الانبياء السابقون جميعا وسعوا الى أن يقودوا أممهم الى مصدره الواحد الذى لا اله الا هو .

( ٤ )

### القصص فى القرآن الكريم ثلاثة أنواع

**أولا :** قصص الأنبيــاء وقد تضمن دعوتهم الى قومهم والمعجزات التى أيدهم الله بها وموقف المعاندين منهم ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين لقصص نوح وابراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والســـلام .

**ثانيا :** قصص قرآنى يتعلق بحوادث وأشخاص فيها عبرة ولها صـــلة بدعوة الايمان وموقف الأمم منها كقصص أهل الكهف وذى القرنين وقارون وأصحاب الاخدود وأصحاب الفيل وقد أورد الرآن الكريم تفاصيل وافيـــة عن بنى اسرائيل ومشاكلهم .

**( ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون )**

**ثالثا :** قصص يتعلق بالحوادث التى وقعت ابان البعثة المحمدية

بدر واحد فى سورة آل عمران .

حنين وتبوك فى سورة التوبة .

غزوة الاحزاب فى سورة الاحزاب .

والهجرة والاسراء .

وفى سورة الأنبياء مظهر واضح لوحدة الرسالات فقد تحدثت السورة عن قصص الانبياء فذكرت طرفا من قصة موسى وهارون وابراهيم ولوط وداود وسليمان وأيوب واسماعيل وادريس وذى الكفل وذى النون وزكريا ومريم ثم عقبت على ذكرهم جميعا بالآية الكريمة :

**( ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون )**

وهذا هو الغرض الأصيل من الاستعراض الطويل .

بيان أن وسائل الانقياد فى الدعوة الى الله تبارك وتعالى موحدة وان استقبال قومهم لهم متشـــابه فضـــلا عن أن الدين من عند الله : اله واحد وانه قائم على أساس واحد ودعوة الرسل واحدة وموقف الاقوام واحد .

**( ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك )** .

أن الله تبارك وتعالى ينصر أنبيائه فى النهاية ويهلك الكافرين وفى ذلك تثبيت لقلب الرسول صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة الاسلامية وتأكيـــد للمؤمنين بأن نصر الله قريب وخذله للباطل محتم .

● ● ●

# الباب الثالث

## منهج القرآن فى بناء المجتمع والحضارة

١ ـــ القــرآن وبنــاء المجتمع .

٢ ـــ تشريعــات القــرآن .

٣ ـــ التربية فى القــرآن .

٤ ـــ القــرآن الكريم والتــاريخ .

٥ ـــ سنن الله تبارك وتعالى فى الكون والمجتمع والحضارة .

٦ ـــ القرآن واصول التفكير الاجتمــاعى .

٧ ـــ قوانين القرآن : تدمير القرى الظالمة .

٨ ـــ منابع العلوم الاجتماعية من القرآن الكريم .

٩ ـــ الشخصية الانسانية فى القرآن .

١٠ ـــ القــرآن والعمــران .

**القرآن الكريم هو الذى صنع المجتمع الذى يتساوى فيه الجميع أمام الله تبارك وتعالى والذى نهض فيه المؤمنون جميعـا لبناء حضارتهم الانسانية والدفاع عنها .**

( ٢ )

# القرآن وبناء المجتمع

رسم القرآن الكريم منهج المجتمع المسلم من خلال بناء الفرد المسلم والأسرة المسلمة وذلك من خلال المسئولية الفردية للانسان الذى خلقه الله تبارك وتعالى ليكون مستخلفا فى الأرض :

**( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ) .**

فالقرآن الكريم هو الذى صنع المجتمع الذى يتساوى فيه الجميع امام الله تبارك وتعالى والذى نهض فيه المؤمنون جميعا لبناء حضارتهم الانسانية والدفاع عن وجودهم وحماية أمانة الرسالة والدعوة .

وقد أثبت القرآن الكريم ان للاجتماع نواميس ثابتة ، وقرر ان الجماعات كالاحاد لها آجال لا تستطيع أن تتعداها .

كما رسم القرآن الكريم قانون التقدم والارتقاء قبل العلم بأكثر من ألف عام فأثبت للناس ناموس الترقى .

كما وضع قانون قيام الأمم والحضارات وسقوطها وكشف عن ان التحلل والترف والانصراف عن منهج الله والتفريط فى حدوده هى التى تسقط الأمم والحضارات .

**( وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين . وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولاً يتلوا عليهم اياتنا وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون ) .**

وقد دعانا القرآن الكريم الى التعرف الى عبرة الاحداث وقدم لنا الكتاب العزيز احداث الأمم وما الم بها نتيجة تفريط اهلها فى حق الله .

ولقد قرر القرآن الكريم فى أكثر من موضع المسئولية الفردية :

**( افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ) .**

**( أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنــوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) .**

كما اثبت القرآن الكريم أن للاجتماع نواميس ثابتة وقرر ان الجماعات كالآحاد لها آجال لا تستطيع أن تتعداها .

تقول الدكتورة زينب رضوان : ان اصول الفكر الاجتماعى فى القــرآن اربعــة :

( المساواة — الحرية — العدل — التكامل الاجتماعى ) .

وقد انبثقت من هذه المبــادىء الاربعــة كل التشريعات الاسلامية فى جميع جوانب الحيــاة .

فقد قوض القرآن حواجز الاغترار بشرف النسب وثراء المال وسلطة الحياة التى خلقت الطبقات فالجنس البشرى كله من تراب فلا فضل لأحــد على احد الا بمقدار ما يؤديه من عمل صالح .

٢ — والحرية فى الاســلام معناها التحرر من كل صــور العبودية والخضوع الا لله تبــارك وتعالى فهو وحده الذى يملك كل شىء وهو الذى له الخضوع والخشوع والمسلم مطالب بأن يتحرر من المشــاعر والمخــاوف التى تجعله يتنازل عن كرامته او بعض حقــوقه ، وعليه ان يستعلى على الضرورات المذلة وان يملك قياد أمرها ويتحرر من الضعف أمام الشهــوات والغرائز وقد كفل القرآن الكريم للناس جميعا أركان الحرية الاســاسية : حرية العقيدة الحرية السياسية ، حرية الراى والتفكير واذا كان هنــاك من المبــادىء الحــديثة ما يشــارك الاســلام فى التأكيد على الحرية الفردية وحمايتها كالنظــام الديمقراطى فانه يختلف معه ذلك فى دائرة هذه الحرية ، فالحرية الفردية التىيرعاها الاسلام مشروطة بالمصلحة العامة التى شعارها: لا ضرر ولا ضرار ، أما النظــام الديمقراطى فقد غالى فى التأكيد على الحرية الفردية دون ترشيد أو مراعاة لمصلحة الجمــاعة وبذلك انتهى الى تحكيم الانانية والاثرة بدلا من تأكيد الوجود الحقيقى للحرية الفردية وانمائها .

٣ — أما العدل الذى يقرره الاسلام فهو العدل الذى لا يميل ميزانه مع الحب أو البغض ، لا تتغير قواعده بالمودة او الشنآن ، ولا يتأثر بالقرابة بين الأفراد فهو بذلك يصل الى قمة لم يبلغها اى قانون دولى الى الآن وقد صور القرآن العدل تصويرا دقيقا :

**﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا ﴾ .**

٤ — التكافل فى البناء وفى المحافظة عليه وحماية الجماعة من الهجوم الخارجى فالمسلمون مطالبون بالتكافل والتضامن فى الدفاع عن وجودهم وأبرز صور التكافل فريضة الزكاة التى نرى فيها حلا ناجحا كريما لمشكلة الحاجة والضعف فى مواجهة الحياة .

وقد جعل الاسلام من الضمير الانسانى ضامنا ورقيبا على تنفيذ تشريعاته بعد أن عمل على تنميته وانمائه خلال نظام خلقى يكفل تحقيق أهدافه على النحو الصحيح وذلك بربط الضمير البشرى بالرقيب الأعلى وجعل من خشيته وتقواه سياجا يعينه ويمنعه من الزلل والانحراف .

وقد جاء الاسلام لتحقيق التوازن والانسجام بين عناصر الوجود بأسره بين الانسان وقواه المختلفة ، بين الفرد والجماعة ، بين الجماعة الواحدة والجماعات الانسانية كافة ، بين تحقيق أهداف الدنيا وأهداف الآخرة .

● ● ●

وقد أشار القرآن الكريم الى مجموعة من سنن الله تبارك وتعالى فى الكون والمجتمع .

**أولا :** قوانين الطبيعة : تلك القوانين التى فطر الله تبارك وتعالى الخليقة عليها سواء فى ذلك قوانين العلوم الطبيعية ( كالفزياء والكيمياء والرياضيات والأحياء والطب ) .

وقد جعل الله تبارك وتعالى على الانسان ان يكتشف هذه القوانين

ويستخدمها لتحقيق الامانة الموكولة اليه وهى عمـــارة هذا الكون بعد أن استخلفه الله تبـــارك وتعالى فيه وبقدر ما يكتشف الانسان من هذه القوانين ويسخرها بقدر ما يصبح قويا بقوة الطاقات الجبارة التى يحويها هذا الكون العظيم يستوى فى هذه النتيجة أن يكون مؤمنا أو كافرا .

فالانسان اذا أهمل اكتشاف هذه القوانين واستخدامها يصبح ضعيفا ولو كان مؤمنا والانسان الذى يكتشف قوانين هذا الكون ويسخرها يصبح بالتالى قويا ولو كان كافرا لان هذه القاعدة سنة من سنن الله تبارك وتعالى فى الكون وهى سابقة على وجود الانسان نفســـه .

قال تبارك وتعالى : **يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا ما تنفذون الا بسلطان .**

**ثانيا :** قوانين رسمها الله تبارك وتعالى ليهتدى بها الناس فى حياتهم ، وترك لهم ان يطيعوه باتباعها أو يعصوه بأهمالها وهذا التكليف منـــاطه الارادة وحرية الاختيار ، اللذين وهبهما الله تبارك وتعالى للانسان مع العقل أسلحة يواجه بها معركة الحياة .

هذه القوانين التى هى تكاليف تشمل الى جـــانب القـــانون بمعنـــاه الحديث : قواعد السلوك والاخـــلاق الفردية والاجتماعية بمعناها الواسع وليست هذه القوانين للابتلاء الانســـانى فحسب ، ولكنها قبل ذلك وبعـــد ذلك بمثابة الاطـــار الذى يضبط مصلحة الفرد والمجتمع فى أنشطته المتعددة التى من بينها تسخير السنن الكونية وعمارة الكون .

وعلى قدر التزام الانسان افرادا وجماعات بهذا الاطار من القـــواعد السلوكية يكون ناجحا فى حياته سواء كان منبع التزامه دينيا أو لما يحققه من مصـــالح .

وعلى قدر اهمال الانسان لها يكون فشله واضطرابه سواء فى ذلك من آمن بقلبه دون أن يتبع الايمان عمل صالح أو من كان فى ضلال مبين .

ولا مجـــال للغرابة اذ فيما انتهى اليه حال المسلمين مع غيرهم حين أهملوا سنن الكون أو شريعة الله تبارك وتعالى كليهما ، فلم يأخذوا بأسباب القوة المادية والمعنوية وتركوا الجهـــاد وتفرقوا كأنهم أمم متعددة يحـــارب

بعضهم بعضا وراحوا بعد ذلك يأملون فى النصر على اعدائهم الذين احسنوا تسخير سنن الكون وأخذوا القدر من الاطار السلوكى فى حياتهم فكانت سنة الله التى لا تتخلف .

**( ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ) .**

**ثالثا** : وهناك سنن الله تبارك وتعالى فى الأمم والحضـــارات فالمجتمع الذى يستشرى فيه الفســـاد لابد أن يصـــاب بأزمات مادية وأخرى نفسية .

**( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ) .**

وتبرز مؤشرات الهـــلاك نتيجة حتمية لتغلغل المفـــاهيم والعـــلاقات المادية فى المجتمع = الكفر بالرسالات السماوية التى تستهدف تغيير المجتمعات واعادة بنائها على أسس ايمانية الى كفر بالنعم التى انعم الله تبارك وتعالى بها على الناس ثم الى ( ظلم ) يتفشى وفسوق يعم وتبذير واسراف وفرح وغرور .

**( وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون ) .**

**( انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ) .**

**( فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ) .**

وهكذا يكشف القرآن الكريم عن ان ما يصيب المجتمع المادى من انهيار اقتصادى وخلقى انما هو نتيجة لسيادة المفاهيم المادية ، وهذا الانهيـــار يمكن تداركه بتغيير تلك المفـــاهيم واماتتها واحياء مفاهيم الايمان التى يحقق شيوعها بين الناس السعادة والاطمئنان النفسى والرخاء والكفاية المادية .

فالهلاك سنة جـــارية فى كل المجتمعات التى تسيطر عليهـــا المفـــاهيم والعـــلاقات المادية على مر التـــاريخ :

**( وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد )**

وقد نبهنا الله تبارك وتعالى فى القرآن الى الاعتبـــار بما أصاب الأمم الســـابقة :

**( أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسـلهم بالبينـات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) .**

**( فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ) .**

**( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ) .**

**( لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال )** ( آية ١٥ — الى ٢١ سورة سبأ ) .

وقد صور القرآن الكريم فى آياته المحكمة حضارة سبأ وكيف أعرض قومها عن الله تبارك وتعالى فانهار العمران الذى نعمت به سبأ زمنا طويلا حين انهار سد مأرب واكتسحها سيل العزم وذلك بعد أن ظهر طغيان دولة سبأ فى ميدان التجارة دون أن ترعى حق الله تبارك وتعالى فيما أعطاها من ثروة بتوفير العدل والامن .

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط واسل وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجـازى الا الكفور ) .

وقد أولى القرآن الكريم بنـاء ( الانسان ) أهمية كبرى ، فقد تناوله من جميع جوانبه قبل أن تهتم به الدراسات الحديثة بأربعة عشر قرنا ، وقد كان اهتمامها به جزئيا مشوها منعها من الاهتداء الى الطريق الصحيح .

كان تناول القرآن الكريم للشخصية الانسـانية السوية حيث تنـاول أبعادها ووضع لها منهجا فريدا يصلح لاتطبيق فى كل زمان ومكان بما يحتويه من أسس ومبادىء على النحو الاتى :

**أولا :** شمولية النظرة ( جسم — عقل — روح — حياته — تصوراته — قيمه — محتوياته وكل حركاته وتفاعلاته مع الانسان الآخر ) .

**ثانيا :** طاقات الانسان من حيث هو قوة فاعلة وموجهة .

**ثالثا :** الابتعاد عن الصفات التى تجعل الانسان سلبيا متخاذلا .

هذه النظرية الجامعة قد جعلت الانسان يمزج بين طاقاته كلها ويعمل على ربطها بحيث يجعل منها قوة متسقة وفعالة .

فالانسان كما يريده الله تبارك وتعالى قوة فاعلة موجهة ومريدة ، ودافعة الى الامام قادرة على مجاهدة القوى المادية لاصلاحها وتوظيفها فى التعمير والبنـاء .

ومن هنا كانت هذه المواجهة مختلفة تماما عن التناول الجزئى للانسان فى المذاهب الفلسفية المادية التى تصوره جسما بلا عقل أو روحا بلا جسم أو عقـلا بلا روح .

هذه التصورات الجزئية كم شوهدت النظرة الشمولية للانسـان لانها اعتمدت على الجانب المادى وتجاهلت كل جوانب الانسـان الأخـرى ، ( العقلية والروحية ) .

ولقد كان من اهم معطيات الاسلام للانسان — كما صور ذلك القرآن الكريم ، القدرة على الارتفاع فوق السلبيات والاهواء والتطلع الى المثل الاعلى فى حدود قدراته .

**( لا نكلف نفسـا الا وسعها ) .**

فالتكليف فى حدود الطاقة والوسع .

وقد أعطى الانسـان القدرة على أن يرتفع على الاثام والمحـارم كما أعطاه فى نفس الوقت كل أشواق الحياة ومطامحها .

● ● ●

ولقد ظل القرآن الكريم يحتفظ بعطائه فى علم الاجتماع وسنن المجتمعات والحضارات حتى جاء علماء الاسـلام يبحثون وينقبون حتى اكتملت الصورة على يد ( ابن خلدون ) الذى وضع أصول علم الاجتماع وعلم التاريخ وعلم الاقتصاد وأكد أن منابع العلوم ومصدرها هو القرآن الكريم .

يقول الدكتور حسن الساعاتى : ان القـرآن الكريم كان هو المنبع الأساسى لنظريات ابن خلدون ، ان أصول علم الاجتماع الذى شاد عمـده وانشـأ بنيانه ابن خلدون منذ اكثر من ستة قرون نابعة من القرآن الكريم بحيث يمكننا ان نسمى علم الاجتماع الخلدونى . علم الاجتماع القرآنى ، وعلم الاجتماع الاسـلامى .

وبالرغم من ان ابن خلدون يقرر انه اعتمد على القرآن الكريم فى كثير من نظرياته الاجتماعية التى بلورت ابتكاره لعلم الاجتماع الانسانى والعمران البشرى،الا انه درج على ذكر آيات قرآنية كثيرة تدفقت ينبوعا لافكار وقوانين اجتماعية ومصدرا لاستدلال وتعليل وبرهان وذلك بغرض دعم النظرية التى يجهد فى بلورتها او لتوضيح الفكرة التى يحــاول صياغتها فى اطــار اجتماعى سليم او لبيان كون الظاهرة التى يتناولهــا بالتحليل والتفسير من السنن الاجتماعية التى لاتتبدل .

٢ — ان البــاحث المتعمق يستطيع الان أن يحكم بأن ابن خلدون قد اهتدى الى وضع علم الاجتماع الجديد بتدبره الاجتماعى للقرآن الكريم من جهة واهتدائه بمنهج علم الحديث واصول الفقه من ناحية اخرى .

وبناء على ذلك يمكن أن نقرر أن علم الاجتماع الخلدونى هو نتاج التفكير العلمى الاســلامى وهو ينشد التوصل الى اليقين .

وعلى هذا الاساس يمكن القول بصدق أن علم الاجتماع القرآنى يعتمد فى استقراء نظرياته على وقائع الامة الاسلامية وأحوالها فى عصور مختلفة .

٣ — ان آيات القرآن التى استند اليهــا ابن خلدون فى بلورة علم المستحدث :

**الآيات اولا :**

**( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ) .**

وقد أوردها ابن خلدون مرة لبيان فائدة العصبية ومرة اخرى لبيــان أثر الأحكام .

**ثانيا : ( قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذن لخاسرون ) .**

بيان أثر العصبة ( أى الرابطة الاجتماعية ) والالفة الجامعة فى قوة الجماعة واشتداد شوكتهــا ليصبح اكثر ارهابا للعدو واشــد قدرة على زجــره .

**ثالثا : ( واذا اردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ) .**

استند مرة لبيـــان اثر الفســـاد فى زوال الملك ومرة اخرى لبيـــان اثر الفساد فى خراب المدن .

**رابعا : ( لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا )** استدل بهـــا على ضرورة الانفراد بالمجـــد .

**خامسا : ( حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة )**

أفاد منها تحديد الجيل لعمر شخص واحد فى الفرد المتوسط وهو تمـــام الاربعين فهو انتهاء النمو والنشوء الى غايته .

ومن كان اســـلاميا بحتا كابن خلدون فان المعـــارف الاســـلامية وعلى راسها القرآن الكريم تكون حاضرة فى ذهنه حضورا كاملا يجول فيها فكرة محللا ومؤلفا ويخرج من هذه العملية الفكرية بتنظيرات ســـليمة واحـــكام صائبة ، يضاف الى ذلك اسلوب الكتابة وتسلسل الافكار .

وخلاصة الامر أن ابن خلدون وضع فى اعتبـــاره ( القـــرآن ) مصدرا أساسيا ورئيسيا يقتبس منه ما يعنيه فى فهم الظواهر الاجتماعية وصياغة نظرياته واقامة ادلة ودعم حجج وبنـــاء براهين » أ . هـ .

● ● ●

( ٢ )

# تشريعات القرآن

تشريعات القرآن منهـا ما هو :

١ — تنظيم اجتمـاعى .
٢ — وتنظيم خاص بالسياسة والحكم .
٣ — ومنها ما هو خاص بحقوق الانسان ومسئوليته فى الحياة .
٤ — العـلاقات الدولية والمعاهدات .
٥ — النظـام المـالى .
٦ — نظـام الحرب والسـلم .
٧ — علاقة غير المسلمين بالدولة الاسلامية .
٨ — علاج الجـريمة .
٩ — القضـاء على الرق .

جاءت هذه التشريعات لتضع عن الناس ما تنوء به كواهلهم من أغلال وقيـود .

١ — أقر الاسـلام أن الناس سواسية فى الحقوق والواجبات وجعل التفاضل بينهم بالعمل الصـالح .

٢ — اقر الاسـلام مكانة الأسرة وبين ان علاقة الزوجية علاقة مقدسة بين الرجل والمراة وشرع القرآن الطـلاق اذا اختلفت الطبائع .

٣ — اخذ الفقهـاء من صيغ القرآن الاحكام الخمسة .

( الواجب — الحرام — المكروه — المندوب — المباح ) وعليها مدار التشريع .

حدد القرآن الأحـكام العملية فى مجـاليها : فى مجال علاقتنـا بالله تبـارك وتعالى وفى مجال علاقتنا بعضنا ببعض .

١ — أحكام الزواج والطـلاق .
٢ — أحكام المعـاملات المالية .
٣ — أحكام الجنايات كالقتل والسرقة .

٤ — احكام السـلم والحـرب .

٥ — احكام الشـورى والعـدل .

وقد جاء القرآن الكريم للعرب شرائع واعرافا ( من معاملات واحـكام وعبادات ) فأقر منها كثيرا وهذب بعضها والغى وبدل بما يتفق مع طبيعـة البشر وسنن الاجتمـاع .

وقد جاء بعض الاحـكام بصيغة قاطعة فى معنى معين فلم تكن محل اجتهاد المجتهدين كآيات وجوب الصـلاة والزكاة ، والميراث وحرمة الزنا والقذف وأكل أموال الناس بالباطل والقتل بغير الحق .

٢ — وجاء بعض الاحكام قابلا لاختـلاف الاحـكام ومجالا للبحث والاجتهـاد مثل تحديد القـدر الذى يحرم فى الرضاع والنفقة المطلقة طلاقا بائنا ... الخ .

الاحكام الاولى بصيغة العقائد حيث أن من انكره يكون خارجا على الملة بخـلاف الثانى ، ومن هذا النوع الثانى تعددت المذاهب الاسـلامية واختلفت آراء الفقهـاء واتسع نطـاق ذلك الخلاف ( كما نرى فى حـكم القصاص والقتل بالاكراه ) .

ويسوق القرآن الكريم الاحكام بأنواع من المعـانى التى من شـأنها أن تخلق فى نفوس المخاطبين الهيبة والمراقبة والارتياح والشعور بالفائدة العاجلة والآجلة بما يدعوهم الى المسـارعة اليها والامتثال للأمر فيها .

وقد أثر القرآن الاجمـال والاكتفاء بالاشـارة الى مقاصد التشريع وقواعده الكلية وترك للمجتهدين فرص الفهم والاستنباط فى ضوء هذه القواعد وتلك المقاصد .

وفى نفس الوقت فصل فى العقائد والعبادات لانه يريدها مستقرة على الوضع الذى حدده لاتيانهـا على أسبـاب تختلف ولا تتغير بتغير الازمنة والامكنة .

وقد جعل القرآن لأهل الذكر والاستنباط منزلة سـامية .

● ● ●

( ٣ )

# التربية والقرآن

يقرر الباحثون أن المنهج التربوى فى القرآن يقوم على أسس ثلاث :

١ — المحـاكمة العقلية .

٢ — القصص والتـاريخ .

٣ — الاثارة الوجدانية .

أما المحاكمة العقلية فتقوم على تعريف الانسان بذاته قبل كل شىء فقد تنـاول خطـاب القـرآن الحديث عن الانســان وأصله وجوهره وكيفية نشـأته وتكاثره ( فى سورة البقرة ) كما أبان عن أن جميع المعـارف التى يكتسبها الانسان انما هى فرع لمعرفة سـابقة هى معرفته لذاته ، أى معرفة العقل ووظيفته وتركيب النفس والجسم والعـلاقة بين الانسان والكون فاذا توفر الانسان على معرفة ذاته وحدود امكانياته توصل الى معرفة ربه الخالق العظيم وقصة هذا الكون فى مبداه ومجراه ونهايته .

ويركز القرآن على خلق الانســان .

**( فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ) .**

ثم يركز على البعث فى آيات كثيرة .

**( يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ) .**

١ — أما القصص والتاريخ فقد عرض القرآن عديدا من احداث التاريخ وقصص السـابقين .

**( وكذلك نقص عليك من أنباء ما قد سلف ) .**

وكيف عملوا وكيف جرت عليهم سنة الله فأخذهم لما ظلموا أنفسهم وأهلكم واهلكم عندما خرجوا عن طاعة الله ، أما الذين آمنوا فقد كتب الله تبـارك لهم الحيـاة الطيبة .

**( فارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين )**

وقد حرص القرآن الكريم الى الاشـــارة الى الارتبـــاط بين التقوى ومخافة الله والعمل الصالح وبين الحركة التاريخية .

**( او لم يرو كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهـــار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين ) .**

**( ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون )**

**( لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالبـــاب ما كان حديثا يفترى ) .**

٣ — وتعد الاثارة الوجدانية هى عمدة المربى وقاعدة التربية وهى مزيج معتدل من عناصر العواطف الثلاث :

( عواطف دافعة : كالفرح والامل والرغبة ) .

( عواطف رادعة : كالخوف والخشية والاتفاق ) .

( عواطف مجمدة : كالاعجاب والحب والتقديس ) .

فالتربية تقوم على أساس ( أمل — خوف — وحب ) فى توازن تام .

وكتاب الله تبارك وتعالى يقدم الاثارة الوجدانية فى اعتدال وتكافؤ فانت لا تجد فيه آية تســـلم الانســـان الى رهبة مجردة او بشـــارة صـــافية من شـــائبة الخـــوف ، بل ان من قواعد القرآن الكلية انه لا يذكر الانســـان ببعض صفات الجبروت والانتقام لله تبـــارك وتعالى الا ويذكره الى جانبهـــا بصفات الرحمة والغفران ولا يتحدث عن الجنة ونعيمها الا ويتحـــدث الى جانبها عن جهنم وما فيها من عذاب .

**( نبىء عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم ) .**

**( قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ) .**

وفائدة ذلك أن يبقى الانســـان بين جاذبتى الرغبة والرهبة دون أن يطغى أحدهما على الآخر وفى ظل هذا التجـــاذب ينشط للسعى الى مرضاة الله تبـــارك وتعـــالى .

فالله تبارك وتعالى يضعك بين الخوف من عذابه ، والرجاء فى رحمته وقد علمنا سبحانه ان نكون على هذه الحالة من الخوف والرجـــاء حتى لا نعبد الله على حرف .

**اثبت القـــرآن ان للاجتمـــاع نواميس ثابتـــة وقرر ان الجماعات كالآحاد لها آجال لا تستطيع ان تتعداها .**

( ٤ )

## القرآن الكريم والتاريخ

ان القرآن الكريم ليس كتابا أنزل للتـــاريخ وضبط الوقائع وترتيب الحوادث التاريخية بعضها على بعض ولكنه بالاجمـــاع يستخدم التـــاريخ ويقص من هذا التاريخ حقـــائق واقعـــة ثابتة مرتبا بعضها على بعض ترتيبا لا استنتـــاج فيه كما تستنتج المؤرخ ولكن ترتيب الحق والواقع ، وينزل بذلك الواقع المرتب ترتيب الحقائق لهداية الناس ارشادهم الى الخير والفلاح .

فالقرآن يخالف كتب التاريخ فى امور ويوافقها فى امور فالمؤرخ قد يرى من واجبه أن يتبع تفاصيل واقعة من الاسماء والزمان والمكان والاحـــداث وتفاصيلها لان هذا كله يعينه على استنتاج الحكم التـــاريخى الذى يحكم به على الواقع أو يشبع به فهم العواطف الكثيرة المختلفة من قراءة التاريخ .

أما القرآن الكريم فقد لا يعنيه بعض هذا لانه لا يستنتج الأحكام التاريخية ولكن الحكم الفيصل فيها .

فالقرآن يخالف المؤرخ فهو لا يستنتج ولكن يقـــرر الواقع ويذكر من الاسماء والازمان والامكنة والاحـــداث ما يعيننا على فهم ذلك الحكم التاريخى ويتفق التاريخ والقرآن فى ان كل منهما يرتب الحكم التاريخى على المقـــدمات التى يذكرها وان كانا يختلفان فى طريقة ذلك الترتيب .

فالمؤرخ يرتب المقدمات ترتيبـــا ظنيـــا خاضعا لآلاف الفروض وأنواع الحدس والتخمين ، أما القرآن فيرتب المقدمات ترتيبا يقينيا لاشك فيه ، فالقرآن مصدر من مصـــادر التـــاريخ وليس كتابا من التاريخ والفرق بينهما واضح كل الوضوح .

● ● ●

٢ — ونظرة القرآن الى التاريخ لا تهتم بالجزئيات والتفاصيل العابرة ولا تهتم بالتطورات الفردية أو تاريخ حياة الأفراد وانما يركز على الكليات

والاساسيات والحركة الاجمالية لمجرى التاريخ ومغزى هذه الحركة . وللقرآن فى تحليله لدعوات الرسل والأنبياء لا يستطرد الى تفاصيل خاصة بحياتهم كأفراد ومتى ولدوا واين ولدوا وانسابهم وتفاصيل حياتهم وانما يقف عند العبرة الى تبرز هذه الدعوات كدعوات استهدفت تحرير الانسان من السحر والشعوذة والخرافة ومن الاستغلال والعنصرية والطبقية .

وقد صور القرآن كيف واصل الرسل جميعا الكفاح فى مواجهة خصوم أقوياء ذوى قوة ونفوذ وبأس شديد وفى مقدمة هؤلاء الخصوم يأتى الملوك والطغاة والمتجبرون ، وقارون وفرعون وهامان وان دعوتهم لم تكن يسيرة ولا سهلة فقد قوبلوا بالانكار والسخرية بل والاعتداء والحرب فصبروا على ما أوذوا وصمدوا حتى جاءهم نصر الله وغيروا أوضاع المجتمعات ونقلوها الى الربانية والعدل والرحمة والاخاء الانسانى وهكذا نجد ابطال القرآن أبطال مقاومة ورجال لم يستسلموا للظلم ولم يقبلوا عبودية العباد وقاوموا هذه العبودية ودعوا الى أن يكون الناس عبادا لرب السموات والأرض وأعانهم الله ونصرهم .

● ● ●

٣ — والقرآن لا يهتم فى نظرتة الى التاريخ بالجزئيات والتفاصيل العابرة ولا يهتم بالبطولات الفردية أو تاريخ حياة الافراد وانما هو يركز على الكليات والاساسيات والحركة الاجمالية لمجرى التاريخ ومغزى هذه الحركة . والقرآن فى تحليله لدعوات الرسل أو الأنبياء لا يستطرد الى تفاصيل حياتهم كأفراد ، وانما هو يقف عند العبرة التى تبرز هذه الدعوات كحركات اجتماعية تستهدف تحرير الانسان من السحر والشعوذة والخرافة ومن الاستغلال والتسلط الطبقى أيضا ودعوات الرسل كما جاء فى القرآن لم تكن بالبسيطة ولا السهلة فقد قوبلوا جميعا بالانكار والسخرية بل بالاعتداء والحرب من القوى المضادة التى كانت ترى مصلحتها فى الاحتفاظ بالاوضاع القائمة طالما هى المستفيدة منها ولا تراها فى التغيير أو التطور وتخشى أن تهدد مصالحها الخاصة .

● ● ●

٤ — وضع القرآن التاريخ فى اطاره الصحيح حين جعل حــوادث التاريخ محكومة بجملة من القوانين الالهية لا يحيد عنها .

**( سنة الله فى الذين خلوا من قبلكم وكان أمر الله قدرا مقدورا ) .**

**( وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ) .**

فالتاريخ فى تقدير القــرآن مسرح أعمال البشر وميدان التجربة **المحدودة** بزمن ومكان .

وقد وضح خطة العمل فى الحياة على نحو واضح .

١ — استقامة الأمة على طريق الله أو انصرافها عنه .

**( وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ) .**

فاذا عادوا الى الله رفع عنهم الذنب وفتح لهم أبواب النصر .

٢ — فاذا عجزوا عن اقامة المجتمع الربانى :

**( فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قوما آخرين ) .**

اذا تجاوزت الأمة منهج القرآن عرضت نفسها لمخالفة السنن **الطبيعية** وبالتالى الى الهــلاك .

٣ — ضرورة مقاومة غزو القيم الباطلة المجتمع المســلم .

٤ — العودة الى تحكيم شرع الله فى حياة الفرد والجماعة من خلال ســلامة المنهج الاســلامى وقدوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٥ — تحويل الفكرة الى واقع — الجزء بعد الجزء ( أصلح نفســك **وادع** غيرك )

**ثلاثة اعمــال اساسية :**

— تقديم المنهج ( المعرفة الاســلامية ) .

— الرد على الشبهات وتحرير الفكر الاسلامى من التبعية .

— عطاء الاســلام للحضارة .

— العلم وحده ليس كافيا ولابد من الربط بين الايمان والعلم .

— المناهج الغربية لم تحقق شيئا .

— ضرورة الارتباط بمنهج الله تبارك وتعالى .

● ● ●

القرآن الكريم يكشف حقائق التـاريخ القـديم .

ان اخطر ما وجه القرآن الكريم اليه النظر من قضايا :

اولا : قضية تزييف الكتب السماوية السـابقة على القـرآن الكريم وتحريفها ، فقد أشـار الى هذا فى مواضع عديدة .

**( يحرفون الكلم عن مواضعه ) .**

فقد كشف القرآن الكريم كيف أنهم كتموا الكتاب بعد ان اخذ ميثاقهم ليبينه للناس ولا تكتمونه ( فنبذوه وراء ظهورهم ) واشتروا به ثمنا قليلا .

٢ — اكد القرآن الكريم على قضية ( واشتروا به ثمنا قليلا ) بالاضافة الى تحريف الكلم عن مواضعه .

اشار القرآن الى اخفاء الكتاب — تحريف الكتاب — كتمان الكتاب يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا .

وقد اشار القرآن الكريم الى هذا المعنى بقوله :

**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم ما كنتم تخفون من الكتاب .**

**ثانيا :** قضية كراهية أهل الكتاب للمسلمين وعملهم الدائم على اخراجهم من الاسـلام وكيف أن قلوبهم تحمل لهم الحقد والكراهية ومن هنا أوجب الاسـلام عدم الولاء لهم وشدد النكير على من يتولاهم .

**( الذين يتخذون اليهود والنصارى أولياء ) .**

**( ها أنتم هؤلاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ) .**

وقد أوصى القرآن المسلمين بالحذر الشـديد :

**( لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ) .**

## ٤ — القـرآن وتفسـير التـاريخ :

حدد القرآن الكريم مفـاهيم واضحة فى تفسير التاريخ وحركته والغاية منه ، يقوم مفهوم التـاريخ على أن الحوادث التاريخية ظواهر طبيعية وان

التأمل فيها يفضى الى قوانين ثابتة . ومن هنا فان التاريخ يخضع من وجهة نظر القرآن الى قوانين رسمها الحق تبارك وتعالى وأسماها ( السنن ) .

**( سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا ) .**

**( فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ) .**

ويرجع القرآن حركة التاريخ الى عوامل اخلاقية .

فالحضارة القوية المزدهرة تعنى أساسا أخلاقية متينة قامت عليها وانهيار حضارة يعنى أخلاقا قد انهارت .

فالسلوك الانسانى العملى الاخلاقى هو الذى يحدد بالدرجة الاولى ظروف الحياة التى هى فى جوهر دفعة من دفعات التاريخ .

وقد اشار القرآن الكريم الى الارتباط بين العوامل الأخلاقية وحركة التاريخ فى قوله تبارك وتعالى :

**( أو لم يرو كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين ) .**

**( ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون ) .**

فالقرآن يدعو الى معرفة الحوادث التاريخية والاستفادة منها فى القوانين التجريبية والعلمية فان ملاحظة الانسان للتجارب الانسانية يفضى الى الخروج بأحكام عامة يقع تطبيقها على الحاضر ( لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ) .

**( يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ) .**

والمستقبل وليد الحاضر من وجهة نظر الاسلام فان تكيف الحاضر يتحكم فى المستقبل ويحدد طابعه فتكون الناحية العملية فى ربط المستقبل بالحاضر أوكد من الناحية النظرية التى تتجاوز الحاضر فتربط المستقبل بالماضى مباشرة .

والقرآن يحدد من المناهج التاريخية . منهج المشاهدة والملاحظة ودراسة الآثار وهو أوفق المناهج الحديثة فى دراسة التاريخ .

**( قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق ) .**

**﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض ﴾ .**

**﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ .**

● ● ●

**هـ — الواقعـــة التـــاريخية :**

**يجملها** فى القرآن الى الناس اسلوب اخاذ وحبكة فنية تصل فى بعض السور الى أعلى درجاتها وذلك بسبب الارتباط العضوى العميق فى القرآن بين الاسلوب والمضمون ، حتى فى أشد الآيات علمية وتشريعية وكأنه بهذا يريد أن يطرح اعجـــازا مزدوجا وأن يقول للعربى انه لم يأت بمضـــامين ومعطيات جديدة فحسب بل انه قدمها لهم بلغة هى لغتهم نفسهـــا ولكن شتـــان .

**تدم** القرآن الكريم فى سورة البقرة : الحدث الأول فى تاريخ الانسان مشرق خلق الانسان بما هو تركيب متكامل من عقل وجســـد وروح وعاطفة وأهواء وسيتكرر عرض هذا المشهد من زوايا مختلفة ومتكاملة فى ســـور ومقاطع أخرى من القرآن ولا يتطرق القرآن فى مشـــاهدة التاريخية هذه الى تفاصيل وجزئيات .

ويقدم القرآن الكريم حجر الزاوية لكافة العروض القرآنية عن الانسان :

**﴿ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ .**

الآية على هذا المستوى الحضارى تقدم عددا من المبـــادىء الأساسية الخطيرة :

**أولا :** تركيب الانســـان ودوره فى هذا العـــالم .

**ثانيا :** الصراع بين الخير والشر .

**ثالثا :** العلاقة بين السماء والأرض .

**رابعا :** المصير الذى ستؤول اليه كل هذه المســـائل .

وتتوالى عروض القرآن التاريخية حتى تغطى مساحة زمنية طويلة تبدأ بآدم وتنتهى بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم لكى تقف عنده طويلا مقدمة معظم أحداث سيرته الغنية .

ثم ما تلبث هذه العروض ان يتجاوز عصر الرسول لكى تقدم لنا من المستقبل القريب والبعيد نبواتهما التاريخية .

واذا قيل ما هى الروح المحركة للتاريخ ومنهم من ارجعها الى المجتمع ( وهى المدرسة الاجتماعية الفرنسية ) ومنهم من يردها الى أسباب اقتصادية أو الى الصراع الطبقى فاننا نحن المسلمون نرى أن الروح المحركة للتاريخ هى روح الايمان بالله من أجــل اقامة المجتمع الربانى وتبليغ كلمة الله الى العالمين .

**٧ — السنن والنواميس التى تسير حركة التاريخ :**

أجمع العلماء على أن القرآن الكريم قد طرح لاول مرة على البشرية مسألة السنن والنواميس التى تسير حركة التاريخ وفق منطقها الذى لا يخطىء وعبر مسالكها المقننة التى ليس الى الخروج عليها من سبيل لأنهــا منبثقــة من صميم التركيب البشرى ومعطياته المحورية الثابتة ( نظرة وغرائز واخلاقا وفكرا وعواطف ووجدانا ) ومن قلب العلاقات والوشائج والارتباطات الظاهرة والباطنة فى العالم الذى يتحرك فيه الانسان والتى يتجــاوز فى اتساعها وشموليتها نسبيات البيئة الجغرافية أو الوضع الاقتصادى لكى تتسع للفعل التاريخى نفسه ، الفعل القائم على القيم الثابتة الدائمة فى كيان الانســـان والتى تنبثق عنها المواقف التاريخية سلبا وايجابا .

بل أن القرآن يلفت انظارنا الى أننا نستطيع أن نرتب على مجموعة معينة من الوقائع التاريخية سلفا نتائجها التى تكاد تكون محتومة لارتباطها العضوى بمقدماتها اعتمادا على استمرارية السنن التاريخية ودوامها .

هذه السنن موجودة وثابتة فى صميم التركيب الكونى وفى قلب العلائق المتبـــادلة بين الانســـان والعالم ولم يقل القرآن سوى أن كشف عنهـــا النقـــاب وأكد وجودها ونقلها فى حركة التاريخ ولقد عجز المؤرخون والمفكرون عامة حتى القرن الماضى ان يصلوا الى استكناه هذه السنن التى تحكم حركة التاريخ ويطمئنون اليها ويجروا تحليلاتهم وتفاسيرهم وفق مؤشراتها ودلالاتها

وعندما اكتشف علماء الغرب ناموسية الحركة التاريخية كان ابن خلدون قد سبقهم بستة قرون .

---

من بحث للدكتور جمال الدين عطية .

( ٥ )

# سنن الله فى الكون والمجتمع والحضارة

ارادت حكمة الله سبحانه وتعالى ان يحكم الكون نوعان من القوانين :

**النوع الاول** : نوع حتمى وهو ما يشير اليه القرآن بالسنن ويطلق على البعض قوانين الطبيعة وهو تلك القوانين والتى فطـــر الله الخليقة عليها سواء فى ذلك قوانين العلوم الطبيعية كالفزياء والكيمياء والرياضيات والاحياء والطب او القوانين الحتمية فى العلوم الاجتماعية : مثل قوانين العرض والطلب فى الاحصاء وقوانين التغيير الاجتماعى .

قول الله تعالى : **( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم )** ( أن الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها أزلة ) . وفى الحديث ( كما تكونوا يول عليكم ، يد الله مع الجماعة ، ما ترك قوم الجهاد الا زلوا ) .

وقال الله تعالى : **( ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى )**

**وقال : ( اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ) .**

هذه القوانين حتمية بمعنى أنها تنطبق اذا توافرت شروط انطباقهـــا دون حاجة الى تدخل ارادى لاعمالها .

وسخر الكون للانسان متضمن أن يكتشف الانســـان هذه القوانين ويستخدمها لتحقيق الامانة الموكولة اليه وهى عمارة هذا الكون كمستخلف لله سبحانه وتعالى .

وبقدر ما يكتشف الانسان من هذه القوانين ويسخرها بقدر ما يصبح قويا بقوة الطاقات الجبارة التى يحويها هذا الكون العظيم .

يستوى فى هذه النتيجة أن يكون مؤمنا أو كافرا فالانســـان اذا أهمل اكتشاف هذه القوانين واستخدامها يصبح ضعيفا ولو كان مؤمنا والانسان الذى يكتشف قوانين هذا الكون ويسخرها يصبح بالتالى قويا ولو كان كافرا لأن هذه القاعدة ذاتها سنة من سنن الله فى الكون وهى سابقة على وجـــود الانسان نفسه مؤمنة وكافره .

قال الله تعالى : **( يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفـــذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ) .**

**النوع الثانى :** من القوانين التى تحكم الكون نوع ارادي او تكليفى هو تلك القواعد التى رسمها الله ليهتدى بها الناس فى حياتهم وترك لهم ان يطيعوه باتباعهـــا او يعصوه باهمالها ، وهذا التكليف مناطة الارادة وجهة الاختيار اللذين وهبهما الله للانسان مع العقل أسلحة يواجه بها معركة الحياة .

هذه القوانين التكليفية تشمل الى جانب القانون بمعناه الحديث قواعد السلوك والأخلاق الفردية والاجتماعية بمعناها الواسع .

وليست هذه القوانين للابتلاء الانسانى فحسب ، ولكنها قبل ذلك وبعد ذلك : بمثابة الاطار الذى يضبط مصلحة الفرد والمجتمع فى أنشطته المتعـــددة التى من بينها تسخير السنن الكونية وعمارة الكون .

وعلى قدر التزام الانسان أفرادا وجماعات بهذا الاطـــار من القواعد السلوكية يكون ناجحا فى حياته سواء كان منبع التزامه دينيا أو لما يحققه من مصالح .

وعلى قدر اهمال الانسان لها يكون فشله واضطرابه سواء فى ذلك من آمن بقلبه دون أن يتبع الايمان عمل صالح او من كان فى ضلال مبين .

ولا مجـــال للغرابة اذن فيمـــا انتهى اليه حـــال المسلمين مع غيرهم حين أهملوا سنن الكون أو شريعة الله كلية فلم يأخذوا بأسباب القوة المادية والمعنوية وتركوا الجهاد وتفرقوا كأنهم أمم متعددة يحارب بعضهم بعضـــا وراحوا بعد ذلك يأملون فى النصر على أعدائهم الذين أحسنوا تسخير سنن الكون وأخذوا القدر من الاطار السلوكى فى حياتهم فكانت سنة الله التى لا تتخلف ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا .

● ● ●

( ٦ )

# القرآن وأصول التفكير الاجتماعى

تقول الدكتورة زينب رضوان :

أصول التفكير الاجتماعى فى الاسلام مستقاه من منبعها النقى كتاب الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم بعيدا عن المدارس التى نشأت بعد احتكاك المسلمين بديانات الدول المجاورة وازدهار حركة نقل التراث الاجنبى اليهم اذ كانت الديانات الجديدة نتاج بنيات مختلفة عن مجتمع المسلمين الأصلى . وكان لها اثر كبير فى تشكيل فكرهم .

أصول التفكير الاجتماعى فى القرآن أربعة :

المساواة ، الحرية ، العدل ، التكافل الأجتماعى .

انبثقت عن هذه المبادىء الاربعة كل التشريعات الاسلامية فى جميع جوانب الحياة .

**١ — المساواة بين البشر :**

قوض حواجز عالية من الاغترار بشرف النسب وثراء المال وسلطة الجاه ، التى خلقت الطبقات ، الجنس كله من تراب والله خلقهم من تراب تأكيدا للمساواة فى الاصل فلا فضل لاحد على أحد الا بمقدار ما يقدمه من عمل صالح .

٢ — **الحرية** فى الاسلام تختلف عنه فى اى مذهب آخر لأن الحرية فى الاسلام معناها التحرر من كل صور العبودية أو الخضوع الا لله سبحانه وتعالى فهو وحده الذى يملك كل شىء وهو وحده الذى له الخضوع والخشوع ، والمسلم مطالب بأن يتحرر من المشاعر والمخاوف التى تجعله يتنازل عن كرامته أو بعض حقوقه ، وهذا هو التحرر الواجدانى الذى يجعل النفس تستغنى عن الضرورات المذلة وتملك قياد أمرها وتتحرر من الضعف امام الشهوات والغرائز ، ثم لا ضرر بعد ذلك من الاستمتاع بالحياة حين يملكها الانسان ولا تملكه وقد كفل القرآن الناس جميعا أركان الحرية الاساسية :

حرية العقيدة ، الحرية السياسية ، حرية الرأى والتفكير .

اذا كان هناك من المبـــادىء الحديثة ما يشـــارك الاسلام فى التأكيد على الحرية الفردية وحمايتها كالنظام الديمقراطى فانه يختلف معه بعد ذلك فى دائرة هذه الحرية فالحرية الفردية التى يرعاها الاسلام مشروطة بالمصلحة العامة التى شعارها لا ضرر ولا ضرار . اما النظام الديمقراطى فقد غالى فى التأكيد على الحرية الفردية دون ترشيد او مراعاة لمصلحة الجماعة .

وبذلك انتهى الى تحكيم الانانية والاثرة بدلا من تأكيد الوجود الحقيقى للحرية الفردية وانمائها .

**٣ — العـــدل :**

العدل الذى يقرره الاسلام هو العدل المطلق الذى لا يميل ميزانه مع الحب او البغض لا تتغير قواعده بالمودة والشنآن ولا يتـــأثر بالقرابة بين الافراد وهو بذلك يصل الى قمة لم يبلغها أى قانون دولى الى الان .

**قانون العدل : ( أطيعوا الله واطيعوا الرســـول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم مؤمنون بالله واليوم الآخـــر ذلك خير وأحسن تأويلا ) .**

**٤ — التكافل :** التكافل فى البناء وفى المحافظة عليه وحماية الجماعة من الهجوم الخارجى ، وتحقق رسالة الله بالتكافل والتضامن فى الدفاع عن وجودهم ، وأبرز صور التكافل فريضة الزكاة التى تقرر حلا كريما لمشكلة الحاجـــة والضعف فى مواجهة الحياة .

وجعل الاسلام من الضمير الانسانى ضامنا رقيبا على تنفيذ تشريعاته بعد أن عمل على تنميته وانمائه خلال نظام خلقى تكفل تحقيق أهدافه على النحو الصحيح ، وذلك ربط الضمير البشرى بالرقيب الاعلى وجعـــل من خشيته وتقواه سياجا يعينه ويمنعه من الزلل والانحراف .

جاء الاسلام لتحقيق التوازن والانسجام بين عناصر الوجود بأسره بين الانسان وقواه المختلفة ، بين الفرد والجماعة وبين الجماعة الواحـــدة والجماعات الانسانية كافة من تحقيق أهداف الدنيا وأهداف الاخرة .

( ٧ )

# قوانين القرآن الكريم

**( تدمير القرى الظالمة )**

ان مقررات كل الاشياء من علوم وصناعات وطبيعيات وعلوم فلك وغير ذلك من العلوم لها أصول فى القرآن الكريم ولا يتوصل الى استنباطها الا اهل الفهم والتعمق فى البحث لأن الله تبارك وتعالى لم يترك شيئا الا ذكره فى القرآن الكريم .

يقول الامام على : ما من شىء الا وعلمه فى القرآن ولكن راى الرجال يعجز عنه .

وقد حفل القرآن الكريم بعدد من القوانين الاساسية :

١ — قانون سنن الله تبارك وتعالى فى الطبيعة والكون والانســان .

٢ — قانون قيام الأمم والحضارات وسقوطها .

٣ — قانون خلق آدم .

٤ — قانون خلق الانسان فى بطن امه فى ظلمات ثلاث .

٥ — خلق الكون فى ستة أيام .

٦ — قدم القرآن صورة كاملة للميتافيزيقا ( ما وراء الظواهر ) وما قدمه القرآن الكريم هو الحق الذى يختلف تماما مع الفروض والتصورات التى قدمهـــا الفلاسفة حول خلق الكون وخلق الانسان وخاصة ما يتعلق بنظرية التوراة فى خلق الكون ونظرية دارون فى خلق الانسان ولا ريب ان نظرية نشوء المخلوقات وارتقائها التى قال بها دارون تخالف ما جاء فى القرآن الكريم وهى نظرية مرفوضة من أساسها لمخالفتها للنصوص القطعية التى وردت فى كتاب الله عز وجل والتى تؤكد نشوء البشر من سيدنا آدم وآدم من تراب وأبرز نقطة هى أن خلق الانسان كان خلقا مستقلا عن الانواع الاخرى وقد اثبتت الحفريات صـــدق ما جاء فى القرآن ووجدت نظرية دارون القصور والعجز عن المطابقة مع حقائق العلم .

كذلك نقد نقد الباحثون ما جاء فى التوراة فيما يتعلق بالايام الستة التى خلق الله تبارك وتعالى فيها الكون وتأكد خطأ حساب كتاب التوراة وصدق ما قدمه القرآن الكريم .

كذلك فقد قدم القرآن صورة كاملة للميتافيزيقا وما وراء الكون المنظور حتى يكفى المسلم عن البحث عنها .

كما قدم القرآن آيات عديدة عن نشأة الكون والكواكب والافلاك .

● ● ●

وقد دعا القرآن الى السير فى الأرض والنظر فى الكون فى عديد من آياته

**( قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ) .**

**( قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض ) .**

وتكررت هذه الآيات فى سور يوسف والفتح والروم وفاطر وغافر ومحمد وآل عمران والأنعام والنحل والنمل والعنكبوت والروم وسبأ .

● ● ●

وابرز القرآن الكريم ظاهرة اهلال الحضارات والأمم عندما تخرج عن حكم الله تبـــارك وتعـــالى .

**( وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد ) .**

**( وكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ) .**

**( وعاد وثمود . وقد تبين لكم من مساكنهم ) .**

**( فانظر كيف عاقبة مكرهم انا دمرنـــاهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ) .**

**( وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ) .**

**( وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون ) .**

**﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ .**

● ● ●

وجاءت حضارة سبأ لترسم الصورى الكبرى :

**﴿ لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ﴾** الآية وهى تمثل ذروة الحضارة التى قامت فى بلاد اليمن قبل الاسلام فى عهد دولة سبأ التى حكمت البـــلاد من ٨٠٠ ق م الى ١١٥ ق م .

واستطاعت قبيلة سبأ أن توحد سائر القبائل الضاربة فى بلاد اليمن وان تقيم دولة عظيمة السلطان واتخذت لها عاصمة فى مدينة (مأرب ) التى نعمت دورها بالحدائق الغناء .

وقد بينت الاية الكريمة العوامل التى ادت الى انهيار العمران الذى نعمت به ( سبأ ) وذلك حين ابتعدت عن منهج الله تبارك وتعالى وغلب عليها الطغيان والكفر فأرسل عليها سيل العزم وقد وصفها المؤرخ العربى الهمزانى فى كتابه ( الاكليل ) ومع مطابقة ما شهد بنفسه على قول القـــرآن الكريم موضحا موقع الجنتين عن يمين السد ويساره ، وأكدت دراسة الهمزانى عن سد مأرب عدد كبير من علماء الاثار الاسلاميين والاوربيين وكانت دولة سبأ متفوقة فى التجارة والزراعة وتسيطر على مقاليد التجارة وتحتكر الطرق المؤدية الى الهند لاحتفاظها بسير الملاحة الى تلك البـــلاد .

وجاء انهيار دولة سبأ نتيجة طغيـــان حكامها دون رعاية لواجبهم فيما منحهم الله تبارك وتعالى من توفير العدالة لأولئك الذين يستخدمون الطـــرق التجارية الخاضعة لسلطانهم **﴿ فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احـــاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبـــار شكور ﴾** وأول عقاب تلقته دولة سبأ هو منافسة الامبراطورية الرومانية لها فى السيطرة على التجارة الشرقية ومصادرها فى بلاد الهند .

ومن ثم تدهور طريق القوافل البرية السبأية الى بلاد الشــــام وتدهور سلطان سبأ السياسى والتجارى والاقتصادى . وسقوط دولتهم نهـــائيا ١١٥ ق م .

**﴿ فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العزم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتى اكل**

**خمط واسل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور ) .**

● ● ●

وهكذا وضع القرآن سنن سقوط الحضارات من الأمم وانهيار المجتمعات والقاعدة الاساسية هى الايمان بالله واليوم الاخر وهو أقوى دوافع العمل فى سبيل المصلحة العامة من خلال النظرة المتوازنة : بين الجانب الروحى والجانب المادى .

فاذا انهار الجانب الروحى تفككت علاقات الناس المادية واضطربت وهنا يكمن خطر التفكك والانهيار لأن العلاقات المادية لا تكون علاقات حميمة بين الناس .

والهلاك سنة جارية فى كل المجتمعات التى تسيطر عليها المفاهيم والعلاقات المادية على مر التاريخ .

وتبرز مؤشرات الهلاك كنتيجة حتمية لسيطرة المفاهيم والعلاقات المادية فى المجتمع والكفر بالرسالات السماوية التى تستهدف تغيير المجتمع واعادة بنائه على أسس ايمانية الى كفر بالنعم التى أنعم بها الله تبارك وتعالى على الناس ثم الى ظلم يتفشى وفسوق يعم وتبذير واسراف وفرح وغرور .

**( وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون ) .**

**( انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون )**

**( فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون )**

وهكذا فان المجتمع الذى يغفل عن حكم الله يستشرى فيه الفساد ويصاب بأزمات مادية واخرى نفسية ، ويكون هذا مقدمة لامتحان خطير فأما أن يعود الى أمر الله والا فانه سيدمر فى القريب .

وتكشف قوانين القرآن الكريم ان ما يصيب المجتمع المادى من انهيار اقتصادى وخلقى انما هو نتيجة الخضوع لسيادة المفاهيم المادية والوثنية ، هذا الانهيار يمكن تداركه بتغيير تلك المفاهيم واماتتها ، ثم احياء مفاهيم الايمان التى تحقق الاطمئنان النفسى والامن والرخاء والكفاية المادية .

( ٨ )

# الشخصية الإنسانية فى القرآن

تناول القرآن الكريم ابعاد الشخصية السوية وغير السوية ووضع فى وصفه للانسان منهجا فريدا ينطبق فى كل زمان ومكان بما يحتويه من أسس ومبادىء تتضح من جملة عناصر :

**أولا** — شمولية النظرة الى الانسان :

فقد عالج الشخصية الانسانية من خلال نظرة جامعة :

( جسم — عقل روح — حياته المعاشة )

وقدم تصوراته وقيمه ومحتوياته وكل حركاته وتفاعلاته مع الانسان الاخر وذلك فى مواجهة تناول المذاهب الفلسفة الغربية التى تصوره جسما بلا عقل ، أو روحا بلا جسم ، او عقلا بلا روح .

هذه التصورات الجزئية تشوه النظرة الجامعة للانسان بين النواحى العقلية والروحية والمادية .

ويحذر القرآن الذين يتصورون وهما أن مفاهيم الفكر الغربى أو نظرياته التى تناولت الانسان من بعض جوانبه يمكن أن تصلح للمسلم .

**ثانيا** : طاقات الانسان تجعله قوة فاعلة وموجهة وهذه النظرة الجامعة قد جعلت الانسان يمزج بين طاقاته كلها ويعمل على ربطها بحيث يجعل هذا الانسان من طاقاته قوة منسقة وفعالة .

فالانسان لم يرده الحق تبارك وتعالى قوة فاعلة موجهة ومريدة فحسب بل قوة دافعة الى الامام ، قوة تسيطر على القوى المادية مع مجاهدة هذه القوى المادية لاصلاحها وتوظيفها فى التعمير والبناء .

**ثالثا** : الابتعاد عن الصفات التى تجعل الانسان سلبيا ومتخاذلا

**( زين للناس حب الشهوات ) الآية .**

وقد أعطى الله تبارك وتعالى الانسان القدرة والاستعداد التام لكى يرتفع فوق المعطيات الحسية وان يتفوق على نفسه بحيث يتخطى الواقع المادى ليبلغ بفضل مجاهداته الشهوات كل ما يتمنى .

**رابعا** : الانسان يتصرف فى حدود قدراته ويتطلع الى المثل الأعلى

**( لا يكلف الله نفسا الا وسعها ) .**

فالتكليف فى حدود الطاقة والوسع .

( عن بحث للدكتور سيد صبحى مع التصرف )

( ٩ )

# القرآن والعمران

قال الدكتور شبلى شميل : ان اللورد كرومر فى قوله ان القرآن هو العقبة الكؤود فى سبيل ارتقاء الأمم الاسلامية والمسئول عن تقهقرها قد اخطأ ، والخطأ تسرب الى حكمة فى كل ما تقدم حيث قال شريعة القرآن لا توافق العمران فى كل عصر ، والقضايا التى استند اليها واعتبرها جوهر الدين كان يمكنه ان يعتبرها من الدين الاسلامى كسواها من سائر الاديان وهل يعقل ان القرآن الطامح الى ابعد المرامى الاجتماعية يكون قد اراد ان بمثل هذه القضايا ان يجعلها غلا فى عنق العمران .

ان فى القرآن اصولا اجتماعية عامة وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للاخذ بها فى كلّ زمان ومكان حتى فى امر النساء ، وان القرآن فتح امام البشر ابواب العمل للدنيا والآخرة ولترقية الروح والجسد بعد أن أوصد غيره من الاديان تلك الأبواب فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلى عن هذا العالم الفانى ( يقصد المسيحية ) .

ان اللورد كرومر لم ينظر الى القرآن الا من خلالّ أولئكَ الذين وقفوا محجمين فلم يريدوا ان يمسوا باصابعهم موضع الألم .

اخطأ اللورد حيث قال ان شريعة القرآن لا توافق العمران فى كلّ عصر وان وافقته فى بعض العصور ونفس قوله هذا حجة عليه لأن العمران لا يتسامح مع شرائعه ولو قال ان الأديان لا توافق مصلح العمران لكان فىّ قوله نظر ، لا بالنظر الى مبادئها بل لخروج دعاتها بها احيانا كثيرا عن جادتها ووقوفهم بها فى سبيله .

اما وقد قال قوله فالذى يصح على دين يصح على مخر والقضايا التى استند اليها واعتبرها من جوهر الدين كان يمكنه ان يعتبرها فى الدين الاسلامى كسواها فى سائر الاديان بما يمكن تجاوزه لولا أنه رأىَ استمساكَ رجالّ الدين بها وقيامهم فى وجه المصلحين منهم كأنها من غرض الشارع ، ولذكر ان خلافهم فيها وفى ماضاهاها من المسائل الاجتماعية لأشبه شىء بالمناقشات

الدينية التى كادت تقضى على أمم النصرانية فى عصور الجهل وانتى احدثت اثرها فى الأمم الاســـلامية كما هم اليوم .

هل يعقل ان القرآن الطامح الى أبعد المرامى الاجتماعية يكون قد أراد بمثل هذه القضايا أن يجعلها غلا فى عنق العمران وكيف لا يجوز حملها على مجمل المجاز والاستعارة ولا سيما القرآن .

ان فى القرآن أحوالا اجتماعية عامة حتى فى أمر النساء فانه كلفهن بأن يكن محجوبات عن الريب والفواحش وأوجب على الرجل أن يتزوج بواحدة عند عدم امكان العــدل .

وان القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة ولترقيـــة الروح والجسد يعدان أوصـــد غيره من الأديان تلك الأبواب فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلى عن هذا العالم الفانى .

٭ ٭ ٭

# الباب الرابع

## القرآن والمنهج العلمى والإعجاز العلمى

١ ــ علوم القــرآن .

٢ ــ القــرآن والعــلم .

٣ ــ القــرآن والمنهج العلمى الاســـلامى .

٤ ــ القرآن مصدر المنهج العلمى الحديث .

٥ ــ الاعجاز العلمى فى القــرآن .

( ١ )

# علوم القرآن

فى كتاب ( قانون التأويل ) للقاضى ابى بكر بن العربى ان علوم القرآن خمسون واربعمائة وسبعة وسبعون الفا ( ٧٧٤٥٠ ) علما وقال الامام الغزالى ان القرآن يحوى سبعة وسبعين الف علم ومائتى علم واهم هذه العلوم :

— بلاغة واعجاز القــرآن .
— احكام القرآن ( الأصول والفقه ) .
— علم قصص القرآن .
— علم وعظ القــرآن .
— علم التفســـير .
— علم القــراءات .
— علم اسباب النزول .
— علم المناسبات بين السور والآيات .

وان جميع العلوم الشرعية والاجتماعية والصناعية والكونية وغيرها هى علوم القرآن لانها مأخوذة منه بعضها بطريق مباشر وبعضهـا بواسطة او بوسائط **( ما فرطنا فى الكتاب من شيء )** .

وقد الف الشافعى فى علم أحكام القرآن وهو أول من الف فيه وهو غير علم الفقه وأصول الفقه ، كما الف ابن القيم الجوزية فى أقسام القرآن والف ابن حزم وغيره فى الناسخ والمنسوخ .

● ● ●

ويضم القرآن الكريم ٦٦٣٠ من الآيات تحمل ثلاثة اقســام :

**الأول :** التوحيد ويمثل ثلث الكتاب ولذلك قيل أن العقيــدة تمثل ثلث الايمــان .

**الثانى :** آيات الاحكام ( مائتى آية ) وتنقسم الى :

المعــاملات والعبادات وتمثل العــلاقة بين المسلم ودين الله تبــارك وتعالى وتضم الصلاة والزكاة وما يتفرغ منها من تعــاليم .

كما تضم الفقه — الذى يقدم انواع الحـلال والحرام والكفالة والمضاربة ويعدم كل ما يفيد المعـاش .

الثالث : المعاملات وهو قسم الحدود الذى يعاقب السارق والزانى وبه حد الزنا وحد الخمر وحد القتل وحد الردة .

**الرابع :** تنظم العـلاقة بين المراة والرجل والحى والميت وهو قسـم الاسرة وهذا القسم الذى يسمى علم النفس فهو يقدم كل شىء عن الجريمة

**القسم الأخير :** وهو الذى يقرر العـلاقة بين الأمة الاسـلامية وغيرها وهو قسم المعـاهدات بين المسلمين .

● ● ●

وقد احصى بعض الباحثين علوم القرآن التى تضمنتها ( ٧٥٠ آية ) من آيات القرآن الكريم على النحو التالى :

علم الفلك — واكبر حقيقة قرآنية فى علم الفلك ان لكل كوكب فلك خاص ونظام معين .

**( والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ) .**

**( والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ) .**

٢ — **علم الطبيعة :** أو لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانا رتقـا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى .

( وهى اهم نظرية فى خلق الكون ) .

**٣ — علم الجغرافيا : ( وارسـلنا الرياح لواقح فانزلنا من السمـاء مـاء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين ) .**

وقد تأتى للعلم الحديث ان يصل الى معرفة ان الرياح تحمل السحب ذات الشحنات الكهربائية المختلفة فتصل مع بعضها أو ترتبط بعامل تيارات الأرض وجاذبيتها وتكون النتيجة برقا ورعدا ومطرا .

**٤ — علم النبات : وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شىء فاخرجنا منه خضرا ، نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية**

وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمـره اذا أثمر وينعه فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون .

٥ — علم الحيوان : أفلا تنظرون الى الابل كيف خلقت .

٦ — **علم التاريخ الطبيعى** : وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم .

٧ — علم الكيمياء : وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين .

( ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل ) .

٨ — **علم الأجنة** : يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث

٩ — **علم الصحة** : وكلوا واشربوا ولا تسرففوا انه لا يحب المسرفين .

١٠ — **علم الانسان** : ولقد خلقنا الانســـان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنـــا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما فتبارك الله أحسن الخالقين )

هذا ما قررته النظريات العلمية فى تطور خلق الانسان .

الطب بعامة : شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ) ( وشفاء لما فى الصدور ) .

١١ — **علم الطب الوقائى** : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير .

١٢ — **علم ماوراء الطبيعة** : الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامهـــا .

١٣ — **علم الاشعاع الذرى** : فارتقب يوم تأت السمـــاء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم .

: انا كاشفوا العذاب قليلا أنكم عائدون .

: يوم نبطش البطشة الكبرى أنا منتقمون .

١٤ — **علم الفضاء** : يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا سلطان .

١٥ — **علم الهندسة** : انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغنى من اللهب .

هذه الآية فيها قاعدة هندسية وهى أن الشكل المثلث لا ظل له .

● ● ●

يقرر العلماء أن الآيات التى تتعلق بالعلوم الكونية سبعمائة وخمسون آية صريحة ( بينما لا تزيد الآيات التى تتعلق بالفقه الاسلامى عن مائة وخمسين آية صريحة ) والسبب هو ان الحق تبارك وتعالى أراد أن يضع بين أيدى الانسان مفهوما كاملا للميتافيزيقا ( عالم الغيب ) وانه أساس التوحيد .

وذلك لتعلق العلوم الكونية بالعقيدة الاســـلامية ، فالنظر منها طريق الى معرفة الله تبارك وتعالى ، وكلما ازداد الانسان علما بأسرار الكون كلما ازداد علما بخالقه وايمانه به تبارك وتعالى .

● ● ●

وفى أصول الصنائع وأسماء الآيات التى تدعو الضرورة اليها أورد العلماء ما يأتى :

**الخياطة** : وطفقا يخصفان .
**الحدادة** : آتونى زبر الحديد .
**التجارة** : واصنع الفلك بأعيننا .
**الغزل** : نقضت غزلها .
**النسيج** : كمثل العنكبوت اتخذت بيتا .
**الفلاحة** : أرأيتم ما تحرثون .
**الصيد** : لنبلونكم بشىء من الصيد تناله رماحكم .
**الغوص** : والشياطين كل بناء وغواص .
**الصياغة** : **واتخذ** قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا .
**الزجاجة** : صرح ممرد من قوارير ، المصباح فى زجاجة .
**الفخارة** : فأوقد لى يا هامان على الطين .
**الملاحة** : أما السفينة .
**والكتابة** : علم بالقلم .
**والخبز** : واحمل فوق رأسى خبزا .

**الطبخ :** بعجل حنيذ .

**الجزارة :** الا ما ذكيتم .

**الصبغ :** صبغة الله ، جدد بيض وحمر .

**الحجارة :** وينحتون من الجبال بيوتا .

**الكيالة والوزن :** فى آيات كثيرة .

**الـرمى :** وما رميت اذ رميت ، واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .

وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع ويقع فى الكائنات ما يحقق معنى قوله : **(ما فرطنا فى الكتاب من شىء)** .

قال السيوطى وقد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شىء ، اما انواع العلوم فليس فيها باب ولا مسألة هى أصل الا وفى القرآن ما يدل عليهـــا وفيه عجـــائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما فى الأفق الأعلى وما تحت الثرى .

وقال الشيخ طنطاوى جوهرى : حمل كتاب الله كل علوم الدنيا والدين فى كتابه : ( الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ) .

وهناك مجموعة من الحقائق العلمية الثانية لم تظهر الا منذ سنوات قليلة تؤيد ما جاء فى القرآن الكريم :

١ — كشفت أن التغيير فى التركيب الكيمائى بل المعنوى ناشىء عن تخالف نسبة المقـــادير ( وكل شىء عنده بمقدار ) .

٢ — كشفوا طريقة امساك الظل اى التصوير الشمسى والقرآن يقول : ( الم تر الى ربك كيف مد الظل لو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ) .

٣ — وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم .

معناه أن اللحوم والاسماك والالبان افضل فى التغذية من البقول والقمح والذرة .

وقد اشـــار بعض الباحثين الى عناصر اخرى

١ — الجدل والحوار — حوت آيات القرآن البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة ومنها مناظرة ابراهيم ونمروذ .

٢ — الجبر والمقابلة — فى أوائل السور ذكر مدد وأعوام وأيام التواريخ لأمم سالفة وان فيها بقاء هذه الامة وتاريخ مدة ايام الدنيا وما مضى وما بقى مضروب بعضها فى بعض .

**ثانيا — ما أورده القرآن وكشفه العلم الحديث .**

قدم القرآن الكريم عديداً من المعجزات التى تضمنتها آياته ولم يكتشف حقيقتها الا فى العصر الحديث .

١ — من أهم هذه الآيات قوله تبارك وتعالى :

( اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ) .

حيث يخرس الله تبارك وتعالى الألسنة وتنطق اليدين والرجلين : يقول علم التحقيق الجنائى : ( محمد بك شعير ) فى كتابه ( حول ترجمات بصمات الاصابع والايدى ) .

ليس ما تقراه من الوقائع المدهشة لشرلوك هولمز وكارتر وامثالهما وما يكتبه الرومانيون أمثال كونان دويل وليكوك وسواهما ، وما نراه يشخص على الشارات دون الصور المتحركة ، من اناء لمسوه أو وعاء امسكوه أو كوب شربوا منه أو خزانة فتحوها ، ليس هذا حديث خرافة ، وانما هى ثمرة العلم الحديث ونتيجة مجهودات العلماء الذين أتوا بالمعجزات فى فن بصمات الاصابع والايدى .

هذا الفن : استخدام بصمات الاصابع فى الجنايات لم يكن معروفا فى أوربا الا حديثا فقبل عام ١٩٩٠ لم يكن يعرف شىء .

**قال تعالى : ( ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء ) .**

ضيق التنفس الذى يجده من تصعيد بطائرة الى الطبقات العليا من الجو حتى لقد شعر انه أشرف على الهلاك ويرجع ذلك الى اختلاف الضغط الجوى فى مختلف طبقات الهواء يحدث ضيقا فى التنفس لقلة الهواء الملىء بمادتى الاكسوجين والادروجين .

مصدر العلوم من القرآن الكريم : وردت كلمة العلم فى القرآن ٧٨ مرة تضمن القرآن مصادر العلوم المختلفة وخاصـــة العلوم الاجتمـــاعية غير التجريب : مثل علوم التربية والاخلاق .

( ٢ )

## القرآن والعـــلم

فتح القرآن الكريم أبواب العلم على مصاريعها : منها علم الدنيا وعلم الدين ودعا الى النظر فى ملكوت السموات والأرض .

( ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهـــار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ) .

وردت الآيات التى توجه النظر الى خلق الله فى سور ( البقرة — الروم — الذاريات — الغاشية — الفرقان — النور — الشورى — يس — الاعراف — يوسف ) .

فالقرآن يوجهنا الى آثار رحمة الله ويلفت النظر اليهـــا ، لا يريد ان ننظر اليها نظرة عابرة وانما يريد منا النظرة الفاحصة المتأملة .لكى :

١ — نأخذ منها الدليل على وجود الله تبارك وتعالى وقدرته وعلى انه الاله الحق الذى يستحق العبادة دون غيره .

٢ — ان ننقب عما حواه الكون من خيرات وكنوز وان تكشف أسراره وكوامنه حتى تنتفع بكلّ ما فيه من خيرات مادية ونستفيد بكلّ ما يهتدى اليه من معارف وعلوم بعد الدراسة لظواهره ومشاهده .

وقد أدركّ العلمـــاء من غير المسلمين ما فىّ الكون من مصـــادر الثروة واخذوا جادين فى استنباط كنوز الأرض واستغلالّ خيراتهـــا ، وبحثوا عن خواص بعض ظواهر الكون وعوالمه وغفلّ المسلمون عن هذه الآيات البينات .

● ● ●

ولقد تكلم القرآن عن لغة العلم قبلّ كشفه ، كما انه استعملّ كلمـــات وتعبيرات لم تستوحشها أذواق الأقدمين ولا معـــارفهم على حين احـــاطت بكشوف العصر الحديث .

وقد ذكر القرآن قانونا خاصا بالماء فى سورتين : الفرقان والرحمن .

**( وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات ) الاية .**

هذه الظاهرة معروفة عند الانسان منذ أقدم العصور وهى انه اذا ما التقى نهران فى ممر واحد فان أحدهما لا يذوب فى الاخر ، وماء البحر يدخل ماء النهر عند حدوث المد البحرى ولكنهما لا يختلطان ، ويبقى الماء عذبا تحت الماء الاجاج .

هذا كان معروفا عند الانسان القديم ولكنا لم نكشف قانونها الا منذ بضع سنوات ، اكدت المشاهدات والتجارب أن هناك قانونا ضابطا للاشياء السائلة يسمى قانون ( المط السطحى ) وهو يفصل بين السائلين لأن تجاذب الجزئيات يختلف من سائل لآخر ، ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله فى مجاله .

وقد استفاد العلم الحديث من عبارة القرآن **( بينهما برزخ لا يبغيان )** .

**٢ — الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها .**

٣ — وقال القرآن : **( وكل فى فلك يسبحون )** .

٢ — الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها .

هذه الآية مطابقة لما يراه الرجل القديم بدون أى ساريات أو عمد ، الرجل الجديد يجد فيها تفسيرا لمشاهدته التى تثبت ان الاجرام السماوية قائمة دون عمد فى الفضاء اللانهائى ، بيد أن هناك عمد غير مرئية تتمثل فى قانون الجاذبية وهى التى تساعد كل أجرام على البقاء فى أمكنتها المحددة .

وكان الانسان فى العصر الغابر يشاهد أن النجوم تتحرك وتبتعد عن أماكنها بعد وقت معين ولذلك لم يكن التعبير القرآنى موضع دهشتهم .
ولكن البحوث الحديثة خلعت على التعبيرات ثوبا جديدا فليس هناك أروع ولا أدق من السباحة لدوران الأجسام فى الفضاء .

**٤ — ( يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا )**

تدل على سر مجىء الليل بعد النهار ولكنها تحوى اشارة رائعة الى دوران الأرض محوريا وهو الدوران الذى يعتبر سبب مجىء الليل والنهار .

وقال جاجارين : انه شاهد تعاقبا سريعا للظــلام والنور على سطح الأرض بسبب دورانها المحورى حول الشمس .

وفى القرآن اشارات ولمحات معجزة عن البعد الزمنى فى الكون حيث ترمى الاحاطة الرياضية الشــاملة بابعــاد الكون وعدم التقيد بمقــاييس الأرض ونسبياتها المحدودة ، سيما فى زمن نزول القرآن حيث علوم الطبيعة والرياضة تحبو بعد ، هذه الفطرة الكلية التى تطل على الكون ولا تندمج فيه من لدن الحكيم الخبير الذى احاط بكل شيء علما .

انظر مادة ( يوم ) مادة ( ساعة من النهار ) .

يوم اوبعض يوم ، فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعــدون ، كل يوم هو فى شــأن ، وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ، الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام .

كل هذا يؤكد الحقيقة التى لم يكتشفها العلم الا اخيرا وهى أن الزمن فى الأرض والزمن فى امداد الكون ليسا سواء ، وأن هناك فرقا شاسعا بين الوحدة الزمنية الارضية والوحدة الزمنية الكونية تبلغ تارة ٣٦٥ الف ضعف وتارة ١٨٫٢٥٠ الف بحساب القرآن الكريم نفسه .

من أجل هذا يشهد الناس يوم القيامة ويظنون أن حياتهم الدنيا لم تكن الا ساعة من نهار وانهم لم يلبثوا الا قليلا .

ومن هنا تأتى دعوة الكافرين ان يخفف الله عنهم يوما من العذاب : هذا اليوم الكونى ما اطوله فهو ربما يكون ثلاثمائة وخمسا وستين الف يوم ارضى وربما يكون ١٨٫٢٥٠٫٠٠٠ من ايامنا فى الأرض .

انها حقيقة رهيبة تقشعر لها الابدان وتشعرنا بضآلتنا وتفاهتنا .

وان امهال الله تبارك وتعالى للعصاة قد يبدو فى حسابنا الدنيوى طويلا قد يتجاوز السنوات وقد يمتد الى عقود من السنين وربما القرون حتميا لابد وفى زمن الله تبارك وتعالى يوما أو بعض يوم .

● ● ●

هناك حقيقة اساسية : أن الله تبارك وتعالى خلق السموات والأرض فى ستة ايام ، ولنا أن نتصور بحساب المنطلقات القرآنية الامداد الزمانية لهذه الأيام الست التى خلق الله تبارك وتعالى فيها السموات والأرض واعد-

كرتنا الأرضية لاستقبال الحياة وانمائها وتطويرها على يد الانسان المستخلف لله فى الارض وسيد مخلوقاتها .

وهناك التصميم والاعداد المعجزين القائمين على قوانين وسنن ونواميس غاية فى الدقة والاتفاق والانضباط ليس أقلها قانون الجاذبية وتصريف الرياح وحركة الليل والنهار وانبات النخل والرمان والعنب من قلب التربة وتوازن نسبة مكونات الغلاف الغازى وخلق الانعام وارساء الجبال وتكثيف الغاز والدخان الى كتلة صلدة صالحة للحركة والبناء وتزيين السماء الدنيا بالمصابيح الزرقاء وتفجير الحياة من الطين اللازب .

ولنا أن نتصور بعد هذا وذاك ما تريد الآية أن تقول لنا :

**( يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن )**

كل يوم وأى يوم أنه ذلك الذى قلنا انه ربما يبلغ ١٨٫٢٥٠٫٠٠٠ يوم من أيامنا **( فبأى آلاء ربكما تكذبان )** .

وقوله تعالى : **( تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبراً جميلا . أنهم يرونه بعيداً ونراه قريبا )** .

تجردت الملائكة من عوائق الجسد والتراب الذى يقيد الانسان وتجاوزت قوانين الزمان والمكان الارضية النسبية تصعد فى طريقها الى بارئها عبر معارج وامداد لا يحيطها خط خيال انسان ويجتاز هذه الأمداء التى تبعثرت فيها خمسمائة مليون مجره فى كل منها آلاف المجموعات الشمسية كمجموعتنا واكبر ، ليجتاز هذه كلها فى يوم واحد ليس بأيامنا ، أنه بحساب ايامنا يبلغ ١٨ مليون وربع مليون يوم لكنه يوم كونى .

● ● ●

وقد قدم القرآن حادثين لحساب الزمن الكونى : حادث الأسراء وحادث نقل عرش بلقيس ، الاول من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى السموات العلى الى سدرة المنتهى والثانى من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال قام به الذى عنده علم من الكتاب فى طرفة عين وعلم الكتاب أى اطلاعه على الدستور الرياضى والطبيعى لقوانين السموات والارض ومن ثم تسخيرها الى أقصى مدى ممكن لتحقيق منجزات زمنية ومكانية خارقة .

وقد أكد القرآن الكريم ثبات السنن والقوانين الطبيعية التى تسير

السموات والأرض الى غاياتها المرسومة فى علم الله تبارك وتعالى والطاقات التى تحتويها هذه الكتلة الكونية فى كل زمان ومكان ، هذه القوانين التى يملك الحق تبارك وتعالى تجاوزها فى أية لحظة يشاء لأنه جلت قدرته هو صانع السنن والقوانين .

وكما فى عوالم الطبيعة قوانين وسنن ربانية تمكن من اجتياز العقبات الظاهرية والوصول الى أهداف تبدو لاول وهلة عسيرة التحقيق تفوق حدود الخيال ، كذلك الحال فى عالم الروح والارادة التى تحكمها هى الأخرى قوانين وسنن أراد الله تبارك وتعالى لها أن تنظم الطاقات الروحية فى الكون كما تنظم قوانين الجاذبية والنسبية طاقاته المادية ، الا أن الكشف عن هذه السنن الروحية وتلمسها أصعب من الكشف عن قوانين المادة والطبيعة ذلك لأننا اذا امكننا ان نطل على الطبيعة من نوافذ حواسنا الخمس فان الاشراف على عالم الروح لا يتحقق بهذه السهولة .

( ٣ )

## القرآن والمنهج العلمى الإسلامى

دعا القرآن الكريم الى اعتناق الراى نتيجة الاقتناع والتأمل دون اكراه ، يرفض القرآن القول باللسان ما لم يقتنع به القلب والوجدان ، وان يحكم العقل ويعتمد عليه فى فهم النصوص والمطالبة بالبرهان والدليل :

**« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »**

كذلك فان العلم الذى يستقرئه القرآن هو العلم بمفهومه الشامل الذى ينتظم كل ما يتصل بالحياة ولا يقتصر على علوم الدين والشريعة .

وقد دعا القرآن الى النظر فى ظواهر الوجود ودراسة الكائن البشرى ووجه الى علم النبات والجماد والحيوان والاجناس .

**« الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى الله من عبادة العلماء » — فاطر .**

ان الاكتشافات العلمية لم تأت لتنشىء الاعابد ولكن لتظهر حجة المؤمن على ايمانه . والقاعدة ان لا ترتبط الحقيقة القرآنية بنظرية علمية قد تثبت

او لا تثبت وذلك حتى لا نكون قد وضعنا الحقائق القرآنية فى موضع اختبار اذا ظهر خطأ نظرية من النظريات العلمية ولا يجوز أن نربط القرآن الكريم إلا بما وصل الى درجة الحقائق العلمية الثابتة .

● ● ●

يقول الدكتور حسن الشرقاوى ( يمتاز المنهج العلمى الاسلامى بشمول قواعده وانسحابها على كل شىء فى هذا الكون فلا يدرس الباحث موضوعا واحدا بعينة يصل به الى نتائج كما تفعل المناهج الوضعية دون أن تربط هذا الموضوع ربطا محكما بالناموس الكونى والقانون الالهى .

ومنهج القـــرآن يربط التعـــاليم الخلقية بالنظـــام الكونى فيدعو الى الاستقامة واتباع الخير فى الوقت الذى تشير فيه الايات القرآنية الى بديع خلق السموات والأرض وما سخر للناس من أنهار وبحار ودواب وجبـــال بالنصيحة والعبرة .

كما نجد آيات التخويف للكافرين تتبعها آيات التبشير للصـــادقين . فالقرآن الكريم اذن يعالج أكثر من موضوع واحد فى آن واحد دون أن تختلط فيه المعانى وتتفرق السبل :

**(كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعقلون)** .

فالقرآن لا يدرس التاريخ كما يدرسه المؤرخون ولا يدرس الطبيعـــة كما يدرسها الطبيعيون ، ولا يفحص الألفاظ بحيث تحمل أكثـــر من معنى ولا تتناقض المعـــانى بعضها مع بعض كما يظهر فى الدراســـات النظـــرية والتجريبية .

والقرآن لا يحلل الالفاظ ويفصلها عن حقائقها كما يفعل المؤرخون عندما يجعلون واقعة معينة سببا لثورة من الثورات وانما يراد بالقصص القرآنى التأمل والتعقل والاستنارة .

والقرآن لا يستخدم أسلوب علمـــاء التـــاريخ عندما يعرض للقصص القرآنى أو يستخدم الفاظ الفلاسفة أو مصطلحات العلماء الطبيعيين عندما يتعرضون لموضوعات الكون والطبيعة .

وأسلوبه يمتاز بالشمول والعموم والوضوح لانه يخـاطب الناس جميعاً على اختلاف مستوياتهم وأحوالهم وأزمانهم ولكن المتخصصين يستفيدون كل كل فى دائرة تخصصه بآيات الكون والقصص القرآنى .

ويهتم المنهج الاسـلامى بمخاطبة الناس جميعا ، مؤمنهم وكافرهم ، عالمهم وجاهلهم ، خطاب الله تبارك وتعالى للناس معجز فى أسلوبه وبلاغته ومعانيه حتى يشعر القارىء أو السـامع انه موجه اليه وحده ويتميز المنهج الاسـلامى عن المنـاهج الوضعية والقوانين البشرية بالشمول والتكامل ، بينما هذه المناهج الوضعية يعوزها الثبات سواء كانت عقلانية او روحيـة أو حسية أو تجريبية ، اذ ما تلبث أن تظهر بين الحين والحين نظريات جديدة تدحض حججها وتبين ضآلة صدقها وتظهر وجهات نظر جديدة تهدم المنـاهج القديمة وتلغى قواعدها .

**٣ — القـرآن والعلم الطبيعى :**

علوم الطبيعة تتميز فى الوجود بأصولها ومبادئها قبل الاسـلام أما العلم الطبيعى فلا تجد له أثرا على الاطـلاق ، كل ما وجد منه سـابقا ليس الا مجموعة من الحقـائق النظرية الخاضعة لفلسفة اليونان تأتون فى كلامهم بالعجائب من الحكمة والقضايا العلمية ولكنهم لم يروا ابدا اى حاجة لاثبات صحة نظرياتهم وصدق دعاويهم وافتراضاتهم الى تجربة أو مشاهدة .

أما القرآن الكريم فكان على جبهة مغايرة تماما من نظرياتهم فقد حث الناس على التجربة والمشاهدة واكد الاستقراء والاستعراض الدقيق لجميع مظاهر الطبيعة عن كثب :

**( قل انظروا ماذا فى السموات والارض ) .**

**( ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين ) .**

**( انظروا الى ثمرة اذا أثمر وينعه ) .**

**( أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السمـاء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ) .**

ولما كان العلم ( Science ) هو عبارة عن البحث عن القـواعد الطبيعية الكامنة فى هذه المظـاهر وهى نتيجة لدعوة القـرآن الى التفكير والنظر فان العلم هو الدراسة المنظمة المحيطة لكل ما يوجد فى هذا الكون .

وقد اخذ المسلمون بناء على توجيهات القرآن يتفكرون ويتأملون فى كل شىء من مظـــاهر الطبيعة المنبثة فى الكون عبر عصورهم المختلفة ويكتشفون الحقائق المتجددة وتستنبطون القواعد من خلالها فكانت هذه الجهود سببا فى ظهور العلم الطبيعى الحديث ودخل العـــالم فى طور جديد من نوع مختلف تماما عن الأنواع الســـابقة ش

وقد أبدى المؤرخون حيرتهم وانبهارهم لهذا التقدم الهـــائل الذى حققه المسلمون فى مجال العلم .

وقد اعتبره البعض نتيجة لبعض القوى والقابليات الكامنة فى العـــرب اضافة الى الفطنة والذكاء والقدرة الخارقة على معرفة الأشياء لديهم .

والسؤال هو : من بعث فيهم هذه الكفاءة والقدرة ، ليس شىء الا القرآن العظيم الذى جعل أمة غارقة فى سبات عميق تستطيع أن تكشف هذه الأسرار الكونية بعد دراسة الطبيعة ، ولم يلبث العرب الا فترة وجيزة حتى كانوا ورثة لجميع العلوم الرومية والفارسية والسريانية والهندية والاغريقية وأثبتوا سيطرتهم عليها سيطرة كاملة .

لقد استطاع المسلمون بأعمال الفكر والنظر ومتابعة الجهود والتجربة أن يؤسسوا علما طبيعيا جديدا .

والاسلام هو الدين الأول والاخير الذى دعا الناس الى التفكير والنظر فى موجودات الكون واجراء التحقيق عليها واستخراج النتائج من المظـــاهر الكونية وهو الذى أسس علما تجريبيا تطبيقيا وقد فرغت هذه العلوم الى أقســـام :

علم الكيمياء — علم الطبيعيـــات — علم الفلك — علم الأرض — علم النبات والحيوان والطب والحســـاب والهندسة .

فألف المسلمون فى هذه العلوم والفنون كتبـــا كثيرة باختصاصـــاتهم واكتشافاتهم وبيـــان تفاصيل هذه المآثر يحتاج الى موسوعة .

ومعنى هذا أن الاســـلام دين سرمدى شـــامل يحمل قوة هائلة وحركة فعالة ، كما يمتلك فلسفة مكتملة عن الحياة وليست مجموعة من العـــادات والتقاليد ولكنه يمثل صورة حية جالعة للنظام الكامل للحياة .

ولا شك أن العلم والتكنولوجيا لها أهمية كبرى لا تتوقف بالنسبة لاداء الدور الذى تفرضه خلافة الأرض للانســـان .

( من شهاب الدين الندوى )

٤ — من المصطلحات القرآنية التى تحدد علاقة الانسان بالكون ( التفكير ) الذى يؤدى الى الاكتشاف و ( التسخير ) الذى يعنى سيادة الانسان على الكون ، وبعد مائة عام من نزول الآيات القرآنيـــة التى تحث على التفكير والتسخير استوعب المسلمون علوم ذلك الزمن واضافوا اليها وظلوا سادة العلم مدة ستمائة عام سطعت فيها اسماء الرازى وابن حيان والخوارزمى والبيرونى وابن النفيس وغيرهم ولم يظهر اسم أوربى واحد فى مجـــال العلوم الا بعد عام ألف ومائة ميــلادية .

ولكن علمــاء المسلمين استمروا فى عطائهم مدة ٢٥٠ سنة بعد ذلك الى أن توقف العطـــاء .

لماذا بحث المسلمون وطوروا تلك العلوم فى القرون ٨ الى ١١ الميــلادية بتلك السرعة .

هناك ثلاثة أجوبة محتملة .

● قد يكون أن السبب وراء ذلك هو أوامر القـــرآن الكريم بالبحث والتفكير .

● السبب الثانى متصل بالاول وهو يتعلق بمكانة العلمـــاء ورجـــال المعرفة فى الاســـلام .

**﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .**

● اعتراف الاســـلام بالطـــابع العلمى للعلم فهو لم يحجز على اتباعه بشـــأن تلقى العلم من اى مكان كان فالحكمة ضالة المؤمن والمجتمع الاسلامى نفسه مجتمع انسانى لا يعطى اعتبارا للون أو العنصر أو الاقليم الجغرافى وأول مجتمع اسلامى فى عهد الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) جسد هذا المفهوم .

وقد بدأ العطاء العلمى يتراجع بعد عام ١١٠٠ م وتوقف نهائيـــا عام ١٣٥٠ م لماذا ؟ لا أحد يعرف بالتحديد .

هناك عوامل خارجية تمثلت فى غزو المغول وتدمير بغداد ولكن العوامل الداخلية هى الاهم وتتمثل فى لجوء المسلمين الى التقليد بدلا من التفكير وكذلك فى انعزالهم عما كان يجرى فى العالم وخاصة فى أوربا .

وعندما بدأ المسلمون يحسون خطر التفوق التقنى الأوربى فى القرن ١٨ حاولوا الحصول على المنتجات التكنولوجية وخاصة العسكرية منها ، وهذا الاتجاه لا يزال سائدا حتى الان : اتجاه الحصول على المنتجات قبل استيعاب المفاهيم العلمية التى قامت عليها ، وهو يدل على جهل الصلاة الرئيسية بين العلم والتكنولوجيا .

ان الطريق الى استعادة أمجاد ماضينا العلمى هو التدريب العلمى القاسى لنصف طاقتنا البشرية العاملة والسعى لكتساب العلوم الاساسية والتطبيقية .

( عماد الدين خليل )

٥ — لا يتعارض البحث العلمى مع العقيدة لاسلامية اذا انطلق من الحقيقة الثابتة وهى أن هذا الكون المادى بما فيه ومن فيه لا يمكن أن يكون أوجد نفسه بنفسه بل لابد من موجد عظيم هو الذى أوجده من العدم ونظمه بعلم وحكمة بالغين ووضع فيه من السنن الكونية ما يحكمه . وان اكتشاف هذه السنن هى من واجبات الانسان الصالح لخلافة الله تبارك وتعالى على الأرض لأنه باكتشافه لها يتعرف على بعض جوانب عظمة خالقه وابداع صنعه كما يمكنه من استخدام هذه السنن فى عمارة الأرض وتيسير رسالة الانسان فيها .

اما خلق الانسان فالقرآن الكريم قد قرره لنا بصورة قطعية فالتنزيل ينطق :

**﴿ واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ .**

وردت فى سورة الحجر ثم وردت بصيغ أخرى فى سور البقرة والانفطار والعلق والتين .

( زغلول النجار )

٦ — التقاء الوحى والعقل فى القرآن لاول مرة وليس ثمة تناقض بين حقائق العلم وحقائق الدين — يقول دكتور محمد أحمد الغمراوى :

العلم قرآنى بموضوعة وانه قرآنى بطريقته فقرآنية العلوم الطبيعية واضحة ملموسة فما ورد فى القرآن الكريم من آيات التدبير والتفكير فيما خلق

الله فى السموات والأرض وسبل العلم فى طلب أسرار الفطرة أو فيما نفهم سنن الله ( تبارك وتعالى ) فى كونه هو السبيل التى أمر القرآن باتباعها من حيث تمحيض الحقائق والاستناد الى البراهين وتحكيم العقل والاعتماد الى جانب ذلك على المشـــاهدة .

فاذا تم للانسان هذا الجمع بين العلم والدين ، تم ما يصح أن يسمى بعلم سنن الله الكونية واستطاع الانسان أن يدرس العلم بروح العبادة من غير أن يضحى بشىء من دقة العلم وان يدرس الدين ويطبقه بروح العلم من غير أن يضحى بشىء من عبادة الدين ، وهنالك يتم للانسان الاتحـــاد بين عقله وقلبه وبين علمه ودينه وهذا شىء ممكن تماما فى الاســـلام .

ويقول الشيخ محمد عبده : قد التقى الوحى والعقل لأول مرة فى القرآن والعقل غير كاف ولابد من الاحتياج الى نبى ووحى ، وهذا النبى يعاضد العقل ويؤكد حكمه ويجعله موثوقا فيما يستقل العقل بمعرفته فيكونان دليلين على مدلول واحد يرشد العقل ويهديه فيما لا يستقل بمعرفته مثل المعـــاد ويكشف عن وجوه الاشياء التى لا يدرك العقل حسنها وقبحها وهذا يعنى ضرورة النبوة .

● ● ●

( ٤ )

# القرآن مصدر المنهج العلمي الحديث

استطاعت أوربا أن ترفض الاسـلام وأن تجلي المسلمين عن أرضها ومن مداخلها الشرقية والغربية ( الاندلس والبلقان ) ولكنها عجزت عن أن ترفض فكر الاسـلام القائم على مفهوم القرآن ، فقد استطاعت أوربا أن تقبل المنهج العلمي التجريبي وتنقل قيم كثير من قوانين الاقتصاد والسياسة والاجتماع الى فكرها بما يتفق مع ثقافتها القـائمة على الفلسفة اليونانية والقانون الروماني واللاهوت المسيحي ، فقد التمست ركائز نظريات الاجتماع والنفس والاقتصاد والقانون من مفاهيم الغزالي وابن رشد وابن خلدون وابن القيم ، بالاضـافة الى الاستيعاب الكامل لمنـاهج العلم التجريبي التي قامت على تراث ابن الهيثم وابن سينا والبتاني والزهراوي وغيرهم .

ومن هنا فان للقرآن الكريم أبعد الاثر في أساسيات الفكر العالمي الحديث وان كان قد صبغ بصبغة الوثنية أو المـادية المستمدة من الفكر اليـوناني القـديم .

واذا كان الفكر العالمي الحديث بمختلف دراساته ومذاهبه يتحرك في اطار أساسي فان هذا الاطار هو ما يطلق عليه المنهج ( العلمي الحـديث ) المستمد أساسا من القرآن الكريم فقـد دعا القرآن الكريم الى الأصـول الآتيـة :

**أولا :** النظر العقلي والمحاجة بالدليل والبرهان .

**ثانيا :** الدعوة الى حرية الفكر واحترام العقل وتكوين شخصية الفرد عن طريق البحث والعلم .

**ثالثا :** الدعوة الى استخدام الانسان لعقله وفكره .

**رابعا :** الدعوة الى التفكير والتقدير والتدبير والذكر .

**الحقيقة الثانية :** ان القرآن هو الذي فتح مجال البحث العلمي وآسفا وأتاح الفرصة لانجازات لا حد لها في مجال الفلك والطب والعلوم التجريبية

لقد دعا القرآن الى النظر فى الكون وتدبير آياته وعجائبه وحرض الانسان على استكناه أسرار الكون وفهم نظامه واعلن فى صراحة ووضوح أن هذا الكون خلق للانسان ومن حقه الانتفاع بكل ما فيه من مواد خـام ونتـاج ومعـادن .

وهكذا صـاغ القرآن الكريم أساس المنهج العلمى الذى يقوم فى جوهره على النظر والملاحظة وتحكيم الفكر :

**( قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ) .**

وأعطى البشرية مفتاح المعرفة فى العلوم المختلفة .

**( قل انما أعظم بواحدة : ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ) .**

والقرآن قبل هذا وبعد هذا ليس كتابا فى العلوم الكونية وانمـا هو منهاج شـامل للحياة واطار كامل للتشريع والمجتمع وهو لذلك لا يحتوى على تعاليم تتعارض مع حقائق العلم وفى القرآن بالذات ولأول مرة يلتقى العـلم والعقل ويتفق العلم والدين ، ويتم دائما الاتفاق والالتقـاء بين القرآن وبين الحقائق العلمية فى جوهرها ومفهومها الكلى ، وخاصة فى مجال الطبيعـة والفلك والعلوم الكونية .

وقد حث القرآن فى أكثر من موضع على دراسة الكون وعلوم الكون :

**( ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهـار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ) .**

وللقرآن توجيه واضح ودعوة صريحة الى القوة .

**( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ) .**

**( وجعلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس ) .**

وهذه دعوة الى بناء الصناعات الثقيلة والسفن البحرية والمعـدات العسكرية والحربية وتتوقف أساسا على التقدم فى مجال العلوم الرياضية والطبيعـة .

وقد فتح القرآن بهذا مجال البحث العلمى عند العرب والمسلمين حتى وصفه جورج سارطون بأنه يتجاوز حد التصديق يقول :

وقد بلغ المسلمون فى مجال البحث العلمى ما يجوز تسميته معجـزة العـلم العربى ، وقد أوردت كلمة ( معجزة ) لترمز الى تفسير ما بلغ اليه المسلمون العرب من الثقافة والعلم مما يخرج تقريبا عن نطاق التصديق وليس لذلك شبه فى تاريخ العلم كله ) .

وأعظم الابتكارات العربية : فى الرياضيات والفلك شيئان :

علم الحساب الجديد وعلم المثلثات الجديد — ان ابن النفيس اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل أن يعرف ذلك ميخائيل سرفيت الاسبانى بمائتين وخمسين عاما ، وقد عرف المسلمون لابن النفيس فضله فى ذلك بينما أحرق سرفيت الاسبانى علنا فى جنيف من سويسرة عام ١٥٥٣ ولا غرو فقد كان محظورا على رجال الدين الاشتغال بالطب ، أما التشريح فقد كان فى أوربا ممنوعا البته ، فاذا جئنا الى الاسـلام رأينا أن صناعة التشريح قد بلغت فيه الذروة ، وخصوصا فى المغرب ، وما يقال فى الطب والتشريح عامة يقال فى أمراض العين خاصة فان المسلمين كانوا لا يزالون حتى القرن الثالث عشر قادة العلم فى أمراض العيون ) .

وقد صور الدكتور فرانز روزنتال فى كتابه :

**( مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ) .**

كيف انشأ المسلمون هذا المنهج الذى يطلق عليه اليوم اسم ( المنهج الحديث ) على نحو مضبوط ملتمسين أساسه ومصادره من القرآن الكريم : يقول ( لقد كان العلماء المسلمون يعتمدون على الوثائق المعروفة ولم يكن للمعارف التى تعتمد على الذاكرة شأن فى تأليفهم ولم يستنكف المؤلفون المسلمون من ذكر ( الجذاذات ) التى كانوا يدونون عليها الملاحظات أو ينسخون منهـا المقتبسات عن الكتب التى يقرأونها » .

وقد عنى العلماء بالدرجة الأولى بالامانة والدقة فى ذكر المصادر المأخوذ منها ، ومن الواضح أن العلماء المسلمين كانوا يقدرون أهل العلم من غير دينهم ويحترمون الثقات منهم ابما احترام ، وكانت قوائمهم النقـدية لكتب المراجع تحتوى على تقدير المؤلف لكتب من سبقه من العلماء وتقييمها ولم تكن فكرة التطور والنمو التدريجى غريبة عند العلماء المسلمين ، وقد اعتبروا بلوغ

الكمال بمعنى أن المتأخر يتمم عمل المتقدم هو الصفة الرئيسية الى يتصف بها التطور والنمو من جيل الى جيل .

وقد سبق القرآن معارف الحضارات من حيث اثبات حركة الأرض وكروية الارض وان كان ليس من مقاصد القرآن شرح دقائق العلوم الكونية وانما يذكر محاسن المخلوقات وعجائبها للتنبيه على حكمة الله تبارك وتعالى .

ومن أبرز ما استطاعت الحضارة الغربية أن تحققه من نظريات :

**١ — نظرية النواميس الكونية التى تحكم تطور الأمم .**

وقد صاغ القرآن هذه الحقيقة صياغة مستفيضة موسعة ، فالقرآن يقرر أن النمو التاريخى للامم يسير وفق سنن ثابتة وهو دائما يوجه النظر الى ( سنة الأولين ) أو سنة الله فى الذين خلوا من قبل . ويقول :

**( ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا ) .**

فسنن الله لا تتبدل ولا تتحول ، وهى القانون السائد فى مجرى التاريخ كله ، وقد حرص القرآن على الاهتمام بحركة التاريخ وتفهم مغزاها وأثرها وحث على النظر فى مصائر الأمم السابقة وكيف تنهار الحضارات نتيجة للفساد والانحراف والتحلل . وأكد حاجة التابعين له الى هذه المعرفة .

كما أشار الى النتائج المترتبة على اختلاف الناس بعد وحدتهم كما عرضت آيات القرآن الى نمو المجتمع الانسانى فى مراتبه المختلفة بل ان نظرية ( تنازع البقاء وبقاء الأصلح ) تبدو واضحة فى آى القرآن .

**( وكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله ) .**

وهى تأكيد البقاء للأصلح فى قوله تعالى : **( والعاقبة للمتقين ) .**

وقوله تعالى . **( أما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ) .**

وهكذا تؤكد الوسائط كلها أن القرآن الكريم هو مصدر المنهج العلمى الحديث .

( ٥ )

# الإعجاز العلمى فى القرآن

اتسع نطاق البحث فى مجال الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة ودخل الى الساحة علماء التجريب وبرز علماء غربيون ليسوا مسلمين شهدوا بعظمة القرآن وسبقه لكشف هذه الحقـــائق فى مجات الطب العـــام والطب الوقائى والتشريح وعلم الاجنة والفلك والجغرافية الحيوية وعالم البحار والمحيطات وقد تضمن القرآن الكريم عدة اشارات الى حقائق علمية سبق بها العـــلم الحديث بأكثر من أربعة عشر قرنا والهدف هو كشف أوجه الاعجاز العلمى فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

لقد زود الله تبارك وتعالى الانســـان بنوعين من المعرفة : المعـــرفة المادية والمعرفة الروحية وقد قام الرسل والأنبياء بنقل بعض المعرفة للانسان بينما اكتسب باقى العلوم والمعـــارف من خلال عمليتى التعلم والتدبر فى آيات الله فى الكون .

وقرر الاســـلام أن العلم الذى لا ينال به الانســـان رضا الرحمن لا قيمة له وان أمما خلت اكتسب أفرادها القوة بفضـــل تحصيل العـــلم الا أنهم استخدموه فيما لا يرضى الله فدمرت قدرتهم وقراهم .

ويدعو الاسلام الى التقدم المادى من خلال التطور العلمى والتقنى مع المحافظة على القيم الروحية التى جاءت بها الأديان السماوية .

● ● ●

وقد عبر الدكتور موريس موكاى عن هذه الظـــاهرة الخطيرة : ظاهرة تكشف معطيات الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة فقال :

« لأول مرة فى تاريخ البشرية القديم نجد الاســـلام يقدم عقلية جديدة قادرة على التأمل والابتكار » .

لقد طلب الاســـلام من الانســـان أن يتأمل ظـــواهر الطبيعـــة وأن يدرسها لكى يكتشف قدرة الله فى الخلق واعجاز الخالق فى مخلوقاته ، وفى القرآن كثير من آياته التى تدعو الانســـان الى الملاحظة والتفكير والتقدير واعمال العقل والبصر والسمع .

« ولم يوجد قبل القرآن الكريم اى كتاب مقدس يحث الانسان على طلب العلم والبحث فى ملكوت السموات والأرض لاكتساب المعرفة كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من ادرك اهمية ترغيب الناس فى تحصيل العلم وله فى ذلك أحاديث كثيرة » .

« ولقد كانت العقلية المسلمة اكثر تفتحا ووعيا من العقلية الغربية فى العصور الوسطى حيث لم يكن بين العلم والدين اى تعارض أو خصومات بينما كانت الكنيسة فى أوربا تقف حجر عثرة امام البحث العلمى فعقدت المحاكمات لجاليلو وآخرين من العلماء وحكمت عليهم احكاما جائرة وصل بعضها الى الحرق حتى الموت » .

● ● ●

ولقد كان من اهم ما ركزت عليه المؤتمرات العالمية التى عقدت تحت لواء الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة ) اقامة تصور كامل لضوابط هذا العمل .

**أولا** : الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم يقوم على حقيقتين :

**أولاهما** : أن الاعجاز العلمى ليس هدفا فى ذاته .

**ثانيهما** : ان القرآن الكريم كتاب هداية ومن وسائل هذه الهداية ما يتضمن آيات الكتاب العزيز من دلائل علمية ذات بال .

**ثانيا** : ان الاعجاز العلمى يعنى تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين ودراسة واجراء البحوث فيها تهدف الى تقوية اليقين فى قلوب المؤمنين وكشف عظمة الخالق جل وعلا لفهم حكمه وتدبير مراميه .

**ثالثا** : من أهم الشروط أن تكون النظرية العلمية التى تفسر بها الآية القرآنية ثابتة تقوم على أساس من الحق وتستند الى أصل من الصحة حتى لا ينجم عن ذلك نوع من التحريف للمعنى والتأويل الخاطىء لكلام الله سبحانه وتعالى مع ضرورة أن يلاحظ فى امتزاج التفسير لتلك العلوم ما يلائم العصر ويوائم الوسط لأن تلك الابحاث الكونية قد تكون ضرورية اذا شرح بها

القرآن فى عصر من عصور الثقافة أو لجمهور من المشتغلين بعلوم الكون مع ضرورة عدم القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل .

**رابعا** : الحذر من ربط النصوص الشرعية بالنظريات العلمية المتأخرة لا الحقائق العلمية الثابتة حتى لا يؤدى الى انكار نصوص القرآن والسنة اذا نقضت هذه النظريات .

**خامسا** : ان التحمل لحمل القرآن على معنى معين ليقال أن القرآن قد سبق العلوم العصرية أو نحو ذلك ، هذا التمحل مرفوض وهو تكلف لا معنى له والقرآن فى غنى عنه لانه قد ثبت صدقه واعجازه وانما ينبغى أن يفسر بما تحمله العبارة وما تحمله الجملة ، ويحتمله اللفظ ولا يجوز أن تقطع الآيـة عن سياقها .

**سادسا** : فرق بين التفسير العلمى والاعجاز العلمى ، فان التفسير العلمى هو انتفاع المفسر بما ظهر فى عصره من معلومات كونية ، فى تفسير النصوص بخـلاف الاعجاز العلمى الذى يعتبر الحقيقة الكونية التى يؤول اليها معنى النص ويشاهد الناس مصداقها فى الكون فيستقر عندها التفسير ويعلم بها التأويل ويزداد الاستقرار عمقا واتساعا مع تقدم الكشوف العلمية .

**سابعا** : لا صـدام بين قطعى من الوحى وقطعى من العلم التجريبى وان ما قد يبدو من ذلك فى الظاهر فانه يعكس خللا فى اعتبار قطعية أحدهما وان نصوص الوحى نزلت بألفاظ جامعة تحيط بكل المعـانى الصحيحة فى مواضيعها التى قد يتتابع ظهورها جيلا بعد جيل ، واذا وقع التعارض بين قطعى من النصوص وظنى من العلم رفضت النظرية العلمية وان توافقا كان النص دليلا على صحة تلك النظرية وان كان النص ظنيا والحقيقة قطعية أول النص اليهـا .

● ● ●

**أطـوار الجنين :**

ان الانسان لم يتمكن من معرفة أطوار الجنين الا بعد دخوله فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، أما القرآن الكريم فكان سباقا الى هذه المعرفة التى عبر عن حقائقها فى آية موجزة :

**﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قـرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ﴾ ..**

وقد حددت الآيات القرآنية ترتيبا معينا لجميع الأطوار وفوارق زمنية بينها فجاء العلم الحديث شاهدا بنفس الترتيب ومعتبرا للفـوارق الزمنية نفسهـــا .

قال الدكتور جولى سيمسون : أن جميع الأبحاث والاكتشافات العلمية الحديثة اذعنت لصدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فتسلسل وصف الجنين متفقا مع الحديث الذى رواه حذيفة رضى الله عنه ( اذا مر بالنطفة مائة وأربعون ليلة بعث الله لها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب أذكر أم أنثى فيقضى ربك بمـــا شـــاء ويكتب الملك ويترك مع كتابه فى يده من دون زيادة أو نقصان ) .

وأيضا استنادا الى الحديث الذى رواه عبد الله بن مسعود حيث قال : ( ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه اربعين يوما ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربعة أوامر أن يكتب أعماله ورزقه وفيما أن يكون شقيا أو سعيدا ثم تنفخ فيه الروح ) .

ويقول سيمسون : أنه بالتحليل اللغوى الدقيق لمعانى الحديث يتضح أن الاطوار ( النطفة ، العلقة ، المضغة ) تتم خلال الاربعين أو الخمســة والاربعين يوما الأولى وهذا يتفق تماما مع المعلومات العلمية فى علم الاجنة تذكر وصف هذه الاطوار قبل ١٤٠٠ سنة يدل على معرفة الخالق بمخلوقاته كما يعترف البروفسور الكندى ( ت . فى . ن برساد ) بأن مضمون الحديثين الشريفين اللذين أشرنا اليهما من قبل يتفق تماما مع اكتشاف العلم الحديث فى مجال الاجنة بالنسبة لتطور الجنين وزمن حدوثها فيقول :

لقد جاء العلم بكشوفة شاهدا على ما دل عليه الحديثان فى وصف أطوار الجنين قبل أربعين يوما عندما تكون الخلق مجتمعا والاجهزة فى صورة براعم وشكل منحن ، لا يزيد طوله على واحد من السنتيمترات وبعد أربعين يوما بعد أن تتحول المضغة الى عظام يتخلق الاجهزة ( السمع والبصر ) ويتحدد الجلد واللحم والعظام تماما كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه حذيفـــة .

وقال دكتور ج . س . جورنجر : لقد ذكر القــرآن الكريم كيف يتطور الجنين داخل الرحم ( من نطفة الى علقة الى مضـغة الى عظام ) ثم كيف تكسى العظام باللحم ، ثم يتخذ الجنين شكلا آخــر ، هذا الترتيب الذى ورد فى القرآن لمراحل تطور الجنين الانسانى فى غاية الدقة .

وقال الدكتور كيث مور : فى الوقت الذى أشار فيه القرآن الكريم الى مراحل تطور الجنين لم يكن احد فى أوربا يعرف شيئا عن هذه المراحل حتى القرن العشرين : قال تعالى :

﴿ يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ﴾ .

أنه من المعقول اعتبار الظلمات الثلاث هى :

( جدار بطن الام — جــدار الرحم — الغشــاء الذى يحيط بالجنين ) والآيات اعطت أسماء معينة للمراحل التى يمر بها الجنين فى نموه ( النطفة — العلقة — المضغــة ) .

واقترح استخدام الالفاظ القرآنية فى وصف مراحل الجنين وقال دكتور مارشال جونسون ( ان الالفاظ القرآنية لوصف نمو الجنين هى أدق وأوفى المصطلحات التى تنسجم مع النمو فى الرحم وقال : أن القرآن الكريم يسمى المكان الذى تستقر فيه النطفة فى الرحم بالقرار المكين — أى مكان الاستقرار ) هذا الوصف الجامع فالرحم يكون سنادا ومستقرا للجنين لمدة تسعة أشهر بالاضافة الى أنه يوفر للجنين الغذاء ايضا وللرحم عضلات وأربطة تحمى الجنين وتتسع مع زيادة نموه حتى يكون مأوى مناسبا ومريحا له .

ويحاط الجنين بوسائل عدة ، ووسائل أخرى تضمن له المكان المناسب للاستقرار والنمو .

ويقول جون سيمبسون : ان النطفة حين تتحول الى علقة يصبح الجنين شيئا اشبه بدورة العلقة التى تعيش فى مياة البرك كما أنه يعلق بجــدار الرحم وهذا وصف دقيق للقرآن حيث لم يتمكن العلم الحديث من معرفة شكل العلقة الا مؤخرا ، اما المضغة فان الجنين يكون خلالها مثل تطعة صغيرة من اللحم تم مضغها بحيث تظهر عليها آثار الاسنان ولا شك أن هذا اعجــاز علمى باهر للقرآن الكريم وخاصة وان حجم المضغة صغير جدا ودقيق للغاية.

وقد استخدم **القرآن حرف العطف** ( الفاء ) اشارة الى التطور السريع فى تحول المضغة الى **عظام ونمو اللحم** عقب ذلك مباشرة حول العظام ولكن القرآن استخدم حرف **العطف ( ثم )** الذى يتضمن الاشارة الى التأخر فى تحول الجنين من طور اللحم **الى طور النشأة ( ثم انشأناه خلقا آخر )** وهذا صحيح علميا وفى منتهى الدقة **ويتسجم تماما مع** الملاحظات العلمية التى تم اكتشافها مؤخرا فى علم الاجنة : **أن استعمال القرآن** لكلمة ( انشأناه ) تدل على بلوغ الجنين فى هذه المرحلة **من مراحل النمو** شكل الانسان بعد أن كان كدورة العلقة أو قطعة اللحم الموضوعة » .

• • •

( ٦ )

# مكانة الفكر والمعرفة فى القرآن الكريم

قدم القرآن الكريم منهجا وافيا حول الفكر والعلم والمعرفة فقد كانت دعوته قائمة اساسا على النظر الى ما فى السموات والأرض والتعرف الى قدرة الله تبارك وتعالى وعظمته فى الخلق وفى الافاق وكيف يبدأ الخلق ثم يعيده ، وكيف بدأ الخلق ثم الله ( تبارك وتعالى ) ينشىء النشأة الاخرة .

ودعا القرآن الناس كافة دون جماعة معينة الى التأمل فى خلق السموات والارض وخلق الناس واستعمال الحواس والعقل والتفكير والى اهتمام كبيرا بالحساب والهندسة والفلك والتجارة والحساب والانتقال من النظر الى التجربة وتقديم البرهان ومن هنا نجد هذه الالفاظ المتصلة بالعلم والمعرفة قد وردت فى مواضع كثيرة .

رأى وردت ٣٣٢ مرة .

نظر وردت ٩٩ مرة .

عرف وردت ٣٤ مرة .

علم وردت ٨٠٣٠ مرة .

ذكر وردت ٢٤٧ مرة .

فقه وردت ٢٠ مرة .

عقل وردت ٤٨ مرة .

فكر وردت ١٩ مرة .

الالباب وردت ١٦ مرة .

الحكم وردت ١٩ مرة .

الحجاج وردت ١٩ مرة .

الجدل وردت ٢٩ مرة .

● ● ●

ويؤكد القرآن الكريم ان لهذه الحياة الدنيا سننا محكمة وقوانين ثابتة ويشير ( بمقدار ما يفهم الانسان الذى سمع القرآن لأول مرة ) الى بعض القوانين والسنن ويدعوهم الى اكتشافها فى انفسهم وفى أجسادهم وعواطفهم ومن حولهم من الابل والانعام وفى النبـــاتات كيف تتجرد وتكتسى وتموت فى الشتاء ثم تحيا وفى الأرض وما فيها وفى السموات وما يرى منها .

ويقرر أن كل شىء فى الكون محدد المقـــادير قائم على نسب محـــددة وعلاقات ثابتة وا ن الذى عرفوه من العلم بها قليل وانه سيخلق مالا تعلمون .

**كشـــوف القـــرآن العلميـــة :**

١ — التغيير فى التركيب الكيميائى بل والمعنوى : وهو ناشىء عن تخالف نسبة المقـــادير . **( وكل شىء عنده بمقدار )** .

٢ — طريقة امساك الظل اى التصوير الشمسى والقرآن يقول :

**( ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليـــلا )** .

٣ — **وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم .**

افضلية البقول والقمح والذرة على اللحوم والاسماك .

٤ — **( انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب )**

فيه قاعدة هندسية وهى ان شكل المثلث لا ظل له .

**تعريف المعجزة :** فى علم الاصطلاحات الاســـلامية :

تعرف المعجزة بأنها حقيقة تخالف القواعد العامة وتعارض المجرى العادى للحوادث وسببها فوق ادراك البشر وهى حقيقـــة تتحدى كل من يرتاب فيها فالقرآن معجزة تتحـــدى جميع الكائنـــات المنظـــورة منها وغير المنظـــورة .

**(( وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله )) .**

**معجزات الأنبياء ومعجزة القرآن :**

جاءت معجزات الأنبياء موقوته لجماعة معينة ولفترة من الزمن ومن شـــأن المعجزة المادية ان تفعل فعلها فى الذين يشهدونها ثم يضعف أثرها تدريجيا مع الزمن لهذا انكر الماديون كل ما كان لعيسى عليه السـلام من معجزات .

أما القرآن فكان معجزة عقلية وليس معجزة مادية . وهى المعجـــزة الوحيدة التى جاءت مقرونة بالتحدى فقد طالب النبى منكريه أن يأتوا بمثلهـــا ان استطاعوا .

ونحن نؤمن بمعجزات الرسل كلها لانها جاءت فى القرآن أما معجـــزة محمد صلى الله عليه وسلم فهى باقية وخالدة حتى يرث الله الأرض ومن عليها ومن حق الذين يؤمنون برسالة الاســلام ان يطلعوا على معجزته حتى يكون ايمانهم عن طريق الاقتنـــاع وقد تكفل الحق تبارك وتعالى بحفظ القـــرآن وقد ســـأل العرب الرسول ان يأتيهم بالمعجزات فرد عليهم الحق تبـــارك وتعـــالى بقوله :

**( وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا ) .**

وكانت المعجزات المادية اضافة وارهـــابا وكانت البشرية قد بلغت بالقرآن رشدها فانتقلت المعجزة المادية الى المعجزة العقلية تمهيدا لعصر العـــلم .

● ● ●

# الباب الخامس

# القرآن والفكر الإسلامى

١ ـ القرآن حجر الاساس فى بناء الفكر الاسلامى والثقافة العربية .

٢ ـ تفسير القــرآن الكريم .

٣ ـ القرآن والكتب المقــدسة .

٤ ـ مســألة خلق القــرآن .

٥ ـ ترجمة معــانى القــرآن .

٦ ـ القــرآن والمؤامرة عليــه .

٧ ـ اعترافة عالمى بالقرآن الكريم .

٨ ـ الحملة على القــرآن الكريم .

( ١ )

# القرآن والفكر الاسلامى

لا يمكن تصور ( الفكر العربى الاسلامى ) منفصلا عن أثر القرآن فيه ، فقد القى ( القرآن ) الى الامة العربية والانسانية « حصيلة ضخمة » من القيم والمفاهيم المتكاملة الشاملة التى ترسم « منهج حياة » للانسان والمجتمع .. هذه الحصيلة تختلف فى جوهرها واسلوبها وطريقة عرضها عما كانت عليه البشرية من قبل ، وبذلك وضع حدا فاصلا بين عصر القرآن وعصر ما قبل القرآن .

ومن حق أن نقول أن مفاهيم القرآن وقيمه يمكن التماسها فى الكتب المنزلة والاديان السابقة ، بوصفها جميعها منزلة من عند الله ، ولكنها تتمثل فى القرآن فى صورة جديدة وتركيب جديد يتفق مع ما بلغته البشرية من نضج وقدرة على تقبل رسالة كاملة للبشرية كلها ، بعد أن كانت الكتب والاديان ترسل لامم معينة أو شعوب خاصة .

فالقرآن — وهو مصدر الفكر الاسلامى والثقافة العربية تتمثل فيه ابرز قوانين الفكر الاسلامى وهو « التكامل والوسطية والحركة » .

وفى القرآن يتمثل ترابط الجوانب الروحية والمادية والاجتماعية للفرد والمجتمع والنشاط الانسانى ، وارتباط عمل الانسان الدنيوى والاخروى ، وتكامل العقل والقلب وشمول العقيدة والشريعة والاخلاق دون انفصال .

فالقرآن يرفض تقسيم الحياة الانسانية الى قسمين : روحى ، ومادى .

كما يؤكد تأكيدا جازما على أهمية العقل ويفتح به الطريق الى العلم ويقرر أن العقل يوصل الى الايمان . فالنظرة الاسلامية للحياة والمجتمع تقوم أساسا على « وحدة كاملة لا يمكن تجزئتها ، بمعنى أن مشاكل الجسد والعقل ومشاكل الجنس والاقتصاد ومشاكل الصلاح الفردى ، والعدالة الاجتماعية هى مشاكل مرتبطة ارتباطا وثيقا مع مساعى الانسان وآماله فى حياة رضية بعد الموت » .

فالحجر الاساسى الذى يستمده الفكر الاسلامى والثقافة العربية من القرآن الكريم هو تكامل الجوانب الروحية والعملية معا .

ولا شــك كان لهذه الحصيلة الثرة التى ألقــاها « القــرآن » الى البشرية أثرها فى تلك الحركة الضخمة التى استمرت طويلا وما زالت مستمرة فى مجال مناقشة القضايا الكبرى التى عرضها القرآن ، فقد أثارت عديداً من المعارك والمساجلات بين مختلف العقليات وعلى ضوء ثقافات الامم وفلسفاتها القديمة ، وما تزال هذه القضايا تثار من جديد كلما جدت للبشرية ثقــافات وحضارات وفلسفات .

وقد جرى الحوار طويلا بين قيم القرآن ومفاهيمــه وبين مضــامين الفلسفات والاديان القديمة ، حتى انصهرت تلك القيم القديمة فى اطار الاسلام ويمكن القول أن القيم الاســـاسية للفكر الاسلامى والثقافة العربية قد تكاملت بتمام نزول القرآن وفى حياة الرسول نفسه ، وأن هذه القيم ظلت كما قدمها « القرآن » موضع التحدى فى مواجهة الشعوبيـــة وغزوات الفكر ، وكان المصلحون ومصححوا المفــاهيم من عمالقة الفكر الاسلامى على طول العصور يظهرون ليكشفوا عن الزيوف والقشور التى حاولت أن تطغى على جــوهر مفهوم الفكر الاسلامى الاصيل المستمد من القرآن ، وفى نفس الوقت كان القرآن نفسه قد منح الفكر الاسلامى الفرصة للالتقاء والانفتاح على الفكر البشرى والثقافات الانسانية يأخذ منها ويعطيها ويقبل منها ويترك ، وفق مقوماته الاساسية وهى : التوحيد والعــدل والاخلاق والانسانية والحرية والاخــاء .

ومن أبرز مظاهر القرآن أنه كل تستحيل تجزئته . يتضمن قانونا أخلاقيا شاملا ، تترابط آياته فى شرح مفــاهيم الآيات الاخــرى ، ومن هنــا أكد الباحثون أن معانيه لا تدرك الا اذا ربطنا بين عباراته فى مختلف السور لشرح ما تنطوى عليه من أفكار وقضايا ، مخضعين الخاص للعام والعرضى للجوهرى دائمــا فالقرآن هو خير ما يفسر القرآن فضلا عن أنه لا يجوز النظر فى أى جزء منه بالمنظار التاريخى المجرد فان كل الاشارات الواردة فى القرآن لظروف وأحداث تاريخية ســواء وقعت فى عهد الرسول أو فى العصور القديمة يجب أن ينظر اليها على أنها تصوير للحالات الانسانية وليس على أنها غايات فى حد نفسهــا .

ومن هنا فان الحادثة التاريخية التى أثبتها القرآن لا يجوز أن تطغى

على « المغزى » الكامن فى تلك الآيات ولا على ارتباطها الداخلى بالقيم الاخلاقية التى يحرص القرآن فى مجموعه على تركيزها فى النفوس .

يقول ليوبولد فايس ( محمد أسد ) انه لا يعرف كتابا أتيح له ان يقراه مثل هذا العدد الكبير من الناس بنفس القوة وبنفس الاحترام ولا كتاب آخر أتيح له أن يقدم لمثل هذا العدد من الناس جوابا شاملا يماثل جواب القرآن عن السؤال القديم : ماذا ينبغى ان يفعل فى سبيل الحياة الطيبة فى الدنيا والاخـــرة » .

والحق أن القرآن رسم منهجا للحياة الانسانية « فردا ومجتمعا » ما يزال فريدا وقادرا على اسعاد البشرية ومنحها اكمل أيديولوجية واكثرها ملائمـــة للطبيعة الانسانية ، حيث تتمثل أصول القرآن فى ثلاثة اصول كبرى :
عقـــائد — شرائع — اخـــلاق .

وقد رسم القرآن منهجا موسعا ، فقد جاء بالاسس التى تستنبط منها القواعد الكلية للنظم جميعا ، ومن هنا كانت صلاحيته لتقبل مختلف تطورات الازمان واختلافات البيئات ، وقدرته الدائمة على مواجهة معضلات المجتمعات والحضارات البشرية ، بحيث تستمد منه أجوبة وحلولا تمنح الحياة الانسانية القوة والحيوية على الانطـــلاق فى سبيل القوة والاخوة والحرية والسعادة .

وفى هذا يقول جب « ان عظمة القرآن الفريدة لا تتجلى فى شىء بقـــدر ما تتجلى فى الحقيقة الهامة وهى أننا كلما اتسعت معلوماتنا عن العـــالم وزادت تجاربنا التاريخية ، كلما تكشفت لنا معان جديدة للقرآن الكريم لم يكن لنا بهـــا عهد من قبل » .

ولقد واجه القرآن أصعب مشكلات الفكر الانسانى وحدد موقفه منهـــا تحديدا كاملا وبذلك اراح العقل الاســـلامى من الدوران فى دائرة مفرغة غير مأمونة النتائج . وذلك هو موقفه من مسائل ما بعد الطبيعة فقد حدد الموقف منها على أساس أن يجرى البحث فى الكون وآفاقه ، دون البحث فى الجوهر الذى لا يصل الى أى حقيقة ، اى ان البحث فى الخصائص ولا يبحث مطلقا فى الماهية « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله » .

وقد كانت هذه القضية المزعجة التى عدت فى بعض العصور معضلة المعضـــلات ، بينمـــا وضع القرآن القـــاعدة فيها على أساس أن العقـــل

الانســـانى بطبيعة تكوينه لا يستطيع الوصول الى كنة الحقيقة فى هذا الامر ، وان امكن ذلك عن طريق « البصيرة » وتلك مزية القرآن فى تكامله ووسطيته بين العقل والقلب والمادة والروح يقول الدكتور النشار « ان القرآن قد الهم المسلمين « ميتافيزيقاهم » ولم يرد شيئا وراءها وحــدد لهم دائرة البحث الكلامى ودعا الى العلم التجريبى — وهكذا اطلق القرآن العقل الانسانى فى حرية كاملة للنظر فى الكون بما حقق قيام المنهج العلمى التجريبى على أيـــد المسلمين للقرآن فى مجال رسم منهج مشروع كامل لبناء الفرد الانســـانى والمجتمع كما اتيحت مميزات لم تتوفر لغيره من الكتب السماوية :

أولا : أن النص القرآنى وصل اليها كاملا خاليا من التحريف والتغيير سالما من التناقض الذى اصاب ما سبق بعض الكتب المقدسة ، من اختلاط بين النصوص الاصيلة وكلام البشر .

**ثانيا** : ان القرآن قد جاء مستقـــلا بنفسه ، ليس فى حاجة الى الرجوع الى الكتب السابقة عليه ، وجاءت نصوصه قاطعة واضحة بعيدة عن الشك

**ثالثا** : انه ما زال يقرأ فى نفس اللغة التى نزل بها ، حيث لا يوجـــد دين حملته لغته التى انزل بها مدى أربعة عشر قرنا ثم بقيت محافظة على قوتها وجدتها ، وحيث لا تقرأ ســـائر الاديان كتبها فى لغتها الاصلية . وكان لهذا أثره البعيد فى حماية اللغة العربية من الفناء فضلا عن طابعه القوى فى الادب العربى وأداب اللغات التى اتصلت به كالفارسية والتركية والاوردية وغيرها .

وقد اعتقد المسلمون أن اللغة العربية لغة القرآن جزء من الاسلام .

وحيث هى لغة علم وثقافة فهى ايضا لغة الفكر الاسلامى ، بحسبانها ترجمان وحى الله ومعجزة الرسول ولســـان دعوته .

**رابعا** : ظلّ « القرآن » طوال التاريخ الاسلامى ومن خلال حركة الفكر الاســـلامى هو الحكم والمرجع فى مختلف القضايا ، وهو المصدر الاساسى لكل فكرة ودعوة ومذهب ، استمد منه المعتزلة واهل البيت والخوارج والفلاسفة والصـــوفية والاخلاقيـــون والتـــربيون والعلمـــاء التجريبيـــون والمشرعون والعقائديون .

وكانت اى دعوة او مذهب ينحرف عن طريقة ، او يجمد ، او يضطرب

كان القرآن لا يلبث أن يحقق اثرا مسددا الخطى ، مزيلا للانحراف او الجمود ، هاديا الى الوسطية والتكامل والحركة .

**خامسا :** طابع القرآن فى التاريخ متميز فريد ، فهو يتناول الحوادث تناولا استقلاليا علميا ، حيث لا يستهدف الا المغزى ، والتوجيه فى مجال الهدف الانسانى الذى يرسمه القرآن جملة . وغاية القرآن وهدفه — وهو ما زال حيا يهدى الانسانية وسيظل كذلك — هو الحاضر لا الماضى ، حاضر كل انسان ومجتمع . فليس التصوير التاريخى غاية فى ذاته ولكنه هدف مقصود لمنح المسلمين قوة جديدة على مواجهة الحياة .

**سادسا :** خاطب القرآن العقل والقلب معا ، وخاطب النوع الانسانى بأسره ، ووضع قانون الارتقاء قبل العلم بألف عام .

**سابعا :** حوى القرآن ( فى مجال التشريع والعقائد والاخلاق وهيئة الاجتماع ) على اصول اولية وقوانين كلية تاركا الجزئيات لاجتهاد الناس حسب الازمنة والامكنة . واقر مبدأ العدل المطلق والمساواة والتسامح الدينى وحرية الاعتقاد . ومن هنا تأتى صلاحية القرآن لكل زمان ومكان لاتساعها وشمولها واتاحتها الفرصة لتحقيق حاجة العصر وظروفه حيث لا يصطنع القرآن فى التشريع اساليب الفقه ولا تفريعات القانون وانما يسوق الاحكام فى معارض الدعوة والهداية . .

**ثامنا :** تنوع مناهج اسلوب القرآن تبعا لاختلاف طبائع المخاطبين به من قصص الى استدلال على حقائق الامور بالبراهين النظرية وتوجيه النظر الى ملكوت السموات والارض .

ومن هنا استطاع القرآن أن يحقق أمرين هامين :

١ — القضاء على العصبيات وشجب التقليد والجمود والتعصب للوراثة .

٢ — قدرة المنهج القرآنى على التجدد مع الدنيا جيلا بعد جيل .

اشتمل القرآن على ١١٤ سورة ضمت مفهوما متكاملا لمنهج شامل للانسان والمجتمع فى مجال الحياة الدنيا والاخرة وقد تمثل هذا المنهج فى عدة فنون « قصص — اوامر ونواهى — شرائع للمجتمع — نظم اخلاقية للفرد — اجابات على اسئلة » .

هى فى مجموعها تمثل أسسا ثلاث :

١ — « عقائد » وما يتعلق بها من أصول الدين قوامها : الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنـــار .

٢ — « شرائع » وما يتعلق بأعمال الجوارح من الاوامر والنواهى وهى : عبـــادات ومعـــاملات :

١ — العبادات وما يتعلق بصلة العبد بربه .

٢ — المعاملات وما يتعلق بصلة العباد والافراد بعضهم ببعض وهى تتمثل فى عدة نقاط أساسية :

* تأمين الدعوة : « الجهاد فى سبيل الله » .

* تكوين الاسرة وتنظيم أمورها ورعاية شئونها ، ومالها من الحقوق والواجبات والالتزامات كأحوال الزواج والطـــلاق والانســـاب والمواريث والوصية والاسترقاق .

* أصل المعاملات بين الناس من بيع واجارة ورهن .

* العقوبات على الجرائم وما يتعلق بالقصاص .

٣ — الفضـــائل الخلقية والاداب الاجتمـــاعية التى بها ترقى النفوس وتسمو الارواح .

• • •

( ٢ )

**ماذا يمثل القرآن الكريم بالنسبة للاسلام والفكر الاسلامى ؟**

انما يمثل القرآن ذلك ( المنهج الربانى ) الذى يرسم للحياة الانسانية أسمى أسلوب وأنقى طريق : طريق الاصالة الذى أقامه الله تبـــارك وتعالى بالحق هدى ورحمة . ولقد كانت أهمية القرآن فى نظر أهله وخطره فى نظر خصومه أنه يحمل قيم ثلاث :

**الأولى :** أنه آخر الكتب السماوية .

**الثانية :** أنه ناسخ لهذه الكتب وقائم بهـــا .

**الثالثة :** أنه النص الموثق الذى لم يصبه تحريف أو تغيير

ومن هنا كانت تلك الحملة الضخمة عليه ومحاولة اثارة الشبهات حوله باعتباره المصدر الاساسى للفكر الاسلامى والادب العربى وعمدة أعمدة اللغة العربية الفصحى ولقد وقف كثيرون من دعاة الاستعمار فأشاروا الى مدى الخطر الذى يواجه نفوذهم نتيجة لبقاء القرآن وفهمه وتطبيقه ، ولذلك فقد جرت المحاولة لابعاده عن مجال الحياة والفكر واخراجه من مناهج التربية والتعليم وعزلة عن القانون والمجتمع .

ولقد جرى ذلك على نحو متصل منذ سقوط بلاد العالم الاسلامى تحت نفوذ الاحتلال الاجنبى ولم ثم فقد بعد المسلمون كثيرا عن فهم القرآن فهما حقيقيا ووضعه موضع التنفيذ فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والقانون والتربية .

غير أن حركة اليقظة قد جرت شوطا طويلا فى سبيل تصحيح مفهوم القرآن فى فكر المسلمين والعرب وفى ثقافتهم .

غير أن الغزو الثقافى نفسه لم يتوقف عن حملاته ، وان كان قد غير أساليبه ومناهجه فقد تحولت الحملة على القرآن الى الدعوة الى تحرير القرآن من الضوابط التى حفظته خمسة عشر قرنا من أخطار التحريف والتزييف مما يجعلنا نتابع فى يقظة تلك المحاولات والمؤامرات للقضاء عليها أولا بأول .

ولقد كان الهدف الاكبر من نزول القرآن الكريم هو اطلاق العقل من أساره وتحرير النفوس البشرية من التبعية ولم يدع القرآن وسيلة لتحرير الفكر الانسانى الا تذرع بها ودعا الناس الى البحث عن علل ما تدركه حواسهم من الاحداث والكائنات ليزيد من نشاط العقل وليقيم الايمان والتدين على أساس راسخ من اليقين .

وكان أول عمل القرآن هو بناء تلك المجموعة الاولى التى ستتولى نشر الاسلام وتوسيع آفاقه ، وبنائها على التوحيد الخالص ، يقول : ( ل . ا . سيديو ) لقد كان من شأن مبدأ التوحيد الذى نشر بين قوم وثنيين أن يضرم الحمية فى النفس المتحمسة العالية واليه يرجع سبب سموه على جميع الاديان فليس فى القدر الاسلامى ما يميت شجاعة المسلم أو يؤدى الى فتور همته ، فهذا القدر مرادف لسنة الكون التى تهيمن على جميع الناس فالمسلم يعتقد أن الله خالق كل شىء قادر على بعث كل شىء .

كذلك كان القرآن مصدر كثير من العلوم ومرجعها ، فقد توالدت من القرآن الوان من العلوم والمعــارف والثقافات وتوالت النظرات الفلسفية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية فما من علم الا وقد نظر اهله فى القــرآن وأخذوا منه مادة علمهم او مادة الحياة له وقد أشـــار القرآن الى انشـــاء العلوم العقلية والنقلية والتى تخدمها .

**« سنريهم آياتنـــا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » .**
وقد وردت كلمة العلم فى القرآن ٧٧٨ مرة .

وكانت الدعوة الى التفقه والنظر والتذكر والتعقل أكثر الالفـــاظ ورودا فى القرآن فكانت من أهم الأسس التى اقام عليها القرآن رسالته العمرانية ودعوته الاجتماعية ومحاربة الشرك والجهل .

وبهدى القرآن انتقلت العقلية العربية الى عقلية تقوم على التـــأمل والتفكير والتدبر فقد وضح القرآن فى اذهانهم معنى النبوة والرسالة والغيب ومهمة الرسل ليكونوا مبشرين ودعاة هداية ورشـــاد كما غير القرآن من مفاهيم الالوهية لديهم فبعد أن كان دينهم يقوم على تعدد الالهة وعبـــادة الاوثان صاروا يعبدون الها واحدا هو رب العالمين وخالق كل شىء .

كما عرفهم القرآن أن بعد الموت بعثا ونشورا وان وراء هذه الحيـــاة الدنيا حياة أخرى ووراء هذا العالم المادى عالما آخر .

كما أقام القرآن مجتمعهم على الاخلاق والتعاون والايثار والعمل الصالح والقناعة والعفة وتجنب الكبر والعفو عند المقدرة .

( ٣ )

تحدث الدكتور محمد المبـــارك عن القرآن كمصدر للثقافة والفكر الاسلامى ومنطلق العلوم الانسانية فدعا الى اتخاذ القرآن مصدرا للثقافة والفكر لتكوين مفاهيمنا وارادتنا عن الوجود والكون والانسان والحياة وأساسا ومنطلقا للعلوم الانسانية ومصدرا لمقياس الحق والخير والجمال فقد كنا بعيدين عنه فى العصر الحديث وقد اقصيناه من ميـــادين العلوم الانسانية : من الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتمـــاع والتـــاريخ والحقوق ، اللهم الا فى نسبة محدودة من المواد الحقوقية واتخذنا من الثقافة الغربية مصدرا لمفاهيمنا وأفكارنا فى هذه المجـــالات من البحث والتأليف والتدريس .

أن احياء المجتمعات الاسلامية ما تزال منذ قرنين أو أكثر ترسف فكريا وثقافيا فى اجواء الفكر الغربى وفى فلسفة ( ديكارت وهيوم وكانت وهيجل وماركس ودراون ونيشه وفرويد ودوركايم وأمثالهم من زعمــاء الفكر فى الغــرب .

ومن هؤلاء المثقفين المسلمين فى مختلف البــلاد الاســلامية الذين تربوا فى هذه الاجواء كانوا مادة الفكر من اساتذة وباحثين ومفكرين .

ويمكننا أن نرد كل مفكر الى أصوله الغربية ونسبه أو مذهبه الفكرى ولو رددناه الى هذه الاصول الفكرية لذهب عنا بريقه وفقد ابداعه ، ولوجدناه تلميذا مقلدا على تفــاوت بين هؤلاء فى النجاح فى هذا التقليد وفى احقابه وفى الاخذ من اتيه المذاهب الفكرية مبــاشرة أو من تلاميذهم واتبــاعهم على اختــلاف الاتجاهات الفكرية التى يأخذون منها .

ولقد آن الاوان للقيــام بعملية جذرية لها موجباتها ومقتضياتها لاتخاذ القرآن مصدرا عاما وشــاملا للثقــافة والفكر فى جميع ميادينها واساسا ومنطلقا للعلوم الانسانية بوجه خاص بالنسبة الينا نحن المسلمين اولا ثم بالنسبة الى الفكر الانســانى عامة .

**١ — الموجبات العقلية والتاريخية التى تسمح لنا بذلك :**

ان الفكر الغربى لا يمثل بجميع جوانبه ومضمونه الحقيقة المطلقة النهائية ولا يمثل ما انتهت اليه الانسانية كلها بجميع شعوبها والوانها من الحضارة والقيم خلافا لما يعتقده ويدعو اليه دعاة الفكر الغربى من العرب المسلمين منهم أمثال لطفى السيد وطه حسين وقسطنطين رزيق وسلامة موسى .

أن الفكر الغربى يمثل مرحلة تاريخية معينة وهو وليد ظروفه التاريخية والاجتماعية الخاصة ، بل هو مركب خاص ومزيج متفاعل من نوع معين كونه رواد الفلسفة اليونانية والحضارة الرومانية والديانة النصرانية كما صاغها بولس ومن بعده والعلوم والفلسفة المأخوذين من الحضارة الاسلامية , ويرى كثير من المفكرين الغربيين اليوم : ان الغرب حينمــا يتحدث عن الانســان والحضارة الانسانية وحقوق الانســان انما يقوم فى ذهنه الانسان الغربى والحضارة الغربية وحقوق الانسان الغربى .

ولقد أخذ بعض الغربيين يدرك بوضوح ما فى الغرب من نزعة مركزية ذاتية تسرى فى أحــاديثهم ونظرياتهم الحقــوقية والسياسية والاجتمــاعية ويلبسونها الثوب الانسانى العــام وليست هى كذلك .

ذلك أن كثيرا من النظريات التى صاغها مفكروهم هى نتيجة رد فعل في ظرف معين ولا يمثل حقيقة موضوعية مطلقة .

فنظريات ماركس هى رد فعل ضد الرأسمالية .

ونظريات نيتشه وفرويد وآخرين منهم رد فعل ضد المسيحية التى خالفت الفطرة وعارضت العقل وخالفت استبداد الملوك والاغنياء .

لهذا كله حصل تراجع عن كثير من الافكار والنظريات التى كانت أشبه بالمسلمات فالحاد فولتير كلام أولى سطحى والحاد ماركس حالة عارضة تراجع عنها وانتقدها ماركسيون سابقون .

ونظرية أوجست كونت المعروفة بالحالات الثلاث غدت مجرد تخيل وتظريات نشوء الاديان نظريات شخصية معارضة من ماك مولر الى دوركايم ومن سينسر الى تيلور ولا تقوم لها حجة ولا برهان .

والمذهب الوصفى الذى لا يقر الا بالحس والتجربة مصدرا يقينيا للمعرفة والذى لا يزال يطنطن به اساتذة الفلسفة عندنا أصبح غير معتمد حتى في العلوم .

لقد أدرك الغربيون أنفسهم محدودية الفكر الغربى ونسبيته ومرحليته وامكان تجاوزه بل البدء بتجاوزه فعلا ، كما أدركوا ما فيه من نقص واخطاء وما وقع فيه بسبب ذلك من أزمات سواء فى مجالات الفكر أو في مجالات النظم مما يحمل على اعادة النظر جذريا فى النظام الفكرى كله تصحيحا أو تبديلا .

وقد تجاوز بعض المفكرين الغربيين مرحلة النقد للفكر الغربى وادراك أخطاءه وجوانب نقصه والازمات التى آل اليها نتيجة لذلك الى الانفتاح على الاسلام والبحث عن حل فى الاسلام وتلمس النجاه عن هذا الطريق .

ومن هنا كان الاتجاه الى النظر في القرآن من جديد نظرة مختلفة عن نظرة الاستشراق القديمة .

يقول أحدهم : أن التعامل مع الاسلام لابد أن يفسح لنا المجال للتجابه بوضوح أكثر مخاطر هذا الزمن وفى التعريف بالقرآن ويجد فيه المرء اسسا يمكن أن تقام عليها نظام متين للعدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتشريع والحقوق والعلاقات الدولية » .

(٢)

## تفسير القرآن الكريم

أول من فسر القرآن هو النبى صلى الله عليه وسـلم .

قال ابن تيمية : انه يجب أن تعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم الفـاظه .

قال تعالى : ( **لتبين للناس ما نزل اليهم** ) .

وكان تفسير النبى صلى الله عليه وسلم بيانا لما غمض وتوضيحا لما خفى وهو الخطوة الاولى لتفسير القرآن فان كتاب الله ابهم اشياء وجاءت السنة تفسرها .

فالسنة هى التى حوت عدد الصلوات وعدد الركعات والسجدات ونصاب الزكاة . ولم يفسر الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) القرآن كله حتى لا يغلق باب التفسير وبذلك يتعطل الاجتهـاد ويتجمد الفكر ولكن الرسول تنـاول فى تفسيره المسـائل التى تحتاج الى بيان فى العقيدة أو العبادة أو المعـاملة أو السـلوك وتركه النبى للعرب يفهمونه بلغتهم وعلى مقتضى أساليبهم فى فن القول .

واذا كان القرآن قد نزل بلهجة قريش فانه تضمن عديدا من تعـابير اللهجات العربية الأخرى ، نزل على سبعة أحرف ( لغات ) ليسر للعـرب جميعا الانتفـاع به والعرب لا تستوى فى المعرفة بجميع من فى القرآن من الغريب والمتشابه بدليل قوله تعالى .

**( وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنـا به كل من عنـد ربنـا )** .

واذا كان القرآن الكريم قد نزل حسب الاحداث على مدى ثلاث وعشرين سنة فانه ما اختلف أوله عن آخره ، ولا أمكن أن يقع فيه تناقض أو تفاوت ولا اهتزت طبقة البلاغة طول مدة نزوله وبقى على اعجازه وصدقه . . .

حدث هذا بينما نجد العهد القديم مشحونا بما لايمكن نسبته الى أنبياء الله الكرام

الذين جاءوا هادين للناس يحملون نفوسا اطهر من ماء السماء وقلوبا عامرة بالايمان فلا يجوز أن ينسب لهم الاثم أو الخطيئة .

ومصادر تفسير القرآن هى السنة وتفسير السلف الصالح .

وليست اللغة وحدها ( مفرداتها وتراكيبها ) مصدر تفسير القرآن بل ان معرفة عادات العرب وبيئتهم التى كانوا يعيشون فيها ضرورية لفهم الكثير من آيات القرآن ( عاداتهم واحكامهم ) قبل الاسلام مما اقره القرآن منها وما ابطله ونهى عنه .

وقد كان للعرب عناية بمكارم الاخلاق واتصاف بحسن الشيم فصححت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه وابطلت ما هو باطل وكان للعرب فى الجاهلية احكام أقرها الاسلام وكون القرآن معجزا لا يخرجه عن كونه عربيا جاريا على أساليب كلام العرب ميسر للفهم .

وقد اكد القرآن رسالة الرسول الى العرب أولا والى العالمين عامة فى نفس الوقت .

**و﴿نذر عشيرتك الاقربين﴾ .**

**﴿ ولتنذر ام القرى ومن حولها ﴾ .**

**﴿ هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم ﴾ .**

**﴿ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ .**

وبذلك حدد مسئولية العرب فى التبليغ — الاميون العرب الذين حملهم القرآن مسئولية حمل رسالته الى الناس .

**﴿ وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ .**

● ● ●

وقد اجمع العلماء على انه يجب لمن يعمل فى التفسير أن يكون مستجمعا لخصائص عقلية معينة وخصائص خلقية معينة ولا يتعرض للتفسير الا فقيه فى اللغة عالم فى السيرة مطلع على السنة النبوية عارفا بتاريخ نزول الايات وتواريخ صدور السنن على صاحبها الصلاة والسلام وان يكون مطلعا على أصول الفقه ، ليعرف الخاص والعام والمجمل والمفصل والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه .

وأن يكون رجلا يطلب وجــه ربه ويريد خدمة الأمة فهو ناصح لهــا لا يشترى بدين الله تبارك وتعالى مصلحة عاجلة ولا وجاهة عند حــاكم ولا زلفى عند الجماهير ولما كانت اللغة العربية هى اللسان الرسمى للوحى الالهى وانها وعاء هذا الدين وانه ما يفهم القرآن الا بها فلابد من معــرفة مفردات الكلمات عند العرب وما تعنى وما هى المعــانى التى وضعت بازائها وبمعرفة أسرار التراكيب ( المجاز والحقيقة ) ( الاستعارة والتشبيه ) والقوالب البيانية التى صبت فيها المعانى حتى يمكن أن يكون التفسير وفقا لما عهــد الناس من لغة صاحب الرسـالة .

وقد تأكد أنه لا يمكن أن يعزل القرآن الكريم عن اللغة ولا يفهم بعيدا عنها ومن ثم فان كل محاولة لتفسير القرآن بعيدا عن اللغة العربية أو عن تراكيبها ومفاهيمها ومفرداتها وضوابط الجمل فيها فهى محــاولة مردودة ولا تقبل باجماع المسلمين .

نقول هذا فى مواجهة تلك المحاولات الخطيرة التى يحاول أن تخــرج القرآن عن قواعده على النحو الذى عرف عن الباطنية والقاديانية وغيرهم والذين يحملون القرآن معنى غير صحيح كى يثبتوا مفاهيم مسمومة أو زائفة تتنافى مع ختم النبوة ولابد من الاشــارة الى ما ذهب اليه ابن عربى حين تجاهل مفاهيم اللغة وحقــائق التــاريخ واجماع العلمــاء وشق طريقــا متعسفة كى يجمع كلاما للهنود واليونان وخرافات باسم التصوف .

**والقرآن لا يقر مفاهيم وحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد**

وفى ضوئه يتضح أن أحاديث العقل كلها موضوعة وكل ما يقال من أن القرآن له ظاهر وباطن دعاوى مردودة ومضللة وهو شىء لم يعرفه السلف الصالح .

وكل ما يتصل بهذه المقولات من تفسيرات لا يعتد بها .

وقد تسربت الى بعض التفاسير كثير من الدخل ونسبت أباطيل كثيرة الى علماء السنة والتفسير والتصوف على النحو الذى وجد فى تفسير الخازن من اسرائيليات لا حصر لها وخاصة ما ورد فى تفسير ابن عربى وما حفل به ( فصوص الحكم ) و ( الفتوحات المكية ) له .

● ● ●

وقد تعددت أنواع التفسير حسب العصور والفرق فظهر التفسير العقلى من خلال جماعة المعتزلة والتفسير الرمزى من خلال جماعات الصوفية هذا الى :

التفسير البلاغى : الزمخشرى وابن السعود .

التفسير الفقهى : القرطبى والجصاص .

التفسير السلفى : كالطبرى وابن كثير .

التفسير الفلسفى : الرازى .

التفسير العلمى : طنطاوى جوهرى .

ومقياس النظر هو مفهوم أهل السنة والجماعة الذى يرفض نظرية الوجد أو الذوق أو أن للقرآن ظاهر وباطن التى يقول بها التفسير الرمزى كما يرفض مقولة المعتزلة الذين رفعوا من شأن العقل وقدموا حكمة على حكم الشرع ومالوا الى التأويل ولم يسلموا من الهجوم الشديد من الطبرى والاشعرى وابن تيمية من أهل السنة .

وقد تميز التفسير السلفى والتفسير الموضوعى .

أما التفسير السلفى الذى يمثله ابن كثير فاذا عرض آية من الآيات فى سورة من السور فانه يذكر فى سياقها الآيات الاخرى التى تتشابه فى مواضعها المختلفة فى القرآن وهذا مدخل لجميع الآيات التى فى موضوع واحد فى نطاق واحد ثم القاء نظرة شاملة عليها ، أما التفسير الموضوعى فيتضمن عرض قضية معينة فى القرآن الكريم كله ( الثروة فى القرآن — الالوهية فى القرآن — النبوة فى القرآن ) كذلك النظر الى السورة الواحدة من القرآن نظرة موضوعية على أنها تدور حول محور ارتكاز وكل ما يقال فى السورة مرتبط بهذا المحور ارتباط محيط الدائرة بنقطة الارتكاز .

● ● ●

ولقد وقف علماء المسلمين موقفا حاسما ومتصلا على مدى العصور فى مواجهة الاسرائيليات وما دسه زنادقة اليهود والفرس ، وما نفقه أصحاب المذاهب المتطرفة ترويجا لمذاهبهم وخاصة ما نقل عن كعب الاخبار وعبد الله ابن سلام .

وقد أورد الذين درسوا الاسرائيليات طالعين هما الزنادقة والقصاص وقد امتدت الى الاسرائيليـــات من التفسير الى الحـــديث والسنة داهتم المستشرقون فى العصـر الحديث بالاسرائيليات وجندوا عددا من الكتاب العرب كان فى مقدمتهم أحمد أمين ومحمود أبو رية وغيرهم وكتب جولد سيد كتـــابا ضخما ( مذاهب التفسير الاسلامى ) ملأه بالسموم والاتهامات وقد اعتمد فيه عن بعض النصوص المضطربة فى كتب العرب وخاصة الباطنية والمعتزلة .

وقد عرض لهذا المخطط كله علماء مسلمون فرغوا انفسهم لهذه القضية واحاضوها من كل جوانبها وفى مقدمتهم الاستاذ / رمزى نعناعة فى كتابه : ( الاسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير ) ولا ريب أن هذا الطريق قد سلكه علماء المسلمين منذ وقت طويل وكشفوا عن حقائقه وفى العصر الحـــديث حمل لوائه الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ومن بعدهم كثيرون .

● ● ●

( ٣ )

## القرآن والكتب المقدسة

جاء القرآن الكريم مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها وشاهدا على الرسل والامم الذين أرسلوا اليهم ، يقول العلامة أبو السعود العماوى ( ومهيمنا عليه ) أى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة من التغيير ، لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول شرائعها وما يتأيد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان مشروعيتها المستفادة من هذه الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب فى أن تمييز احكامها الباقية على المشروعية أبدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليه ) .

فالاسلام يجدد دعوة الاديان السابقة فى أصولها ويؤكد وحدتها فى جوهر الدعوة الى الله تبارك وتعالى والى حياة أفضل وهو يصحح لما وقع فيها من تحريف وتبديل ، وهو مكمل لها بما شرعه من أحكام ومعاملات دعا اليها تطور البشرية وبلوغها مرحلة الكمال .

● ● ●

وقد ناقش القرآن أهل الكتاب ( اليهود والنصارى ) فيما انحرفوا فيه حول العقيدة وما أثاروه من خلافات وأساطير ومن أباطيل وترهات ، ورد على افتراءات اليهود الذين حاولوا أن يلصقوها بالمسيح عيسى بن مريم وأمه الصديقة الطاهرة وحسم القضية فى مسألة الصلب وصحح العقيدة السليمة فى كل ما يثار حولها ورد على افتراءات النصارى وعلى غلوهم فى شأن المسيح وأمه ومحاولة تأليهما ، فقرر الحقيقة الواحدة : حقيقة التوحيد الخالص الذى يدين المسلمون وتبرئة الحق تبارك وتعالى عن الولد والشريك .

● ● ●

كذلك انفرد القرآن بأخبار عن بعض الانبياء لم ترد فى الاسفار المتداولة اليوم :

١ — المحاورة بين الله تبارك وتعالى والملائكة فى صدد خلق آدم وخلافته وأمر الله للملائكة بالسجود له وامتناع ابليس .

٢ — تخلف أحد أبناء نوح عن الركوب في السفينة وغرقه .

٣ — توبة آدم وقبولها من الله تبارك وتعالى .

٤ — قصص ابراهيم مع أبيه وقومه واسكان ابراهيم بعض ذريته في منطقة المسجد الحرام وبنائه البيت هو واسماعيل .

٥ — ايمان سحرة فرعون ومؤمن آل فرعون .

٦ — صنع داود للدروع .

٧ — حكم داود وسليمان في الحرث الذى نفشت فيه غنم القوم .

٨ — تسخير الخيل والطير لداود .

٩ — تسخير الجن والريح والطير لسليمان .

١٠— بناء الجن له التماثيل والمحاريب وغوصهم له وتقييده اياهم بالسلاسل .

١١— قصة الهدهد وملكة سبأ وعرشها والصرح الممرد من قوارير .

١٢— احضار الذى عنده علم من الكتاب لعرشها في لمح البصر .

١٣— الجسد الملقى على عرش سليمان والصافنات الجياد .

١٤— مائدة عيسى وكلامه في المهـد .

وغير ذلك كثير .

١ — كذلك أورد القرآن أشياء كثيرة مغـايرة كثيرا أو قليلا لما ورد في الأسفار مثل :

١ — نسبة صنع العجل للسامرى بدلا من هارون في الأسفار .

٢ — شق قميص يوسف وهمه بامراة العزيز .

٣ — مثل ما جاء مباينا للقرآن من قصص يونس وأيوب وزكريا ومريم وأمها وغير ذلك كثير .

وفي الاسفار المتداولة اشارات الى أسفار كانت موجودة في القديم ثم فقد تداولها مع الايام ، ومن جملتها توراة موسى التى كتبها الله تبـارك وتعالى بيده ودون ذلك تبليغات الله تعالى ووصاياه والالواح ومدونة وصفت بالنشيد الربانى .

انظــر :

١ — بعد الوهاب النجار فى قصص الانبياء .

٢ — كتاب الانجيل والصليب تأليف الاب عبد الاحد داود الاشورى
ومن هنا يتبين خطأ بعض المستشرقين فى المنهج حين يتعرضون لشىء مما حوى
القرآن فى تلك الانباء وذلك القصص ، متخذين التوراة وحدها المقيــاس
للحقيقة والمصدر لكل شىء من اخبار الماضيين متناسيين أن كلا من التوراة
والقرآن من عند الله تبارك وتعالى الذى أودع فى كل من الكتابين ما شــاء
من العقائد وقصص الماضيين على النحو الذى شاء من البسط أو الايجاز .

والواقع أن مصادر اليهودية أو المسيحية أو الاســلام واحدة فكل منهم
دين سماوى من عند الله بيد أن اليهود والنصارى حرفوا كلام الله وحكموا
بعض احكام التوراة والانجيل بينما حفظ الله تبارك وتعالى القــرآن من
التحريف والتبديل .

**( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) .**

**( والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ) .**

هذا مع فوارق اساسية هى أن اللاحق يصدق السابق ، وان السابق
قد نص على ما بعده فقد سجلت التوراة والانجيل مجىء النبى محمد صلى الله
عليه وسلم ، ثم حرفت :

**( النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ) .**

وقد جاء الانجيل بتعديل بعض احكام التوراة اذ اعلن أن عيسى عليه
السلام انما جاء ليحل لبنى اسرائيل بعض الذى حرم عليهم وكذلك جاء القرآن
بتعديل بعض احكام الانجيل والتوراة اذ أعلن أن محمدا جاء ليحل للنــاس
كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت
عليهم .

وليس ذلك نقصا للمتقدم دائما وانما وقوف بالحكمة عند وقتها المناسب
واجلها المقــدر .

ويتميز القرآن بانه نص على اللغة العربية أما الانجيل فانه لم يتعرض

اللغة ، واستطاعت الكنيسة الكاثوليكية أن تستبدل لغة الانجيل الاصلية بلغة ثانية مقدسة هى اللغة اللاتينية .

• • •

ولما كانت الكتب الثلاثة ( التوراة والانجيل والقرآن ) تمثل حلقات متتابعة تكمل بعضها البعض ويسلم بعضها الى البعض الاخـــر فان التحريف الذى أصـــاب الكتابين قد غير كثيرا من هذا السياق وأقام مفـــاهيم أخرى جـــاء القرآن الكريم لكشف زيفها وتصحيحها .

**( ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون )**

فالتصور اليهودى لملكة الله تبارك وتعالى ان تفضل الله واحســـانه قد استأثر بالشعب اليهودى فغاية الحياة فى نظرهم أن تزهو تلك الملكة وحدها وأن تكون كل البشرية لهم عبيدا وتابعا كذلك فقد خلت التوراة من فكرة الاخرة نهـــائيا .

وقد تحول الملكوت فى النصرانية فبدلا أن يكون هذا الملكوت خاصـــا بالشعب اليهودى وسع بعض الشىء وطرد منه بعض الناس وأصبحت مملكة الله فى هذا العالم تتمركز فى حادثة رئيسية هى حادثة حلول اللاهوت فى المسيح عليه الســـلام .

ويقرر القرآن الكريم أن اليهود بشر ممـــا خلق الله ، فليس لهم ميزة خاصة ، وانه تعالى سبحانه غنى أن يكون له ولد أو يكون ثالث ثلاثة .

وان فكرة التثليث فى المسيحية ( مأخوذة من الوثنية القديمة ) .

**( يضاهئون قول الذين كفروا من قبل )** .

وان الامة التى انتقى النصـــارى أثرهـــا فى تنبى هذه العقيـــدة هم الفراعنة .

وقد رد القرآن على معتقدات اليهود والنصارى :

**( يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق )** .

**( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح عيسى بن مريم )** .

**( لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة )** .

لقد ردت الآيات على الطائفة المثلثة التى تعتقد فى استقلال الاب والابن وروح القدس بالالوهية ، وعلى الذين يزعمون ان الاب اله تام ، والابن مزدوج من اللاهوت والناسوت اما روح القدس فهو اقنوم ثالث للالوهية .

ولقد اعلن القرآن أن الانسان ليس مخطئا بحكم الاصل وان كان قد أخطأ الاب ( آدم ) فقد غفر الله له واجتباه وهداه وأعلن أنه لا تذر وازرة وزر أخـــرى .

● ● ●

ولم يدع القرآن نحلة من النحل السابقة للاســـلام الا وعرض لها وكشف خطاها وانحرافها عن منهج التوحيد الخالص . فتحدث عن الوثنية ( عبـــادة الاوثان ) وعبادة الكواكب والمجوسية والصابئة والتثليث والشرك والالحاد واعلن أن التوحيد الخالص والايمان بالله تبارك وتعالى خالقا ورازقا هو الحق .

**( اياك نعبد واياك نستعين )** .

● ● ●

( ٤ )

# مسألة خلق القرآن

كان من تأثير الفلسفات القديمة أن دخلت ساحة الفكر الاسلامية قضايا ومفاهيم غريبة عنه ، فى مقدمتها الرجعة والوصية التى قال بها عبد الله بن سبأ اليهودى والقدرية والجبرية ، ثم كانت مسألة خلق القرآن فيما يتصل ببحثنا هذا .

يقول الدكتور عبد الحميد سند الجندى : ليست مسألة خلق القــرآن وليدة العصر العباسى فقد ذكروا ان بذورها وجدت فى أواخر العهد الاموى على لسان رجل يدعى ( الجعد بن درهم ) معلم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية ، هرب من دمشق الى الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذى نسب الى الجهمة وقيل ان الجعد اخذ ذلك من ابان بن سمعان واخذه ابان من طالوت بن أعصم اليهودى .

وفى كتاب ( سرح العيون ) لابن بناته ان الجعد اظهر تلك المقولة بخلق القرآن فى أيام هشام بن عبد الملك فقبض عليه وكان ينفى الصفات عند الله تبارك وتعالى واستتبع ذلك نفى الكلام والقول بخلق القرآن .

ويقول ابن الاثير أن أحمد بن أبى دؤاد الذى حمل لواء فتنة القــول بخلق القرآن واخذ ذلك من اليهود بسلسلة يتصل سندها الى لبيد بن الاعصم اليهودى الذى كان يقول بخلق التوراة .

ويقرر بعض الباحثين أن المسلمين تأثــروا فى قولهم بخلق القــرآن بالنصرانية تقليدا لمقولة ان عيسى كلمه الله وكلمه الله لا يصح أن تكون مخلوقة فقلد المسلمون ذلك يقول مثل هذا القــول فى كلام الله ويؤيد ذلك ما ذكره ( المأمون ) فى كتبه الى ولاته من قوله ( فضاهئوا أيه قول النصارى فى ادعائهم فى عيسى بن مريم انه ليس بمخلوق اذ كان كلمة الله ) وكان بشر المريس ( وقيل انه من أصل يهودى ) فيما يقول الخطيب البغدادى ظل يدعو الى ذلك نحوا من اربعين سنة ويؤلف الكتب قال الرشيد : بلغنى أن بشرا يقول : القرآن مخلوق والله ان اظفرنى الله به لاقتلته فاقام بشر متواريا أيام الرشيد وأيد المأمون القول بخلق القرآن بكل ما أوتى من قوة وسلطان حتى أنه كان يحر

الناس حملا بحد السيف ، ولم يعتنقها المعتزلة وحدهم ، كما يعتقد البعض بل قالت بها طوائف كثيرة من المتكلمين جهمية ومرجئة كما قال ابن تيمية ولم يكن بشر المريس من المعتزلة .

يقول الامام ابن تيمية : أما اثبات الصفات له ( تبارك وتعالى ) وأنه يرى فى الاخرة وانه يتكلم بالقــرآن وغيره وكلامه غير مخلوق فهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة المسلمين واهل السنة والجمــاعة من جميع الطوائف .

● ● ●

وقد كان المامون متأثرا بما ترجم من فلسفة اليونان ومنطقهم وقد جره ذلك الى القول بخلق القرآن .

وقد أفسح فى مجالسة لانتقــاد الاســلام وأباح للمسيحيين حــرية المناقشة فى أى الدينين أفضل : الاسلام أم المسيحية ثم اعتنق مذهب القول بخلق القرآن وحمل الناس عليه .

وقد استمرت الحملة فى عهد الواثق والمعتصم وامتدت خلال أكثر من سبعة عشر عاما حتى الغاها المتوكل وكان ابرز المدافعين عن الحق الامام أحمد بن حنبــل .

● ● ●

( ٥ )

# ترجمة معانى القرآن

أثيرت منذ وقت بعيد قضية ترجمة القرآن ، دعا اليها بعض المسلمين الذين كانوا يطمعون فى كسب عدد من أهل اللغـات والديانات الأخـرى عندما تصل اليهم مفاهيم القرآن .

غير أن العلماء عندما بحثوا هذا الامر انكشف لهم كثير من المحـاذير والمخـاوف وتقرر عندهم أن ترجمة القرآن نفسـه مستحيلة تماما لأسبـاب عدة وأن الأمر يجب أن يقتصر على ترجمة معانى القـرآن .

أما ترجمة القرآن نفسه فترجع استحالتها الى اعجاز القرآن نفسـه الذى يتمثل فى نظمه العربى وعجز اللغات الأخـرى عن أن تقـدم دقائق معانى القرآن على النحو الذى تقدمه اللغة العربية فان هناك آيات تحتمل وجوها متعددة لا يمكن نقلها من لغة الى أخرى الا على وجه واحد وهذا ليس بترجمة وانما يصح ان يسمى تفسيراً .

يقول الاستاذ محمد بهاء قطب :

للقرآن ككل كلام عربى بليغ معـان أصلية وهى ما يستوى فى فهمه كل من عرف مدلولات الالفـاظ المقررة وعرف وجـوه اعرابهـا من فاعلية ومفعولية وحالة واضافة .

وللقرآن أيضا معان ثانوية ويسمونها مستتبعات التراكيب وهى خواص النظم التى يرتفع بها شأن الكلام .

هذه المعانى الاصلية هى مظهر بلاغتـه وملاك اعجازه فان ترجمته بالنظر الى المعـانى الثانوية غير ميسورة الا أن توجد لغة توافق اللغـة العربية فى دلالة ألفاظها على هذه المعـانى المسمـاه عند علمـاء البيـان ( خواص التراكيب ) وذلك مما لا يسهل على أحد ادعاؤه ومما نبه اليه فى القديم أبو القاسم الزمخشرى فى كشافه اذ قال :

ان كلام العرب خصوصا القرآن من لطـائف المعـانى مالا يستقـل بأدائه لسـان .

وليس في هذا انكار ان تكون في اللغـــات الأخرى بلاغة ويكفي في تعذر ترجمة ما يحمله اللفظ العربي من دقائق المعـــاني ان هذه أو بعضها مما لا يشير اليه اللفظ المرادف من اللغة الاجنبية الا ان تصـــاغ له جملة مستقلة .

أما الذي يمكن نقله من لغة الى لغة أخرى فانما هو معـــانيه الاصلية حيث لا تقصر اللغات الاجنبية عن تأديتها .

ومعنى هذا ان ترجمة القرآن ليست قرآنا ، اذ القرآن هو هذا النظم المعجز الذي وصفه الله تبارك وتعـــالى بكونه عربيـــا وبالترجمـــة يزول الاعجـــاز .

والخلل الذي تشترك فيه الترجمتان الحرفية والمعنوية أن يكون اللفظ ذا معنيين أو معـــان تحملها الآية فيضطر المترجم الى أن يضع بذله من اللغة الاجنبية اللفظ الموضوع لما يختاره من المعنيين او المعـــاني حيث لا يجد لفظا يشاكل اللفظ العربي في احتمال تلك المعـــاني المتعددة » .

ولقد واجهت ترجمة القرآن الى اللغـــات الأجنبية منذ اليوم الاول لها تحديات خطيرة فقد قام بها النصارى واليهود لحســـاب أديانهم ثم قامت بها المنظمـــات الاستشراقية والتبشيرية من أجل اشاعة الشبهات حولها وحول الاســـلام في دعوى عريضة بأن القرآن من عند محمد ( صلى الله عليه وسلم ) على قول وبأن مصدره هو التوراة والانجيل وقد واجه القرآن كثيرا من الدس والتحريف والتشويه ، سواء جـــاء ذلك عن جهل بالعربية وأساليبها أو عن طريق الاحقاد ولم يتوقف ذلك على الديانتين اليهودية والمسيحية بل قام بذلك وعلى نطاق واسع أصحاب المذاهب المتطرفة وفي مقدمتهم القـــاديانية فقـــد برزت في هذه المترجمات وجهة نظر المترجم المسيحي واليهودي والقـــادياني وقد عمد المترجمون المسيحيون الى جعـــل القرآن مؤيدا للانجيل أو تابعـــا له أما اليهود فقد ترجموا القرآن على أنه من وضع النبي ( صلى الله عليه وسلم ) أما القاديانيون فقد أبرزوا عقيدتهم وآرائهم من خلال الترجمة أما الترجمات التي قام بها المسلمون فقد كانت أصحها ترجمات الدكتور محمد حميد الله الى الفرنسية وعبد الله يوسف الى الانجليزية وهما على مفهوم أهل السنـــة والجمـــاعة .

● ● ●

وقد أطلق على هذه الترجمة ( الترجمة التفسيرية ) .

يقول الدكتور عبد الله عباس الندوى : لقد اتفق علماء الأمة على جواز الترجمة التفسيرية وأشار الى ذلك علامة الشام الشيخ بهجت البيطار تحت عنوان ( الترجمة التفسيرية للقرآن ) .

وقد أجمع فقهاء الاسلام وأئمة الدين المجتهدون على جواز تفسير القرآن باللغة العربية وبأية لغة من اللغات الاعجمية واطلق عليه ( ترجمة التفسير ) لا القرآن وهى ليست بعيدة عن المخاطر فقد كتب كثير من أهل البدع والكفر والخرافات ترجمات وتفاسير لنشر نظرياتهم الخاصة ( مثل تفاسير الباطنية والقاديانية ) وأصحاب مذهب التصوف الفلسفى ووحدة الوجود .

وقد حذر العلماء من أن تؤدى ترجمة القرآن الى ضياع النص العربى ايمانا بأن الترجمة لا تحمل الاعجاز الموجود فى النظم العربى ولا تحمل معانى النظم العربى جميعا وانما تحمل المعانى التى فهمها المفسرون .

ويقول الدكتور عبد الله عباس الندوى :

أن السر فى تعدد التفاسير والترجمات هى كثرة الاتجاهات وتنوع المذاهب فكل مترجم ينظر الى القرآن من خلال نحلته فالاساس الأول لاختيار ترجمة من الترجمات هى عقيدة المترجم ووجهة نظره فاذا كان معلوم الكفر والعداء للاسلام مثل اليهودى والنصرانى أو معلوم الضلال والارتداد عن الاسلام مثل القاديانى والبهائى او معلوم الجهل والابتداع مثل أحد من أشباه المشركين من الباطنية والروافض فلا يرجى من عمله خيرا ويرفض تفسيره أو ما ترجمه جملة وتفصيلا .

والعقيدة لا تخفى وهى تنطق عن نفسها من خلال السطور ( ولتعرفنهم فى لحن القول ) .

وفى مقدمة ذلك القاديانية والصوفية المتفلسفة .

وهناك طائفة يطلقون على انفسهم لقب المتنورين ، يصفون انفسهم بالعقلانيين ، هؤلاء بهرت المدنية الغربية انظارهم والقى التقدم الصناعى الغربى الرعب فى قلوبهم فلا يرون الخير الا فيما جاء به الغرب ، وقد آمنوا بعصمة الغرب من كل شىء لا فى العلوم التكنولوجية فحسب بل فى العلوم

الانسانية حتى فى الدين اعيربوا باســاليب البحث والتحقيق التى اتخذها المستشرقون .

ومنهم اناس فسروا القرآن الكريم أو ترجموا معــانيه الى الانجليزية والى لغات اخرى فارادوا ان يقدموا القرآن الى علماء الغرب باسلوب يتفق وعقليتهم ولا ينــافى البديهيات عنــد الغــرب فهــو يسميهم الاعتذاريين ( Opeloists ) يأولون آيات فيها بيان معجزة اعطاها الله تبــارك وتعالى لنبى من انبيائه لبيرهن على صدق نبوته أو الرؤيا التى أراها الله بعض عباده وهم يميلون الى انكار وجود الجن والملائكة وينكرون كل مالا يدرك بالحواس الظاهرة ويعتبر فوق الطبيعة عندهم .

ويترجمون بعض أسماء وراءها خلفية تاريخية ثابتة بالسنة يترجمونها بالفاظ مغــايرة عن حقيقتها مثل كلمة ( التــابوت ) التى يقول عنه المفسرون من السلف ( التابوت صندوق التوراة ) وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون ( ابن كثير والطبرى ) ولكن مفكرى المعجزات يقولون أن معناه ( القلب ) وهم يتأولون مسائل تتعلق بعلم التوحيد مثل العرش والكرسى وكان السلف يترجمون هذه الكلمات على ما هى عليه بدون البحث عن كيفيتها لانها لا يعلمها الا الله وهم يتأولون معــانى هذه الكلمات من اجل ارضاء العقلية الغربية .

والترجمــات التى هى خليقة بالرفض هى ما كتبه الدعاة الى الفرق الباطلة أو العقلانيون المتنورون اما غيرها مما كتبه المسلمون الذين فسروا القرآن بالمأثور وترجموا معانى اثبتها السلف فنحن نتناولها ونفضل بعضها على بعض من ناحية اللغة واسلوب البيان وصحة التعبير ومقدرة المترجم على اللغتين .

● ● ●

**تراجــم المستشرقين :**

ترجم القرآن الى اللاتينية باشارة من الكنيسة وبهدف البحث عن ثغرات وفى محاولة للتشكيك فى نصوصه ، بدأ ذلك عام ١١٥٧ م وهى ترجمة بقيت مختفية نيفا وأربعمائة سنة حتى طبعت ١٠٤٣ م ثم ترجم الى معظم اللغات الأوروبيــة .

ويقول بعض الباحثين ان اوربا لم تترجم القرآن الا بعد ان شعرت بخطر الاسلام على مفاهيمه حيث انها ستعثر من وراء الترجمة على خطأ يصلح أن تكون سلاحا لتهديم معالم الاسلام .

يقول الدكتور حسن المعايرجي : لقد امكن حصر ٤٣٥ ترجمة فى اللغات الأوربية وحدها وما زالت فى تزايد ناهيك عن اللغات الاسيوية والافريقية وحيث تناهز الترجمات فى اللغات الاسلامية الكبرى : التركية والاردية والفارسية ما يقرب من ١٢٠٠ ترجمة ، وما زالت المعركة مستمرة من انصار الاباحة وانصار التحريم وانصار الاباحة بشروط وكان لتراجع اللغة العربية عن الانتشار لمواكبة انتشار الاسلام اثر كبير فى تزايد الحاجة الى تفاسير مترجمة .

ومن هنا فان نشر العربية يجب أن يكون موازيا الدعوة الى الاسلام .

وقد قال ابن تيمية : ان اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فان فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم الا باللغة العربية ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ( تعلموا العربية فانها من دينكم ) .

ويرى بعض الباحثين ان التراجم الى اللغات الاوربية فى حاجة الى تنقيح كبير ومراجعة سواء من ناحية المضمون أو الشكل .

وقد أصدر الشيخ حمزة بوبكر مدير المعهد الاسلامى لجامع باريس ( سبتمبر ٧٩٧٩ ) الطبعة الاولى باللغتين العربية والفرنسية للقرآن .

وقد أضاف الى هذه الطبعة القديمة من مراجع النصوص اليهودية والمسيحية وتاريخ كل من هاتين الديانتين .

● ● ●

يقول الدكتور عبد الله عباس الندوى :

ان تصور المستشرقين للقرآن هو أنه مجموعة من الأحاديث والقصص وضعها النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن أجل هذا اخذوا تأويل كل آية تعطى فكرة عن رسالة الاسلام على انها موجهة الى الانسانية جميعا .

ويبدو هذا واضحا فى مترجمات المستشرقين وقد ترجم (وليم موير) بعض السور الى الانجليزية واسماها ( كلمات واحاديث منوعة لمحمد ) .

أما (جورج سيل) فقد ترجم خطاب القرآن (يا أيها الناس) بقوله (يا أهل مكة ) ويزعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يريد اصــــلاح نبى جلدته ويقدمهم اقتصاديا وسياسيا ولم يقصد الى مخاطبة البشر كله .

ونسى آية ( **وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ) سورة النبأ .

وهو يزعم أن محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) لم يكن يفكر فى توجيه رسالته خارج قبيلته .

كذلك عمد الى جمع الروايات الشــــاذة فى التفسير من كتب التفسير والاحـــاديث الموضوعة وقد ترجم أول آية من القرآن ( الحمد لله رب العالمين ) بقوله :

رب العوالم الثلاثة اعتمادا على عبارة البيضاوى ( انه عالم الانس وعالم الجن وعالم الملائكة ) .

والهدف هو القول بأن الاسلام رسالة محلية ومؤقتة .

**ويؤكد الدكتور الندوى على هذه الثغــرة الشــديدة الخطر حيث توفر القواميس والمعـــاجم مادة وسندا لبيـــان الاراء الشـــاذة والمعانى المستبعدة فكل من يريد أن يفسر القرآن حسب مرئياته يجد سندا فى الاقوال الشـــاذة فى كتب التفسير والاحــاديث الضعيفة والموضوعة وهذا هو السر فى حرص الدكتور طه حسين على عدم تنقيه كتب التراث .**

وقد تكاتف المستشرقون على خطة جمع كل الاراء الشاذة التى التقطوها من كتب المفسرين : الرازى والبغوى وابن كثير وما أورده الطبرى فى قوله وقيل وقيل وقيل فى التاريخ ومفسرى القرآن .

ويحذر الدكتور الندوى من الترجمـــة التفسيرية فنقول أنهـــا تشبه ترجمات الاناجيل حيث لا يعرف الدارس مقدار الاصل من بين أقوال الشارحين واذا كانت الترجمة اللفظية مرفوضة فان الترجمـــة التفسيرية لا تخلو من الخطـــأ .

أما الحل ففى قول الامام ابن تيمية .

أن أصح الطرق فى ذلك هو أن تفسير القرآن بالقرآن بما أجمل فى مكان فانه قد فسره فى موضع آخر وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شـــارحة القرآن وموضحة له .

وقال الامام الشافعى : ان كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فهو مما فهمه من القرآن :

**( انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ) ــ النســاء .**

**( وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ) النحل .**

**( وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمـــة لقوم يؤمنون ) ــ النحل .**

ومن المعلوم بالبداهة :

**أولا :** أنه لا يمكن تفسير القرآن بغير العربية ولا تعبر العربية الا عن طريق الاحاديث النبوية وما يصح بالتفسير يصح بالترجمة التفسيرية .

٢ ــ خطأ القول بفصل القرآن عن السنة .

( وظنوا أن السنة لم تصلنا بالتواتر والصحة مثل القرآن )

قال الامام ابن تيمية : ان المستغنى عن السنة لا يستطيع فهم كثير من الايات التى فيها اجمال واشـــارة .

وقال الدكتور الندوى : بمراجعة ترجمـــات تفسير القـــرآن الكريم ( الهندية والفارسية ) وجدت عجز المترجمين فى بحث كلمات تستوفى جميـــع المعـــانى التى توحى كلمة قرآنية أو تعبير قرآنى يحض القرآن الكريم كمـــا توجد الصعوبة عند المترجمين للقرآن الكريم فى اللغـــات الاوربية .

● ● ●

**خطر الترجمات القاديانية :**

واذا كانت هذه هى تجربة عالم اســـلامى من الهنـــد المسلمة فاننا لا نستطيع أن نتجاوزها دون ان نذكر مدى الاخطار التى تواجه المسلمين فى الهند وفى أفريقيا نتيجة ترجمة القرآن بواسطة القاديانية لخدمة انحـــرافهم ومعتقداتهم الأحمدية القاديانية وقد كان وما زال لها نشـــاط كبير فى الترجمة بل لقد أوقفوا الاوقاف لهذا الغرض حتى أنهم ترجموا معـــانى القـــرآن

الكريم الى اغلب اللغـــات الاوربية كما ترجموه الى السواحلية لأهمية هذه اللغـــة التى تستعمل فى شرق ووسط أفريقيا وسبقت الترجمـــات الاحمدية أى بعض اللغـــات ترجمات اهل السنة وامتلأ الميدان بترجمات فاســـدة يقوم بها صليبيون او يهود او قديانيون اغلبها مترجم عن غير العربية .

ومن اخطر محاولات الاحمدية محاولتهم استخراج نص من القرآن الكريم يؤكد الرقم ١٩ المقدس عندهم وهم يضللون الناس فى تفسير آية ســـورة المـــدثر .

وهناك ترجمة عن ترجمة ، فالنسخة البلغارية مترجمة عن الالمانيـــة والالمانية مترجمة عن الانجليزية والانجليزية عن اللاتينية واللاتينية عن العربية

وتعمل هذه الترجمات على طمس معالم النور والاضاءة وكانت ترجمة معانى القرآن وسيلتهم الى تحريف الكلم عن مواضعه او لصرف أقليـــات اســـلامية سقطت تحت حكمهم عن النص القرآنى الكريم .

وفى الغرب توجد ترجمة بكثال ( مردوك بكثال ) وهى ترجمة محرفة وفق مخطط صهيونى للنيل من الاســـلام واعلاء الصهيونية وهى معول لهـــدم الاســـلام بأسلوب جديد ابتكرته الصهيونية العالمية بطريقة لم تحـــدث على مر تاريخنا الاســـلامى الطويل .

وقد قضت محكمة القضاء الادارى فى مصر بالغاء شرعية هذه الترجمة والغاء صك الشرعية الذى منحه مجمع البحوث لنشرها .

وترمى هذه الترجمة الانجليزية الحرفية للقرآن الكريم الى اهدار المعنى الحقيقى للكلمات العربية بطريقة ملتوية تتمشى مع بعض ما جاء فى التوراة المحرفة لتخدم بها اهدافا ابعد ما تكون عن الحقيقة والدين وتضر بالمصالح الغربية .

وقالت المحكمة أن الترجمة ليست فى حقيقتها ترجمة لمعـــانى القرآن كما اطلق عليها من قام بها وانما هى ترجمة حرفية لسور القرآن الكريم ومن ثم فقد اضحى من الضرورى أن تكون هذه الترجمة على أكبر قدر من الدقة بحيث لا تعطى لايات القرآن معنى او مدلولا غير الذى قصده الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز .

( جريدة النور ١٠ رمضان ١٤٠٠ هـ )

وقد اشار الدكتور الذهبى الى مؤامرة أصحاب النحل فى الترويج لنحلتهم واقامتها على اساس من القرآن وكيف تحايلوا على فهم آياته وتصرفوا فى تأويل عباراته فكل قد حاول أن يجعل القرآن شـــاهدا له ودليلا على ما يهـــدف اليه من تبلج أو باطل لجلج .

وقال أن هذه التفاسير ما تزال موجودة يقتنيها الناس وما فيها من آراء منحرفة .

وقد اشار الى ذلك الامام ابن تيمية فى ( كتابه مقدمة فى اصول التفسير ) والراغب الاصفهانى فى ( مقدمة التفسير ) وما كتبه الشيخ محمد عبده فى تفسير جزء عم قال الشيخ الامام :

وقد اشتبه على الناس كلام الباطنية بكلام الصوفية ومن ذلك التفسير الذى ينسبونه الى الشيخ محى الدين بن عربى انما هو للقاشانى الباطنى المعـــروف .

كذلك فقد استغل اليهود بعض الترجمات المحرفة قصدا وقاموا بطبعها ونشرها وتوزيعها فى بلاد المغرب وغانا واتحاد مالى ونيجيريا يهدفون بهـــا الى القضاء على حقائق الاســـلام لما فشلوا فى هدم بنيـــان المسلين وكيانهم عن طريق السياسة .

**ترجمـــات منصفة :**

ومع ذلك فقد وجد القرآن الكريم من الباحثين الغربيين من يكتب عنه بانصاف ودون تحيز يقول الاستاذ ادوار مونته فى مقدمة ترجمته للقرآن ما يلى :

القرآن فى الحقيقة ذو قيمة خارقة للعادة فهو بين الكتب الدينية اعظمها شأنا وهو يشتمل على الحياة الروحية لقسم من النوع الانسانى يقـــدر بمائتين وخمسين مليونا على الاقل ( تاريخ البحث ١٩٢٩ ) والعقيدة القرآنية ذات علاقة وثيقة مع العقيدة اليهودية والعلاقة المسيحية والاثار النصرانية المتعلقة بالمسيح هى موضوع صفحات عديدة من القرآن ، على انه لا ينبغى ان يفهم من هذا الاتحـــاد فى أصلى الاســـلام والنصرانيـــة ان الاســـلام القرآنى فاقد الاستقلال وانه ليس ذا صفة خاصة أصلية فالأمر بالعكس والاســـلام دين لا يمكن خلطه مع دين آخر من الاديان السامية فهو دين سامى تحت صورة عربية خاصة تتجلى فيه روح اللغة العربية .

والقارىء يجد فى القرآن صفحات فى غاية الابداع ســـواء من وجهة الفكر او من جهة القالب الذى وضع فيه الفكر ، وكذلك تجد فيه لآلىء فريدة فى علم الروح معروضة فى آيات هى اعلى ما يمكن من الاسلوب الشعرى وهو فيه أسلوب قائم بذاته وفى القرآن منازع دينية ذات سعة مدهشة لا سيمـــا بالنسبة الى العصر الذى عاش فيه ذلك المصطلح العربى ومما يجعل للقرآن هذه الاهمية انه الكتاب الدينى للامم الاســـلامية التى تمثل فى شرقى أوربا وفى العالم الاسيوى وفى ماليزيا وفى افريقيا دورا ليس مهما وحسب ، بل دورا ذا صلة شديدة بالأمم الغربية المسيحية .

ان الذى يجعل للقرآن هذه الأهمية الخاصة هو المستقبل المدخـــر للشعوب الاسلامية اذ لا ينكر ان مستقبلا فخما ينتظر هذه الشعوب على قدر ما يقتبسون من الحضارة الاوربية .

( ترجمة الامير شكيب أرسلان )

وفى ترجمة جديدة ( ١٩٧٩ ) للمستشرق جاك بيرك نجد فارقا عميقا بين الفهـــم الغـــربى بين مســـــافة خمسين عاما ( أى نصـــف قـــــرن ) حيث يقول أن هدفه الرئيسى هو اكتشاف بلاغة القرآن وادراك المعنى الشامل المسئولية فى القرآن وكيف كانت محاولته منصبة على فهم اعجاز القـــرآن والذى اكتشفه فى البناء الكلى المحكم للقرآن وقد تســـائل بيرك : كيف يمكن ترجمة القرآن دون التضحية بشىء من معناه او الاســـاءة الى روعته وكيف يمكن ان تشمل الترجمة ايقاع اللغة الفرنسية وحركة المعنى .

وقال ان الترجمات السابقة للقرآن لا تفيد الا المهتمين بالشريعة أو القانون او العقيدة او الحدود من طـــلاب الدراسات العربية والاســـلامية كما ان هذه الترجمات لا تنقل روح القـــرآن ولا تقـــرب غير المسلم من جوهر الاسلام » ومع ذلك فقد تعثر جاك برك فى عدة قضايا .

● ● ●

أما الذين ترجموا القرآن من مسلمى الغرب فأمامنا ترجمـــة معـــانى القرآن للاستاذ محمد أسد ( ليوبولد فايس ) يقول :

« لعله لم يتح لكتاب مقدس ان يكون له مثل هذا التأثير المبـــاشر على

حياة الناس الذين استمعوا له اول مرة وعن طريقهم وطريق الاجيال التى تعاقبت من بعدهم على مجرى الحضارة البشرية بوجه عام ، لقد هز القرآن الجزيرة العربية هزا وجعل من قبائلها التى كانت فى حروب ومنازعات لاتنقطع كما جعلها امة واحدةوفى بضع عشرات من السنين امتدت نظرته العالمية للانسان بعيدا خارج الجزيرة العربية واتيح له أن يخلق اول مجتمع قائم على العقيدة عرفه التاريخ وبسبب من حض القرآن اتباعه على ابتغاء المعرفة وتنمية المدارك ولد فى اتباعه روح البحث وحب الاستطلاع والتقصى الحر وهى الروح التى نتج عنها ذلك العصر الرائع : عصر الاكتشافات العلمية والبحث العلمى اللذين وضعا العالم الاسلامى فى قمة شموخه الحضارى تلك الحضارة التى احتضنها القرآن ورعاها حتى تغلغلت بطرق متعددة فى عقل أوربا القرون الوسطى وكان من ثمرتها احياء الحضارة العربية على الصورة التى نسميها ( عصر النهضة ) لقد أصبح القرآن الكريم مع تطور الزمن مسئولا عن ميلاد ما يسمى بعصر العلم وهو العصر الذى نعيش فى ظله اليوم .

كل ذلك عند التحليل النهائى يرد فضله الى رسالة القرآن والى الاقوام الذين قاموا به وهم الذين تأثروا بدعوة القرآن واستمدوا منها الاساس الذى يقيمون عليه قيمهم الاخلاقية ويهتدون بهديه فى نشاطهم الدنيوى .

اننا لا نعرف كتابا — بما فى ذلك الانجيل نفسه — اتيح له أن يقرأه مثل هذا العدد من الناس بنفس القوة وبنفس الاحترام ، كذلك فانه لا يوجد كتاب آخر اتيح له أن يقدم لمثل هذا العدد من الناس — وعبر مدة زمنية مماثلة — جوابا شاملا يماثل جواب القرآن عن السؤال القديم وهو :

ماذا ينبغى على الانسان أن يفعل ليحظى بحياة طيبة فى هذا العالم وبالسعادة فى الحياة الاخرة فى نفس الوقت ) وبغض النظر عن عدد المرات التى أخطأ فيها الافراد العاديون من المسلمين ادراك الجواب على هذا السؤال ، وبغض النظر عن القدر الذى يعد به الكثيرون عن فهم روح رسالة القرآن فان القرآن يمثل المظهر النهائى لنعمة الله تبارك وتعالى التى أسبغها على الانسان والحكمة النهائية وقمة الجمال فى التعبير وباختصار فانه كلمة الله الحقيقية للبشر .

هذا الموقف ( موقف المسلمين تجاه القــرآن ) يحير الغربيين الذين يتوسلون الى فهمه من خــلال احدى ترجماته المعــاصرة ، ففى الوقت الذى يلمس فيه المؤمن عند قراءة القرآن باللغة العربية ما فيه من روعة وجمــال فان غير المسلم كثيرا ما يزعم انه يرى فيه نوعا من ( الفجاجة ) كذلك فان انسجام عناصر النظرة القرآنية الانسانية وارتباطها بحالة الانسان من حيث هو ، لا تحظى بملاحظته على الاطــلاق ، ومن هنا تأخذ — خطأ — طابع ما يسميه بعض المستشرقين فى أوربا وأمريكا ( بالتشويش وفقدان التناسق )

وقد يدهش بعض الغربيين من تلك الاشارات التى ترد فى القــرآن الكريم لله تبارك وتعالى واحيانا فى جملة واحدة حيث يشار لاسم الجــلالة بـــ ( هو ) و ( نحن ) ، و ( انا ) وما يقــابل ذلك من يعتبر فى الضمــائر من الهاء فى مغفرته الى النــون فى عندنا الى اليــاء فى جنتى أو التعبير عن ( اليه ) الى ( الينا ) الى الى ( الى ) وواضح من هذه الامثلة التى يضربونها انهم يجهلون أن هذه التعبيرات ليست عفوية وأنها ليست أيضا مما يمكن أن نسميه بلاغة شعرية .

**ولكنها مقصودة لذاتها ، أنها اسلوب لغوى يقصد به توكيد حقيقة هامة وهى أن الله تبارك وتعالى ليس ذاتا بشرية وبالتــالى لا يمكن أن تحيط به الضمائر والاسماء التى تستخدم للاشارة للكائنات المحدودة الفانية .**

انه بالرغم من القول بأن المترجمين الغربيين يشوهون ما فى القــرآن الكريم من قصد وسابق تصميم ( اذ انه بالرغم من الحقيقة التى لا يمكن نكرانها وهى انه بين التراجم الموجودة حاليا للقرآن الكريم فى كافة اللغــات الاوربية يوجد الكثير مما كان الحافز وراءه تعصب حاقد ضد الاســلام وحمــاس تبشيرى مضلل نقول بالرغم من ذلك فان مما لا نكران له أيضــا أن بعض الترجمات الحديثة للقرآن الكريم كانت من عمل علماء متحمسين للحقيقة حاولوا باخلاص وبدون ان تتحكم فيهم دوافع من التعصب المقصود ، ان يقدموا معانى الاصل العربى فى هذه اللغة الاوربية او تلك ، كذلك يوجد عدد من الترجمات الحديثة للقرآن الكريم وضعها مسلمون لا يمكن أن يخطر بالبال ان يقدموا على تشويه معانى القرآن الذى هو بالنسبة اليهم كتاب سماوى منزل من عند الله تبارك وتعالى على اننا نستطيع القول انه لا التراجم الحديثة التى وضعها

مسلمون ، ولا تلك التى وضعها الاجانب قد استطاعت ان تضع القــرآن الكريم فى وضع اقرب لقلوب وعقول اقوام نشأوا فى مناخات دينية ونفسية تختلف عن المناخ الاســلامى أو تكشف شيئا ولو قليلا من العمق الحقيقى القرآن الكريم وما ينطوى عليه من حكمه رفيعة بالغة .

ويمكن رد هذه النتيجة — الى حد ما — الى التعصب الواعى أو اللاواعى ضد الاسلام والذى سيطر على التفكير الغربى منذ زمن الحروب الصليبية وشكل ميراثا خالط الفكر والشعور فى الغرب وترك بصماته واضحة على كل موقف ازاء كل ماله صلة بالاســلام ، ليس فقط بالنسبة لرجل الشــارع ولكن دعا بصورة اكثر دهاء ، على العلماء المختصين بدراسات يفترض فيها أن تكون موضوعية .

« ومن المحتمل أن يكون من بين الاسباب الرئيسية لعدم توفر التقدير الكافى للقرآن الكريم فى الغرب ، تلك الصفة التى تميز القرآن — جذريا — عن سائر الكتب المقدسة ، هذه الصفة هى تركيزه على أهمية ( العقــل ) باعتباره الطريق الوحيدة التى تقضى الى الايمان وكذلك اصراره على ترابط المجالات الروحية والمادية والاجتماعية للنشاط الانسانى — أى ارتبــاط عمل الانسان اليومى وسلوكه الدنيوى بحياته الروحية ومصيره .

« وهكذا فان عدم تقسيم القرآن للحياة الانسانية الى قسمين ( روحى ) و ( مادى ) يجعل من الصعب على الذين نشأو فى ظل ديانات اخرى تشدد عادة على عنصر خارق للطبيعة وتزعم انه لابد وأن يكون موجودا فى تجربة دينية أصيلة أن يقدروا النظرة العقلية التى ينظر بها القرآن الكريم لجميع القضايا الدينية وبناء على ذلك فان تداخل التعاليم الروحية مع التشريعــات العملية للحياة فى القرآن ، يحير العقل الغربى الذى اعتاد على قرب التجربة الدينية بنشوة الانفعال الوجدانى ازاء الاشياء الخفية المستترة بعيدا عن ادراك الحس والعقل لهذا تتولاه الحيرة حين يجد نفسه فجاة فى مواجهة المفهوم القرآنى الذى يتولى فهمه الدليل ، ليس فقط للسعادة الروحية فى الاخرة ولكن للسعادة فى الحياة الدنيا بكل مجالاتهــا المــادية والروحيــة والاجتماعية .

« وباختصار فان الغربى لا يستطيع أن يتقبل بسهولة نظرية القــرآن

القائلة بأن الحياة ( باعتبارها هبة من الله تبارك وتعالى ) هى وحدة كاملة لا يمكن تجزئتها وان مشاكل الجسد والعقل ومشاكل الجنس والاقتصاد ومشاكل الصلاح الفردى والعدالة الاجتماعية هى مشاكل مرتبطة ارتباطا وثيقا مع مساعى الانسان وآماله فى حياة رضية بعد الموت هذا فى تقديرى هو احد الاسباب الرئيسية الكامنة وراء الموقف السلبى الجاهل الذى يقفه معظم الغربيين تجاه القرآن وهو ان القرآن نفسه لم يقدم حتى الان فى أى لغة اوربية بطريقة تجعله مفهوما بوضوح .

« اننا نحن المسلمين نؤمن ايمانا قطعيا بأن القرآن الكريم هو كلمة الله ( تبارك وتعالى ) التى ألقاها الى النبى صلى الله عليه وسلم بلسان بشرى هو لسان الجزيرة العربية ؛ لسان اقوام منحتهم الصحراء ما تمنح سكانها عادة بعد صفات الذكاء وسرعة البديهة الفذة .

● ● ●

« انه لكى يمكن فهم رسالة القرآن فهما صحيحا تاما فى لغة غير العربية يجب أن تقدم هذه الرسالة بطريقة تعيد — بقدر الامكان — فى نفس القارىء العصرى نفس الاحساس الذى تلقاها به المسلمون الاولون الذين لم يكتسبوا ( الصور الذهنية ) التى نتجت عن التطورات الاسلامية المتأخرة ولقد كان هو المبدأ الأهم الذى جعلته نصب عينى فى جميع مراحل العمل الذى قمت به .

« ولقد راعيت باستمرار المحافظة على قاعدتين اساسيتين فى عملية الترجمة ( الأولى ) ان القرآن لا يجوز ان ينظر اليه على انه مجموعة وصايا وزواجر منفصلة ؛ ولكن على انه كل يستحيل تجزئته وبمعنى آخر على انه عرض لقانون اخلاقى شامل كل آية او جملة فيه تساعد على توضيح وابراز معانى الايات والجمل الاخرى وعلى هذا فان معانيه الحقيقية لا يمكن أن تدرك الا اذا ربطنا بين عباراته فى مختلف السور محاولين أن نشرح ما ينطوى عليه من افكار بالاستناد المتكرر الى ما جاء فى المواضيع الاخرى مخضعين الخاص للعام والعرضى للجوهرى دائما وحيثما اتبع هذا المبدأ باخلاص فاننا سنجد دائما ان القرآن كما يقول الامام الشيخ محمد عبده هو خير ما يفسربه القرآن .

**القاعدة الثانية :** هى أنه لا يجوز النظر فى أى جزء من القرآن الكريم بالمنظار التاريخى المجرد وبعبارة أخرى فان كل الاشارات الواردة فى القرآن لظروف وأحداث تاريخية سـواء وقعت فى عهد الرسول أو فى العصور القـديمة يجب أن ينظر اليها على أنهـا **( تصوير للحالات الانسانية )** ولكن ليس على أنها غايات بحد ذاتها وبناء على ذلك فان ( تدقيق ) الحادثة التاريخية التى نزلت بشأنها آيات من القرآن الكريم لا يجوز له مطلقا أن تطغى على المغزى الكامن فى تلك الآيات ولا على ارتباطها الداخلى بالتقاليد الاخـلاقية التى يعمل القرآن فى مجموعة على تركيزها فى النفوس .

وبتعبير آخر فان غاية القرآن وهدفه هو الحاضر لا الماضى : حاضر كل رجل وامرأة يقرأونه ويستمعون اليه .

ويجب أن نذكر أن عظمة القرآن الفريدة لا تتجلى فى شىء بقـدر ما تتجلى فى الحقيقة الهامة وهى أننا كلما اتسعت معلوماتنا عن العـالم وزادت تجاربنا التاريخية كلما تكشفت لنا معان جديدة للقرآن الكريم لم يكن لنا بها عهـد من قبـل .

على أننى لا أزعم لنفسى أننى استطعت أن أنقل لقـارىء الترجمـة شيئا من ذلك النغم السمـاوى الذى لا يوصف وتلك البـلاغة المعجـزة الموجودين فى القرآن الكريم .

( ترجمة : محمود الشريف )

( ٤ )

وفى اطار المحاولات التقريبية الشديدة الخطر ظهرت كتب لمسلمين تربط نفسها بالاستشراق ومنها الدراسة التى دارت حول ترجمة معانى القرآن فى كتاب الفه بالانجليزية الدكتور ( لعل محمد شاولا ) بقسم دراسات الرياضيات بجامعة الملك عبد العزيز .

وقد عرض له الدكتور أحمد عبد الحميد غراب وكشف ما فيه من شبهات ومتابعة لمفاهيم المسيحيين واليهود وركز على ما عرضه من صلة للقرآن بأهل الكتب والكتب السابقة فأشار الى أنه عالج هذين الموضوعين فى تشـويه بالغ الخطورة للحقيقة كما وردت فى القرآن الكريم فالمؤلف يهون من خطورة تحريف التوراة والانجيل بدلا من أن يصف هذا التحريف على حقيقته التى

بينها الله تعالى فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم ومنها على سبيل المثال قوله جل شـــانه .

**( فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليـــلا ) — البقرة .**

**( يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ) آل عمران .**

**( من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ) النســـاء .**

وتحت عنوان ( القرآن وأهل الكتاب ) لا يشير المؤلف اطلاقا الى هذا التحريف ويركز فى مكان لاحق على أن القرآن مصدق لما فى التوراة والانجيل وان كل ما ورد فى التوراة الحالية مسبوقا بعبارة : ( قال الله لموسى ) أو قال موسى وعبارة قال الرب الهك ينتمى الى التوراة الاصلية غير المعروفة وهى التى يصدقها القرآن ، ويضيف الى ذلك قوله باننا اذا قارنا بين هذه الآيات المشـــار اليها فى التوراة ونظائرها فى القرآن فاننا نجد أقل فرق بين الكتابين وهذا لا ينطبق فى رأى المؤلف على التوراة فحسب بل ينطبق كذلك على الانجيل فى معظم اجراء الكتب السبعة عشر الحديثة .

وعن العهد القديم ( كتب أنبياء بنى اسرائيل ) يقرر المؤلف أن معظمها وحى صادق ولا يهتم بأن يذكر المصادر والمراجـــع التى استقى منها هذه المعلومات : هذه الاباطيل التى تضلل القـــارىء وتنـــاقض القـــرآن الكريم وتعارض ما قرره العلماء والباحثون فى الاديان من أن تحريف التوراة والانجيل قد تم بصورة أخطر وعلى مدى أوسع مما يقول به المؤلف .

( راجع كتاب موريس بوكاى : التوراة والانجيل والقرآن )

ويعطى المؤلف انطباعا واضحا بان هناك مساواة بين القرآن والتوراة والانجيل وان الفرق الوحيد هو أن القرآن حافظ على ما قبله من الكتب المنزلة ولذلك ترجم المؤلف ( مهيمنا ) فى قوله تعالى ( مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ( المائدة ) ترجمها ( guardian ) وهى ترجمة خاطئـــة لأن ( مهيمنا ) تدل بوضوح على سمو القرآن الكريم على الكتب المنزلة قبله

وبخاصة فى صورتها الحالية وذلك على الاقل من ثلاثة اوجه :

١ — ان الكتب السابقة نزلت على رسل بعثوا لاقوامهم خاصة اما القرآن فقد نزل للناس كافة .

٢ — الكتب السابقة وخاصة التوارة والانجيل قد حرفت بينمـا حفظ الله تبارك وتعالى كتابه من كل تحريف .

٣ — يشتمل القرآن الكريم على الرسالة الموحى بها فى اكمل صورها ومن ثم فهو ناسخ لما قبله ولا يمكن أن يكون مسـاويا .

وفى فصل ( القرآن وأهل الكتاب ) يذكر المؤلف اشياء قليلة من اهل الكتاب ويهمل ذكر الحقيقة الكاملة لما وردت فى القرآن الكويم ويهمل ذكر أوصاف وأخلاق اليهود فى القرآن ، كما يهمل وصف القرآن للنصارى الذين أدعوا الوهية المسيح أو قالوا بالتثليث وكذلك أهمل ما ورد فى القـرآن من أوصاف رجال الدين اليهود والنصارى ( الاحبار والرهبان ) وتسامح الاسلام فى معاملة اهل الكتاب .

ومن الواضح أن معرفة المؤلف باللغة العربية معرفة ضئيلة لا تتناسب مع جلال الموضوع التى تناوله بالدراسة .

● ● ●

**حاشية :** بالرغم من حسن النية الذى اشار اليه بعض الباحثين بالنسبة لترجمة جاك بجك فانه عجز عن استيعاب حقائق أساسية :

اهمهـا :

١ — مقولته من أن القرآن ترجمة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أن القرآن يشمل التشريع وقصص الاولين والبراهين على وجود الله تبارك وتعالى .

٢ — أخطأ فى قوله أن المصحف لا يتبع الترتيب الزمنى للنزول .

٣ — مقولة القول بأن ترتيب القرآن على نحو يجعل كل سوره لموضوع معين ، ومصدر الخطأ اساسا هو أن ( جاك بيرك ) يتعامل مع القرآن المنزل من رب العالمين على انه كتاب من تأليف بشر والحقيقة ان القرآن ليس كتاب تاريخ ولكنه كتاب وحى الهى يخاطب الوجدان والعقـل ويحمل مفهوم الغيب .

## (٦)
## القرآن والمؤامرة عليه

تركزت المؤامرة على القرآن الكريم فى محاولات اليهود والنصارى القائمة على التشكيك فى النص القرآنى وتحريف القرآن والنيل منه ايمانا بأن القرآن هو عمود هذا الدين كله وما يناله ينال الاســـلام .

ولقد تعددت محاولات التحريف للايات المتعلقة بهم ودعوتهم الى كتابته بالحروف اللاتينية بدلا من العربية ، والدعوة الى كتابة القرآن حسب ترتيب النزول والدعوة الى كتابة القرآن حسب الاملاء الحديثة ومنها مؤامرة التقليل من حفظه .

٢ — ولقد كان أكبر تركيز المستشرقين على القراءات وقد عمدوا على أن يثبتوا كثيرا من الشكوك حيال النص القرآنى باعتبار أن القرآن هو مصدر الفكر الاســـلامى وموجهة وهو الذى شكل العقل الاسلامى ودفعه الى ارتياد ما ارتاد من مسالك العلم وطرق المران واساليب الحضارة فضلا عن التغيير الهائل الذى أحدثه القرآن فى حياة الأعراب .

ومن هنا فقد نشروا عددا من الكتب المضطربة لاثارة البلبلة والشبهات حول القراءات وكان فى مقدمة ما نشروه ( كتاب القراءات الشاذة ) لابن خالويه وكتاب ( المصاحف لابى داود السجتانى ) الذى نشره المستشرق آرثر جفرى .

وهو كتــاب مضطرب تشبث به المستشرقون لانه روى هذه الرواية الكاذبة التى تقول ان القرآن كان يكتب بالهوى والتشهى كما أن كتابه كانوا يكتبون ما يشاءون غير ما يملى عليهم .

ولقد اشار ارثر جفرى الى طريقة المستشرقين فى البحث فقال : أنهم يجمعون الظنون والاوهام والتصورات بأجمعها ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ما كان مطابقا للمكان والزمان وظروف الاحوال .

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : انهــم لم يخدعوا عن الوسيلة الصحيحة وانما تعمدوا أن يسلكوا هذا المنهج الغريب الذى ( يهدم ) أهم ركن قامت عليه ثقافة المسلمين وهو نقد الاسانيد بجوار نقد المتون ، أى استعمال النقد الخارجى للنص الى جانب النقد الداخلى .

يقول آرثر جفرى فى مقدمة كتاب المصاحف لابن ابى داود :

الرأى الشائع عن أن القرآن الكريم كتب فى عهد من النبى عليه السلام لا يقبله المستشرقون لانه يخالف ما جاء فى أحاديث أخرى من انه قبض صلى الله عليه وسلم ولم يجمع من القرآن شىء .

والواقع أن هذا اتهام باطل اذا قبل هذا الكلام على اطلاقه فالقرآن لم يجمع فى مصحف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه كان مجموعا بكامله وانه ما نزلت آية الا وقد امر رسول الله من يكتب أن يضعها فى موضع كذا من سورة كذا .

وان القول بأن خوف عمر بن الخطاب وابى بكر الصديق حين استحر القتل بالقراء يوم القيامة الى جمعه فهو استدلال فى غير موضعه،ذلك ان الخطوة الأولى فى توثيق النص القرآنى على عهد الرسول كانت كتابته حين النزول ومنع كتابة شىء سواه ؛ والسبب فى ذلك يرجع الى صيانة القرآن الكريم من الاختلاط بغيره يدل على ذلك ما رواه ابو سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن فمن كتب عنى شيئا سوى القــرآن فليمحه . وقد وثق القرآن توثيقا مكينا فى عهده صلى الله عليه وســـلم لانه كتب كله بأقلام كتاب الوحى بيد أنه لم يجمع فى مصحف لان الحاجة لم تكن ماسة اليه .

● ● ●

واثيرت شبهات الاستشراق حول رسم المصحف العثمانى والقــراءات.

والواقع أنه لما اتخذ المصحف هذا الرسم شعارا له اصبح سنة ملزمة لا تخالف واطلق عليه الرسم العثمانى ذلك لان رسوم الهجاء تتغير من زمن الى زمن فصيانة لكتاب الله تبارك وتعالى من عبث العابثين واغلاقا لبــاب التغيير فيه واحداث ما ليس منه أصبح هذا الرسم مقدسا لا يمس .

وقال الامام أحمد : تحرم مخالفة مصحف عثمان فى ( واو أو باء او الف )، قال البيهقى فى شعب الايمان : من كتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوا شيئا فانهم كانوا اكثر علما واصدق قلبا ولسانا .

والرسم غير القراءة لان القراءة مصدرها الرواية والرسم مصدره طريقة الكتابة المعروفة اذ ذاك ، وبناء على هذا فاننا نقرأ الاية وننطق بكلماتهـا كما رويت لا كما رسمت ولو سرنا فى طريق الرسم وحده لخرجنا بالقرآن عن حقيقته التى نزل بهـا .

ومما يخطىء فيـه المستشرق جولد سيهر : قوله فى رسـم المصحف والقراءات أن نشـأه الكثير من القراءات المختلفة ترجع الى رسم المصحف — ويقول وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات فى القراءات الى خصوصية الخط العربى ، اذن فتحلية هيكل الرسم بالنقط واختلاف الحركات كانا هما السبب الأول فى نشأة حركة اختلافات القراءات فى نص لم يكن منقوط أصلا »

وهذه مقولة خاطئة وظالمة ومن أقدح ما تورط فيه المستشرق جولد سيهر اليهودى بعدائه الخفى للقرآن والاسلام ، انه بهذا الرسم يهدم الحقيقـة التى استقرت فى نفوس المسلمين من أن القراءات مصدرها الرواية والسماع لا الخط والرسم .

ومن اكبر الادلة على بطلان راى جولد سيهر أن هذه القراءات رويت وجرت القراءة بها قبل تدوين المصاحف كما كان القرآن محفوظا فى الصدور قبل تدوين المصاحف ثم حين دونت المصاحف لم يكن النقط عرف ولا الشـكل اخترع ، فظهرت حركة القراءات قبل النقط والضبط وكانت قراءاتهم للكلمة على حسب ما يرون وينقلون لا على حسب ما يقرءون فى المصاحف .

اما مجافاتها للتاريخ فان عثمان رضى الله عنه جرد المصحف من النقط لتحمل رسم القراءات المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يحدده فى قراءة بعينها او حرف بعينه واصحاب رسول الله اتفقوا على صنيع عثمان فى المصحف وفى رسمه وبذلك كانت هذه القراءات العديدة لا ترجع الى الرسم وانما مرجعها الاول والاخير الى السند والرواية والدليل الاوضح الذى يهدم راى المستشرق هو محاكمة ابن شنبوذ الذى ثار عليه العلماء من أجل رأيه الذى يقول فيه : ما وافق خط المصحف العثمانى صحت القراءة به متى صح وجهه فى العربية يقطع النظر عن الرواية وقد رجع ابن شنبوذ عن رأيه لما أدب وعذب واستتيب .

٣ — كذلك اثيرت الشبهات من جهة الاستشراق حول حركة الاعراب

فى القرآن الكريم ، قال كارل فولرس أن القرآن نزل فى الاصل بلهجة محلية من اللهجات العربية وأن لم يكن معربا ثم ادخل الاعراب عليه على وفق قواعد لغة الشعر ، وقد ورد هذا القول العاطل من المستشرق كاله وحايم دين وشبهه هؤلاء أن كاله وجد فى مخطوطين عثر عليهما فى لندن احاديث فى الحث على التزام قرآن الاعراب فى قراءة الكتاب العزيز فاستدل بهما على ان الناس لم يكونوا يراعون الاعراب فى قراءة كتاب الله فى بادىء الامر ثم روعى الاعراب فيهما على وفق قواعد المنطق المضبوطة فى الشعر العربى والتى دونهـا علماء النحو فيما بعـد .

العلة الاولى لهذا الرأى الخطير ترجع الى وجود بعض احاديث تنص على التزام الاعراب فى قراءة القرآن :

**« اعربوا القرآن — أعربوا القرآن فانه عربى ، تعلموا اعراب القرآن كما تتعلمون حفظه » .**

والمراد بالاعراب هنا الابانة والتوضيح وفهم الغريب .

وكان الصحابة يسمون هذا الغريب ( اعراب القرآن ) لأنهم يستبينون معانيه ويلخصونها .

هذا الفهم الذى فهمه بعض المستشرقين يدل على جهل باللغة بل على جهل بالتاريخ . أما الجهل باللغة فان الاعراب هنا كما قلت معنـاه الابانة والوضوح : قال الفيروزبادى :

الاعراب : الابانة والافصاح عن الشىء .

وأما أن يرجع الاعراب الى بيان حلاله وحرامه اى تعرفوا على ما فيه من خلال فاعملوا به وعلى ما فيه من حرام فاجتنبوه اما الجهل بالتاريخ فان القرآن الكريم نزل على قوم تمكنت السنتهم الفصاحة وغذوا بلبنان البلاغة وتدربوا على ميادين القول ولن يكون ذلك الا باعراب ولو كان بلهجة محلية كما يقول بعض المستشرقين لسهل الامر واصبح القرآن غير معجز لانه من السهل الاتيان بمثله ومن السهل أن يندثر هذا القرآن كما اندثرت بعض هذه اللهجات وأصبحت أثرا بعد عين أما والقرآن هو الذى خلد هذه اللغـة وخلد اعرابها وجعلها حية بعد هذه السنين الطويلة التى طوت فيما طـوت كثيرا من اللغـات فانه لا سبيل الى انكار أنه نزل معربا وان القول فى ذلك

قول مغرض أكبر الظن أنه فتح الثغرات فى جبهة القرآن لينال منهـــا من ينـــال .

والواقع ان حركة الاعراب فى القرآن بدات بتنقيط المصحف على يد أبى الاسود ورووا أنه احضر له زياد بن أبيه ثلاثين رجـــلا لهذا العمل العظيم فاختـــار منهم ابو الاسود عشرة ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس فقال له : خذ المصحف ... فاذا فتحت شفتى فانقط واحدة فوق الحرف واذا ضممتها فأجعل النقطة الى جانب الحرف فاذا كسرتها فأجعل النقطة فى أسفله فان اتبعت شيئا من هذه الحركات عنه فانقط نقطتين فابتدأ بالمصحف حتى اتى على آخره ثم وضع المختصر المنسوب له بعد ذلك .

( نزهة الالبـــاب لابن الانبـــارى )

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : حفظ الله تبارك وتعالى القرآن خاليا من التحريف أو التغيير ، سالما من التناقض الذى أصاب ما سبقـــه ( التوراة والانجيل ) والتى اختلط منها ما كان من كلام الله تبارك وتعالى بما هو من حكايات البشر ووضع الكهان على نحو يجعل نسبتها الى رسالات الأنبياء ازراء قيام الالوهية والنبوة معـــا .

اما القرآن فقد تحقق له وعد منزلة ، وكان هذا الوعد عاصما من الزلل فى وجه مهمات تاريخية .

ولقد كان هدف الفلسفات التى تأدى بها مفكرو العصر تفويض دعائم الاعتقـــاد بالاله الواحد بالدعوة الى الوهية المادة والوهية الانسان .

وجاء الفلاسفة الوضعيين ليهونوا من شأن الاسلام وحركته التاريخية واعتبر اوجست كونت الاسلام مرحلة كانت ضرورية كحلقة فى سلسلة تطور البشرية نحو الدين الجديد والنهائى : وهو الوضعية ومن هنا كانت محـــاولة الاوربيين تطبيق نتائج هذه الفلسفات على تراثنا وعلى القرآن ومحاولة النيل من القرآن كنص مقدس موثق تمام التوثيق .

ومن هنا كان التشكيك فى وثاقة نص القرآن باثارة قضايا القراءات ورسم المصحف .

● ● ●

وكان من دعاواهم : الدعوة الى تغيير ترتيب القرآن وقد جهل هؤلاء أن ترتيب القرآن كان توقيفيا ومعنى توقيفيا أنه بأمر صاحب الرسالة وجهلوا أن تغيير ترتيب القرآن فيه خرق لاجماع أئمة المسلمين كلهم ، وفيه حيلولة دون حفظ القرآن فى الصدور وتشويش لنظم القرآن وقضاء على روعة هذا النظم وبلاغته وعذوبته التى تصح التلاوة بها وبها تقع على كل قلب مهما تكرر سماعه مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( لا يخلقه كثرة الرد ) .

ومعنى كونه توقيفيا أى لا يجوز الخروج عليه وفى الخروج عليه هدم لركن من أركان الاسلام وايجاد اضطراب لهذا النظم الالهى البليغ يحول دون سهولة حفظه التى يسرها الله تبارك وتعالى بما أودع فيه من دقة فى النظم وارتباط يمسك بالفكر ويتسلسل فيه الحفظ .

• • •

( ٧ )

# اعتراف عالمى بالقرآن الكريم

بالرغم من موقف الغرب كله من القرآن الكريم من خلال التعصب او الحقد او الاختلاف فى وجه النظر فان القرآن الذى وصـــل الى الغرب محرفا والذى لم تستطع اللغات التى حملته ان تكشف عن عظمته او اعجازه ومع ذلك فقد استطاع ان يكسب بعض ذوى العقول والافهام من اهل الانصاف .

فيقول كارليل : ان القرآن كتاب لاريب فيه وان الاحساسات الصادقة الكريمة التى تظهر لى بفضل القرآن والفضل الذى هو أول وآخر فضل وجد فى كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافاتها .

ويقول جيبون : القرآن مسلم به من حدود الاتلانتيكى الى نهر الكانج بانه الدستور الاساسى ليس لاصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنيـــة وللشرائع التى عليها مدار نظام حياة النوع الانسانى وتدبير شئونه .

ويقول وشنطون ارفينج : القرآن فيه قوانين زكية سنية .

ويرى اميل درمنجم انه لاجل بعث حضـــارة اسلامية جديدة تضاهى حضارة السلف بل تفوقها : يكون بالرجوع الى القرآن والحديث فانزال هذه التعاليم السامية حية نابضة متدفقة قوة وحكمة فاذا ما استمد منها المفكرون فانهم يقيمون بدورهم صرحا يبعث من جديد حضارة اسلامية تتبوأ مكانها بين حضارات القافلة البشرية .

اما فولتير فيقول فى معجم الفلسفة : نحن لا نجهل ان القرآن يميز الرجل بتلك الميزة المطلقة المعطاة له من الطبيعة عن المراة ولكن القرآن يختلف عن التوراة فى انه لا يجعل ضعف المراة اليها كما ورد فى سفر التكوين ( ٣ : ٦ ) ومن الخلط ان ينسب الى شارع عظيم كمحمد ، مثل تلك المعاملة المنكرة للنساء والحقيقة ان القرآن يقول : **( فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا )** .

ويقول **( ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا )** .

اما فيليب دى طرازى : فيقول انه من المقرر انه لولا القرآن لما انتشرت

اللغة العربية الفصحى فى الخافقين ، لولا القرآن لما اقبل الالوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودروسها والتعامل معها ، ولولا القرآن لظل اهل كل بلد من البلدان التى انضمت للاسلام ينطقون بلهجة لا يستعملها اهل البلد الاخر ، فقد حفظ القرآن التفاهم بالعربية بين الشعوب الاسلامية وبين العـــرب .

ومن روائع تأثير القرآن أن أئمة المسلمين من غير العرب يرتلونه بلغته العربية ويحافظون على تجويده ويرشحونه لابناء لغاتهم ، هؤلاء المسلمين غير العرب يناهز عددهم ( ... مليون نسمة ) فى تركيا وايران وكردستان وفى روسيا والبلقان وجاوه والصين واليابان والحبشة وقلب افريقيا وبعض انحاء أوربا وامريكا واستراليا .

تلك مزية ينفرد بها القرآن دون سواه من الكتب المنزلة فالتوراة مثــلا لا يقرأها بلغتها العبرية الا احبار اليهود ونفر ممن تفرغوا لدرسها اما سائر اليهود فان كلا منهم لا يقرأ التوراة الا بلغة سكان البــلاد التى يعيش فيها وقس على ذلك كل المسيحيين فى انحاء العالم بأسره فانهم يقرأون الكتـــاب المقدس مترجما الى اللغة الجارية بالاستعمال .

اما أميل درمنجم فيقول : أن القرآن هو معجزة محمد الوحيدة فان جماله الادبى الفائق وقوته النورانية لا يزالون الى اليوم لغزا لم يحل وهما يضعان من يتلوه فى حالة خاصة من الحماس ، لقد تحدى محمد الاناسى والجن ان يأتوا بمثله وهذا هو برهان رسالته بالمعنى الكامل .

ويقول دوزى : بينا أهل أوربا فى ظلام الجهالة لا يرون الضوء الا من سم الخياط اذ سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية من علوم وادب وفلسفة وصناعات .

ويقول هاملتون جب : من الاهمية القصوى أن نتذكر أن القرآن ليس كتاب لاهوت ، لان اللاهوت تأويل الكون تأويلا فلسفيا عقليا قائما على أساس معطيات الحدس الدينى أو انه يتسق مع هذا الحدس .

● ● ●

ويقول ستانلى لين بول : لا ننكر أن الفضل فى تغلغل الروح العربيـــة فى نفوس المسلمين يرجع الى حفظهم القرآن والى تلاوتهم الصلوات الخمس

فاللغة العربية يشد القرآن ازرها كما كان القرآن أساسا لجميع ما كان يعلم في حلقات العلم وأن عدم التفريق بين الاساتذة من حيث الجنسية أدى الى ابقاد شعلة الفكر في ادمغة كثيرين ممن كانوا يرتادون المساجد وكانوا يرحبون بالطلاب على اختلاف مللهم ونحلهم حتى ولو كانوا من الفقراء المعدمين .

واللغة العربية بجمال لفظها وبكونها لغة القرآن كانت اقوى عامل في اجتذاب طلاب المعرفة من اقصى البلاد الاسلامية الى المراكز العلمية .

ويقول جوستاف لوبون : لقد كانت نصوص القرآن قاطعة بعيدة عن الشك خلافا لكتب البراهمة المقدسة وقوامه التوحيد المطلق فالله الواحد المطلق الذى دعا اليه الاسلام منزه عن شريك له ومهيمن على كل شىء .

وتشتق سهولة الاسلام من التوحيد المحض ، ومن التوحيد سر قوة الاسلام وقد جمع القرآن بين مختلف الشعوب التى اتخذته دستورا لها ويقضى أعداء الاسلام العجب من سرعة انتشار القرآن ، والواقع أن القوة لم تكن عاملا فى انتشار القرآن وان العرب تركوا المغلوبين احرارا فى اديانهم فضلا عما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس عهد به ولما كان عليه الاسلام من السهولة التى لم تعرفها الاديان الاخرى ولقد كانت مسامحة محمد لليهود والنصارى عظيمة الى الغاية مما لم يقل بمثله مؤسسوا الاديان التى ظهرت قبله وقد سار خلفاؤه على سنته .

وان المسلين هم وحدهم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح نحو اتباع الاديان الاخرى .

● ● ●

ويقول الدكتور فاندو بيك ( رجل القانون البلجيكى ) لقد اقتنعت بأن القرآن كتاب منفرد ليس من وضع البشر بل هو بحق كتاب الحياة والموت ودستور السماء للافراد والجماعات ، فيه كل شىء بدءا من السلوك الشخصى للانسان الى المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الرائعة للانسانية كلها .

واستطيع ان اؤكد عن يقين انى ادركت ذاتى الحقيقية حق الادراك وأنا

أقرأ القرآن فلقد وجدت فى كل آية منه فلسفة متكاملة لا يرقى الى قولها بشر ، وآمنت بأن هذا القرآن انما جاء من ذات عليا سامية أعلم من كل البشر وتتحدث للانسان وهى تحترم ذاته واذ لو استقامت فترشده الى المسلك الصحيح فى حياته .

ويقول ادوار مونتيه مدرس اللغات الشرقية فى جامعة جنيف وقد ترجم القرآن الى الفرنسية ، القرآن فى الحقيقة ذو قيمة خارقة للعادة ، فهو بين الكتب الدينية من أعظمها شأنا يشمل على الحياة الروحية والاجتماعية ولا ينبغى لقارىء القرآن ان يعجب من التكرار الذى يجده فيه فان مثل هذا التكرار معهود فى أعظم الكتب الدينية مثل التوراة .

● ● ●

اما هـ . ج . ولز فيقول فى حديث له مع أمين الريحانى :

أن فى القرآن أشياء كثيرة حسنة تكاد تهمل ، فحبذا تجديد الحياة فيها ، ناهيك أن القرآن هو عروة الاسلام الوثقى أو هو على الاقل وسيلة بحسن استخدامها فى تحقيق الوحدة الاسلامية ولو لم يكن لدى المسلمين من واسطة الى اتحاد لوجب عليهم اختراعها ولكن كتابهم خير واسطة،لست ممن يؤمون الكنيسة للصلاة ورأيى فى الدين انه لا يزال فى حالة الامتحان والتجربة ومع ذلك فانى على يقين تام فى أمر واحد ، انه اذا كانت انجلترا فى خطر من الاحتلال الاجنبى وكان ابنائها مشتتى الشمل فلا أتردد من دعوتهم الى الانجيل واتخذ منه شارة جنسية وعلما وطنيا وعروة شاملة فى الوحدة القومية ومن رأيى أن يتمسك المسلمون بالقرآن ويتعلموا العلوم الطبيعية .

ويقول ميخائيل نعيمة : أن معجزة العرب الكبرى هى القرآن وهى وحدها التى تستطيع ان تجعل من العرب قوة وأين منها قوة الاساطيل البحرية والجوية والقنابل الجهنمية ، واين منها قوة المال والرجال فالاساطيل للصيد والرجال للموت والمال للزوال ، أما معجزة القرآن فللبقاء ذلك انها اقامت للعرب وغير العرب هدفا من حياتهم ، وكانوا بغير هدف واختطت طريقها الى الهدف وكانوا بغير طريق وما اكتفت بأن أقامت لهم هدفا واختطت لهم طريقا بل انها برهنت لهم بحياة النبى وصحابته أن ذلك الهدف مستطاع بلوغة على من سار فى الطريق ولو لم يترجم النبى وصحبه القرآن الى أفعال لما كانت المعجزة،

معجزة اجل أن معجزة العرب هى القرآن ، الا انها اصبحت اليوم وكأنها ليست معجزة وذلك لكثرة ما الفتها الشفاة والاذان والعيون واغلقت امامها القلوب اما المفتاح الذى اعطى لهم فى القرآن فجوهره يتبركون بلثمها ويباهون بجمالها ولكنهم يتهربون من استعمالها .

• • •

ويقول مارسيل كانى :

فانظر فى الروح الاجتماعية التى فرضها القرآن على اهله ، تأمل فى هذا مائتين واربعين مليونا ( تعداد المسلمين وقت كتابة هذا النص ) تدعى خمس مرات فى اليوم لاداء الصلاة فيجيبون داعيها ويتوجهون جميعا صوب مكة ويقرءون عبارات واحدة ويركعون ويسجدون جميعا على نحو واحد ويدينون جميعا بعقيدة واحدة وشريعة واحدة ، معترفين طرا بالعقد الاجتماعى الذى يربطهم وفى وسط هذه الوحدة اليومية الهائلة يشعر كل واحد بأنه تحت نظر الجميع لان حارس العقيدة والشريعة والعقد الاجتماعى هو الرأى العام فى الاسلام .

فالمسلم على استقلاله المطلق فى حياته الخاصة وتفرده بالسلطان فى بيته ، هذا المسلم نفسه فى حياته الاجتماعية مكشوف الحال أمام أعين اخوانه اجمعين ، ولانكار الرأى العام لشىء من الاشياء قوة لا حد لها فى جماعة المسلمين فكل من يناقض هذا الرأى العام ويتعدى حدوده يعتبر لديهم ملعونا باشد معانى الكلمة ولا يوجد فى العالم رأى عام له مثل هذا السلطان على الناس وهذا السلطان يسرى على المجال الادبى والمجال الاجتماعى على حد سواء .

والاسلام ليس مملكة بالمعنى السياسى لهذه الكلمة ولم يكنها قط حتى فى عهد عظمته الاولى ، ولكنه عقيدة وشريعة ووحدة اجتماعية .

• • •

أما الدكتور موريس بوكاى فله رؤيا كاملة يقول :

لقد قمت بدراسة القرآن الكريم دون فكر مسبق بموضوعية تامة . باحثا عن درجة نص القرآن ومعطيات العلم الحديث وكنت اعرف قبل هذه الدراسة

وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتى كانت وجيزة وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى استطعت أن أحق **أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهـة نظر العلم فى العصر الحديث**.

أن حجة القرآن التى لا تقبل الجدل تعطى النص مكانه خاصة بين كتب التنزيل ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة لا العهد القـديم ولا العهد الجـديد .

ولذلك فانى اطالب بحتمية دراسة الامور العلمية والتاريخية الواردة فى الكتب المقدسة على ضوء القرآن فقط دون سواه فهو وحدة الذى لا تحتوى على اى مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث » .

● ● ●

نعود الآن فننظر فيما كتبه الغربيون الذين اسلموا

يقول ليوبولد فايس ( محمد أسد ) .

أن الغربى لا يستطيع أن يتقبل نظرية القرآن بأن الحياة وحدة كاملة لا يمكن تجزئتها وان مشاكل الجسد والعقل ومشاكل الجيش والاقتصـاد ومشاكل الاصلاح الفردى والعدالة الاجتماعية هى مشاكل مرتبطة ارتباطا وثيقا مع مساعى الانسان وآماله فى حياة رضية بعد الموت .

أما الاسباب الرئيسية لعدم توافر التقدير الكافى للقرآن الكريم فى الغرب فيرجع الى تلك الصفة التى تميز القرآن — جـذريا — عن سـائر الكتب المقدسة ، هذه الصفة هى تركيزه فى اهمية العقل باعتباره الطريقة الوحيدة التى تفضى الى الايمان .

فضلا عن اصراره على ترابط المجالات الروحية والمادية والاجتماعية للنشاط الانسانى ، اى ارتباط عمل الانسان اليومى وسلوكه الدنيوى بحياته الروحية ومعبده .

وهكذا فان عدم تقسيم القرآن الحياة الانسانية الى قسمين : ( روحى ومادى ) يجعل من الصعب على الذين نشأو فى ظل ديانات اخرى تشـدد عادة على عنصر خارق للطبيعة وتزعم انه لابد أن يكون موجودا فى كل تجربة

دينية اصلية ان يقدروا النظرة العقلية التى ينظر بها القرآن الكريم لجميع القضايا الدينية .

ان تداخل التعاليم الروحية مع التشريعات العملية للحياة فى القـــرآن يجد العقل الذى اعتاد على قرن التجربة الدينية بنشوة الانفعال الوجدانى ازاء الاشياء الخفية المستترة — بعيدا عن ادراك الحس والعقل لذلك يتولاه الحيرة حين يجد نفسه فجاة فى مواجهة المفهوم القــرآنى الذى يتولى مهمة الدليل ، ليس فقط للحياة الروحية فى الاخرة ولكن للسعادة فى الدنيا بكل مجالاتها المادية والروحية والاجتماعية .

● ● ●

نعود بعد ذلك الى فهم المسلمين للقرآن ولنتعرف على رأى مصطفى صادق الرافعى : يقول :

( ان هذه العربية لغة دين قائم على اصل هو القرآن الكريم وقد أجمع الاولون والاخرون على اعجازه بفصاحة الا من لاحفل له به من زنديق يتجاهل أو جاهل يتزندق فاذا كان المعجز فى لغة من اللغات باجماع علمائها وادبائها هو من قديمها فهل يكون الجديد فيها كمالا أو نقصـــا .

ثم أن فصاحة القرآن يجب أن تبقى مفهومة ولا يدنو الفهم منها الا بالمران والمزاولة ودرس الاساليب الفصحى والاحتذاء بها واحكام اللغة والبصر بدقائقها وفنون بلاغتها والحرص على سلامة الذوق فيها وكل هذا مما يجعل الترخص فى هذه اللغة واساليبها ضربا من الفساد والجهل فلا تزال اللغـــة كلها مذهبا قديما وانما يكون المذهب الجديد فيها رجلا الى حين ، ثم يدخل مذهبه معه القبر .

وما عسى يصنع كاتب وعشرة ومائة والف فى لغة تنبض على كتابهـــا المعجز اربعمائة مليون قلب .

وكم من اسلوب ركيك او ضعيف او عامى ظهر فى هذه اللغـــة منذ دونوا وكتبوا وكم من فكر فاسد او رائع او مدخول وكم من كتاب كان يصلح لان يسمى بلغة اليوم مذهبا جـــديدا ، فاين كل ذلك واين اثره فى اللغـــة واساليبها بعد ثلاثة عشر قرنا ، لقد ابتلعته ثلاث عشر موجة فانحدر الى اعماق الموت الطامى .

( ٨ )

# الحملة على القرآن الكريم

تركزت الحملة على القرآن الكريم من جماعة المستشرقين والمبشرين وقد جمعتها فى النهاية دائرة المعــارف الاسلامية وهى فى تفاصيلها وجملتها تدور حول عدة مقولات باطلة .

١ — أن القرآن من صنع محمد ( صلى الله عليه وسلم ) وليس من عند الله ( تبارك وتعالى ) وان به شبها مما ورد فى التوراة والانجيل .

٢ — اتهام القرآن الكريم بانه مضطرب غير متماسك فى معالجة كبــار المعضلات .

٣ — محاولة اثارة الاتهامات حول جمع القرآن وتلاوته والقراءات السبع وحروف أوائل السور .

٤ — محاولة الادعاء بأن هناك مصاحف مختلفة فى مادتها فى الشــام والعــراق .

٥ — اثارة الشبهات حول ترتيبه فى المصحف وترتيب النزول .

٦ — الادعاء بانه أدخل على النص القرآنى تعديلات أو ضــاع قدر من السور القديمة .

ولقد التقط المستشرقون عبارات غامضة من بعض الكتب وحاولوا أن يجعلوا منها مصدرا لهذه الشبهات والاتهامات وتجاهلوا النصوص الحاسمة الثابتة المتعددة جريا وراء اثارة الشبهة والاتهام .

ونظرا لان هذه الكتابات كلها قد صدرت من صدور مليئة بالحقد وعقول مضللة ونفوس متعصبة ، ومن خلال هدف مبين هو صد الناس عن القرآن ، وصد أهله أيضا عنه ، وخوفهم من أثره العميق والشديد فقد توالت كتاباتهم التى جمات كل عبارات التعصب والحقد فادعوا أن القرآن كتاب يعيق النظر والفكر وان فيه تناقضا وهى نفس الدعاوى التى اثارها أسلاف المستشرقين من يهود المدينة ومشركوا مكة وزنادقة الفرس والملاحدة فى العصر العباسى .

ولم يكن هذا الادعاء الباطل ليقنع احدا فقد عرف المنصفون من الغربيين حقيقة الدور الذى قام به القرآن واثره البعيد فى بناء حرية العقيدة والفكر وفتح الطريق أمام العلم التجريبى بعد دعوته الى التأمل والنظر والتمحيض والاعتماد على البرهان والاستبصار بالقواعد المنهجية مما هو مصدر النهضة العلمية العالمية التى تعيشها البشرية اليوم .

● ● ●

وقد ظهر اثر القرآن واضحا فى تصريحات كثيرة فى مقدمتهــا تصريح ( جلادستون ) الذى حمل القرآن بين يديه فى مجلس العموم البريطانى وقال كلمته المعروفة ( ما دام هذا القرآن باقيا فى الارض وقائما فلن يقر لنا قرار ولن نستطيع أن نحكم المسلمين لذلك لا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به ) .

او قول وليم جيفور بلجراف : لا يمكن أن يتوارى القرآن الا بالقضاء على لغته ومن هنا كانت السيطرة على التعليم والصحافة للقضاء على اللغة العربية والعمل على هدم النحو والبلاغة ايمانا بأنه اذا قطع اللسان العربى انقطعت الصلة بينهم وبين القرآن وأصبح المصحف مجرد أثر مقدس بلغة غير مفهومة .

ومن هنا فقد خدع دعاة العامية والاقليمية فقد كان ذلك منطلق الدعوة الى تحطيم عمود الشعر والى اقتراح عبد العزيز فهمى لكتابة العربية بالحروف اللاتينية وفصل حركة تنامى اللغة العربية مع الاســـلام فى البـــلاد التى دخلها حتى حدثت هذه الفجوة الخطيرة التى مكنت النفوذ الغربى من كتابة اللغـــة العربية فى بعض البلاد بالحروف اللاتينية .

فليس من المبالغة فى شىء أن يقول : ان القرآن الكريم ( بوصفه النص الموثق الباقى على الزمان ما بقى الزمان بعد أن أصاب الكتب القـديمة كلها التزييف والتحريف بشهادة أهلها ) هذا القرآن هو كتاب الله الوحيـــد الباقى على الارض والذى لم يصبه الباطل ( لا من بين يديه ولا من خلفه ) وقد كان الهدف الاساسى والاكبر للحملة على الاســـلام .

ومن هذا المنطلق كانت تلك الحملة الصنارية عليه من قوى متعـــددة ، اليهودية والمسيحية والباطنية والهندوكية والشيوعية جميعــا بوصفه المنار الثابت المستعلى على كل المنارات والذي تطمح كل القوى فى اسقاطه او اطفاء نــوره .

أما ابعاد هذه الحملة فقد كانت واسعة جدا بحيث شملت اكثر من ألف مستشرق وحوالى ستة آلاف كتاب .

ثم عمد المستشرقون الى استقطاب بعض المثقفين المسلمين من العـــرب وغيرهم واغرائهم بحمل لواء هذه الدعاوى الباطلة وقدموا لهم وجوها من القول لاثارة الشبهات فى بلادهم بعد ان مكنوهم من تولى قيادة الحركة الفكرية سواء فى الجامعات او الصحافة على النحو الذى عرف عن طه حسين وامين الخولى ومحمد خلف احمد ولويس عوض وتغريد عنبر .

**انتحال الشعر الجاهلى فى مواجهة اعجاز القرآن :**

وكانت نظرية مرجليوث فى الانتحال فى الشعر الجـــاهلى أولى السموم النافثات التى وجه الاستشراق اليها نظر تابعيه من أمثال طه حسين وغيره وان كان قد جد رأى فى السنوات الاخيرة أن طه حسين اعتمد فى رأيه هذا على كتابات ( رينان ) .

وكانت الدعوة الى انتحال الشعر ، والتشكيك فى صحة هذا الشعر الجاهلى بأنه كان قاعدة اساسية من قواعد فهم القرآن الكريم وتفسيره .

وقد اثر عن عمر بن الخطاب مقولته الشهيرة لاصحابه :

( عليكم بديوانكم لا تضلوا ) .

قالوا وما ديواننا قال : شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعـــانى كلامكم وقد جاء ذلك على اثر سؤال سائل عن معنى قوله تعالى :

**( او يأخذهم على تخوف ) .**

فقام شيخ من هزيل فقال ان هذه لغته وان معنى التخوف التنقص فساله عمر عن شاهد من قول العرب فى ذلك فانشد الهذلى قول القائل :

تخـــوف الرحل منها تامكا قردا

كمـــا تخوف عود النبعة السفن

وقد أورد السيوطى المناقشة التى دارت بين ابن عباس ونافع بن الازرق حول الاستشهاد بالشعر العربى فى تفسير القرآن .

وقال ابن خلدون : ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه من مفرداته وتراكيبه .

وهكذا نبين مدى أهمية الشعر الجاهلى فى تفسير القرآن ومدى اهتمام المستشرقين بالتشكيك فيه . حيث ترجع أهمية الشعر العربى باعتباره المدخل الرئيسى لفهم الروح العربية ، ذلك الشعر الذى جعله العرب ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم .

وقد أشار الباحثون الى أن صلة مرجليوث بقضية الشك فى الشعـــر الجاهلى قديمة رافقته طوال حياته العلمية واستغرقت ربع قرن حتى تطورت فى بحثه ( أصول الشعر العربى ) الذى نشره عام ١٩٢٥ فى مجلة الجمعيـــة الملكية الاسيوية .

وهو يفترض أن القرآن جاء بلغة جديدة لا صلة لها بالشعر الجاهلى وكان القرآن لم يكن من بيئة العرب ولم يتحدث بلغتهم فاذا ذكر شاعر جاهلى عادات العرب فى الحج أو الصوم أو ذكر الافكار السائدة فى الاديان ، وجاء القرآن بهذه الالفاظ فان مرجليوث سرعان ما يحمل ذلك على أن الشعـــر قيل بعد القرآن وعلى نسقه .

وقد كان شعار مرجليوث الطعن فى القرآن وفى الشعر الجاهلى وانه لا ينظر الا بمنظار الشك فهو يهدم كل شىء ويشكك فى بداية الشعر وفى تدوينه ولغته وروايته ويطعن فى الاسلام وفى وحيه وعقائده وفى القرآن واعجـــازه والهدف هو انكار فضل القرآن على العرب وعلى العالم بأسره وبالتالى النيل من مكانة العربية التى حملت أسرار الاعجاز .

وتلك هى غاية الاستشراق فى محاولة اختراق الفكر الإسلامى والتراث الإســـلامى باثارة الشك حول اعجاز القرآن والشك فى الشعر الجـــاهلى بهدف إضعاف مصدر هام من مصادر فهم القرآن الكريم وتفسيره .

يقول عباس ارحيلة : لقد اخذ القرآن مكان الصدارة بوصفه النص الادبى الاول لهذه الامة ، ومن ثم فان فهم الرسالة السماوية بعقيدتها وتشريعها يقوم على فهم هذه الوسيلة الحاملة لفحوى مقاصد الرســالة واستيعابها

فالقرآن خطاب لغوى توسل بالضمير اللغوى لترسيخ الضمير الدينى وقد تحركت الدراسات القرآنية الى اثبات عربية القرآن مع مقابلة ذلك بما تعارف عليه العــرب .

١ — مجاز القرآن لابى عبيدة :

يقول : نزل القرآن بلسان عربى مبين فمن زعم أن فيه غير العربيـــة فقد اعظم القول .

٢ — معانى القرآن لابى زكريا يحيى بن زياد الفراء .

يقول : القرآن لا يخرج عن أساليب العرب وما تعارفت عليه من فنون القول وإن كانت له خصائصه التى تفرده عن غيره من ضروب الكلام .

ومن هنا يتضح أن الذهنية العربية تعاملت مع النص القرآنى على أساس لغوى أصيل يتمثل فى مادة ( الشعر الجاهلى ) ذلك الشعر الذى يمثل شاهد اثبات على مجاراة أساليب العرب لانماط التعبير القرآنى .

ومما يفسر قول عبد الله بن عبـــاس : اذا تعـــاجم شىء من القـــرآن فانظروا فى الشعر فان الشعر عربى .

ومن هنا كان منطلق العناية بدراسة هذا الشعر والكشف عن خصائصه الاستعانة به للاسترشاد فى فهم معانى القرآن ومقاصده . ومن هنا يأتى أهمية الشعر العربى باعتباره المدخل الرئيسى لفهم الروح العربية .

وقد أثيرت قصة الانتحال من جديد فى العصر الحديث وتناولها المستشرقون والعرب وما بلغه المستشرق اليهودى مرجليوث فقد رفض الشعر الجاهلى بأكمله ( ١٨٥٨ — ١٩٤٠ ) ان المنهج الذى ابتدعه مرجليوث باثارة الشـــك فى رواية الشعر الجاهلى انما هو مكر خفى يطـــوى ادراكا لمنزلة الشعر الجاهلى فى شأن اعجاز القرآن .

ففى بحثه ( أصول الشعر العربى ) الذى نشره فى مجلة الجمعية الملكية الاسيوية ١٩٢٥ يفترض أن القرآن جاء بلغة جديدة لا صلة لها بالشعر الجاهلى وكأن القرآن لم يكن من بيئة العرب ولم يتحدث بلغتهم وهو فى جملة هدفه يرمى الى انكار فضل القرآن على العرب وعلى العـــالم بأسره وبالتـــالى النيل من مكانة اللغة العربية التى حملت أسرار الاعجاز وازداد الامر خطرا

لما وجد من أبناء يعرب من يقوم بهذه المهمة من أمثال طه حسين الذى ألح عليه الشك والذى حاول القول بأن ما نسميه أدبا جاهليا ليس من الجاهلية فى شىء وانما هو منحول بعد ظهور الاسلام هذا بالاضافة الى ما قاله مرجليوث من أنه شعر مصنوع وضع على مثال القرآن وهو الكيد الخفى للاسلام وأنه رفض الشاهد على الاعجاز القرآنى .

وقد أدرك محمود محمد شاكر ارتباط قصة الاعجاز بقضية الشك فى الشعر الجاهلى ايمانا منه بأن الحركة الاستشراقية ركزت جهدا كبيرا على التشكيك فى تراث الاســلام وبثت سمومها فى ميادين متفرقة منه فاعتبر ( مسالة الاعجاز ) أعقد مشكلة يمكن ان يعانيها العقل الحديث .

ذلك ان المنهج الذى ابتدعه مرجليوث باثارة الشك فى رواية الشعــر الجاهلى انما هو مكر يطوى تحت أدلته ومذاهبه وحججه ادراكا واعيا لمنزلة الشعر الجاهلى فى شأن ( اعجاز القرآن ) لا ادراكا صحيحا مستبينا بل ادراكا خفيا مبهما يخالطه ضغينة مستكنة للعرب والاسلام .

والهدف وضع اعجاز القرآن فى خبر كان .

وان العقلية الاشراقية الدقيقة فى الاستقصاء والبرهنة والاستنتاج تقف اليوم واجمة بعد فشل قضية الشك فى الشعر الجاهلى ؛ يقول أربرى ( وهو مستشرق ايضا ) ان السقطة واخشى ان أقول الغش فى بعض الادلة التى ساقها ( مرجليوث ) أمر بين جدا ولا يليق ألبته برجل كان ولاريب من أعظم أئمة العلم فى عصره ، ونقول نحن ولكنها هى أحقاد يهود القديمة ما زالت ممتدة فى الاحفـــاد .

● ● ●

ويجىء كتاب محمد خلف الله : ( القصص الفنى فى القرآن ) ليمثل حلقة أخرى فى هذه المؤامرة فهو تجميع منظم لكل الشبهات التى أثارها المستشرقون حول القرآن الكريم منذ عشرات السنين فى مقولة باطلة بأن بالقرآن أساطير وأن هذه الاساطير من عند الله وان القرآن عبر بهذه الاساطير ليمتلك القلوب ولانها هى التى كانت مألوفة لدى العرب مطابقة لمعارفهم ومطابقة لما فى

أيدى أهل الكتاب من اليهود (١) .

لقد تحقق مطمع الاستشراق والتغريب بالسيطرة على الدراسات الجامعية بهدف التشكيك فى روح الاسلام الحقيقية ومن ذلك كان تركيزهم على القرآن نفسه وتأويل الايات وافساد وجهته على النحو الذى بداه طه حسين فى كلية الاداب سنة ١٩٢٦ وما بعدها والذى وكله الى الشيخ أمين الخولى بعد ذلك والذى استمر حتى ١٩٤٦ عندما كشفت رسالة خلف الله حقيقة هذف التغريب ورجـــاله .

فقد أراد أمين الخولى عن طريق تلميذه ( خلف الله ) ان يحقق للمستشرقين ما يطمعون فيه بالنسبة للقرآن من دعواهم أن ما يقدمه القرآن الكريم من قصص وأخبار — فى نظرهم — لا يتفق مع الواقع التاريخى الذى يعلمون وأن المسلمين منذ عصر النبى قد استقبلوا كل ما ذكر فى القرآن على أنه تعبيرات جادة يراد بها معانيها فيما جاءت به وتاثرت عقليتهم بما جاء من الايات الدالة على أنه يقص أنباء الغيب التى لم يكونوا يعرفونها فقالوا : أن أخبار الاولين آية صدق النبى ودليل على أعجاز القرآن .

وهنا ياتى النقطة الثانية التى يود الاستشراق أن يحطمها وهى ثقـــة

---

حاشية : ( حول رسالة خلف الله )

اولا : لم يقل احد أن القصص القرآنى أحداث لم تقع .

ثانيا : قرر الباحثون الذين راجعوا رسالة القصص الفنى فى القرآن :

١ — ان الباحث مدلس فى النقل خائن للامانة العلمية فهو يكذب فى النقل ويبتر المنقول ولا يتمه بل يخفى منه ما يبين المراد تمويها للحقيقة والباسا على الناس وخاصة ما نقله عن الفخر الرازى وحرفه .

٢ — كذب دعوة خلف الله من أن القصص القرآنى من المتشابه .

ولسنا نعرف أن احدا من المسلمين يقول أن القصص القرآنى من المتشابه

٣ — دعواه ان القصص القرآنى لا يتقيد بالواقع وانه يحتوى اساطير وانه ينطق الشخص فى قصة بشىء وينطق سواه بهذا الشىء فى نفس القصة فى مكان آخر وانه ينطق قوما ما لم ينطقوا به ويقولهم ما لم يقولوا وانه يقول على شىء لم يقع انه وقع وان القرآن لا يتحرى الصدق العقلى والواقع وانه ملوء بالاساطير ( تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ) .

المسلمين فيما جاء به القرآن من قصص عن الامم السابقة ، والذى كشف كثيرا من فساد نحلهم ولما كانوا فى حدود علمهم يجهلون هذا ويرون فيه خطرا على المسيحية واليهودية فقد اتجهوا الى التآمر عليه بفرض تصوير يرمى الى القول بأن هناك خلافا بين الادب والتاريخ وان القرآن بوصفه كتابا أدبيا — وهو ليس كذلك فى الحقيقة بل هو كتاب دعوة وعقيدة أساسا — سلك سبيل ما أطلق عليه الفن القصصى وان القصص القرآنى هو نمط من أنماط القصة الفنية التى لا يلتزم الفنان فيها الصدق وتحرى الواقع ، وانما يعطى نفسه من الحرية ما يغير ويبدل ويخترع ، وهم فى هذا يتقولون على الله تبارك وتعالى وعلى كلامه ويحاولون ان يشككوا فيما جاء فى القرآن من قصص الانبياء والرسل والامم .

وهذه محاولة مسمومة ، محاولة الادعاء بأن القرآن اعتمد على التمثيل والتشبيه الذى لا ينظر الى الواقع وهو ما ألفه العرب فى هذا الباب .

ولقد حدد القرآن موقفه من القصة تماما حين قال :

( نحن نقص عليك نبأهم بالحق ) .

فلا تزيد ولا خفاء ولا فن خادع كالذى عرفته القصة اليونانية والغربية الحديثة .

● ● ●

ولم تتوقف الحملة عند عنصر واحد بل شملت جميع العناصر ففى روسيا صدر كتاب ( القرآن عقيدته وتعاليمه ) لحى الدينون حملة شديدة على القرآن بدعوى ان الدين معوق لحركة التاريخ .

وفى احد مؤتمرات الهند هاجم الدكتور هاشم أمير على فواتح السور فى القرآن الكريم . ( الاهرام ١٧ مارس ١٩٦٤ ) .

بل لقد بلغ الأمر أن يقول تشرشل رئيس وزراء بريطانيا فى كتابه ( حرب النهر ) :

لقد عرفنا مدى اهتمام المسلمين بكتابهم القرآن على نحو من الضعف صرفهم عنه لذلك عملنا على تغيير ذلك باحتضان أمثال غلام الدين القاديانى ودعوته الى الغاء الجهاد .

ولقد توالت كتابات علماء المسلمين فى الرد على افتراءات نولدكه ودى بور وابراهام جنجر ، وكارل فوللزر ودوزمى وغيرهم .

( اقرأ بحث الدكتور رمضان عبد التواب مجلة منبر الاسلام عامى ١٣٩١ ، ١٣٩٢ وصدق الله العظيم الذى سجل عليهم مؤامرتهم حين قالوا :

( وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ) — فصلت .

ولقد جاءت اليقظة بعمل ضخم فى هذا المجال لمواجهة هذه الحملات الضارية فقد كتب عدد كبير من الابرار فى آفاق العالم الاسلامى الواسعة فى المغرب وفى الهند وفى تركيا وفى اوربا دراسات كشفت عن زيف ما حملته دوائر المعارف وما خطته احقاد المستشرقين والمبشرين .

وجاءت دراسات كثير من علماء اللاهوت مصدقة لما جاءت فى القرآن الكريم فى شأن التوراة والانجيل وخاصة ما كتبه سبعة من علماء اللاهوت عن التجسيم وما كتبه موريس بوكاى عن مقارنته للقرآن مع التوراة والانجيل .

وهكذا تخطى القرآن الكريم مرحلة محاكمته من قبل المستشرقين واثارة الشبهات والاتهامات حوله الى مرحلة العطاء لذوى العقول والنوابغ والمفكرين الغربيين الذى استطاعوا ان يتجردوا من ربقة التبعية والتقليد للفكر اللاهوتى وبعد أن تكشف لهم مجافاته لحقائق الكون وللفطرة وتعارضه مع معطيات العلم الحديث نفسها .

هذا وبالله التوفيق ،،،

● ● ●

# موسوعة

(مقدمات العلوم والمناهج)

هذه الموسوعة تمثل محاولة لبناء منهج اسلامى متكامل جامع للفكر الاسلامى وتشتمل فى مرحلتها الأولى عشرة موضوعات كبرى تستقل كل منها بمجلد خاص وتتكامل فى مجموعها العام بحيث يستوعب مختلف القضايا الاسلامية المقارنة فى مطالع القرن الخامس عشر استيعابا كاملا ولما كان بناء الفكر الاسلامى الممتد خلال اربعة عشر قرنا على طول المدى كان قادرا على مواجهة محاولات الغزو والتغريب فقد قاومتها حركة اليقظة حين اقامت منهج السنة الجامعة وواجهت حملات الفرق والدعوات الهدامة وكشفت زيفها .

ومن هنا فقد حاولت هذه الموسوعة بفضل الله تبارك وتعالى تحرير الفكر الاسلامى وتاصيله وفق منهج التوحيد الخالص كاشفة عن التحديات التى واجهته فى مختلف مجالاته .

١ — الفكر الاسلامى .
٢ — تاريخ الاسلام .
٣ — عالم الاسلام المعاصر .
٤ — اللغة العربية والادب والثقافة .
٥ — التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة .
٦ — المجتمع الاسلامى (النظام الاسلامى — التربية — المجتمع ) .
٧ — الحضارة والعلوم ومفاهيم العلوم الاجتماعية فى ضوء الاسلام .
٨ — الاسلام وموقعه بين الفلسفات والاديان .
٩ — المنهج الغربى : الاخطاء والشبهات .
١٠ — حركة اليقظة الاسلامية .

(٢)

## مصلحة الاســلام

دائرة معــارف اسـلامية جامعة تربط بين الاصــالة والمعــاصرة في ضــوء الاســلام وتختص بالمصطلحات وتقــدم ٩٩ مادة ( أي مصطلح ) في مختلف ابواب الشريعة والاخلاق والتربية والاجتمـاع والاقتصــاد والنفس والثقــافة والحضارة والعلم والفن والتــاريخ واللغــة والسياسة والفلسفة ومقــارنات الاديان .

• • •

# المؤلف

انور الجندى باحث اسـلامى عمل فى مجـال الدعوة الاسـلامية منذ عام ١٩٤٠ ، ووجه جهده نحو الصحافة الاسـلامية فاشترك فى تحرير عدد من الصحف الاسـلامية منـذ عام ١٩٤٦ فى مصر ومختلف البـلاد العربيـة والاسـلامية .

واشتغـل بالدراسـات الاسـلامية والتراجـم وتاريخ الادب العربى المعـاصر وتخصص فى دراسـات قضايا التغريب والغـزو الفكرى ونقـد ابحاث التبشير والاستشراق واصدر موسوعة مقدمات العلوم والمناهج فى عشرة مجلدات كما اصدر موسوعة ( معلمة الاسـلام ) .

اشترك فى عديد من المؤتمرات الاسـلامية فى جاكارتا وقطر والامارات والسودان والجزائر والمغـرب .

وحاضر فى جامعة العين بالامارات ورابطة العالم الاسـلامى واشترك فى مؤتمر تصحيح دوائر المعـارف بالمغرب وهو عضو نقابة الصحفيين واتحاد الكتاب والمجلس الاعلى للشئون الاسـلامية .

• • •

# آفاق البحث

| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |


• • •

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٩١ / ٧٢٧٩
I. S. B. N.
977 - 211 - 021 - 5